السما والأرض
محمود مودي
www.hotamr.com

رواية السما والأرض

تأليف محمود مودى

-١-

عزيزى ..
انتظرنى أمام مستشفى القصر العينى بكورنيش النيل فى القاهرة .. سأنتظرك هناك .. سنستقل سيارتى فى إتجاه حلوان وبعد عشر دقائق سنتوقف ونركن السيارة أمام مطعم الأسماك هابى فيش على النيل أمام مدخل المعادى .. لا تسئ الظن ، فأنا لا أدعوك لتناول وجبة أسماك على النيل.. سنترجل ونعبر الكورنيش ونسير فى الشارع القابعة على ناصيته بنزينة موبيل .. سترى العمارات على جانبى الشارع ، الأسفلت النظيف ، كلما نمضى سائرين للأمام ، كلما تجد نفسك وكأنك فى مدينة أوروبية متحضرة ..
السيارات الفخمة باهظة الثمن تراصت فى كل مكان .. هدوء بديع .. المحلات المتنوعة براقة تجذبك للدخول ، والمطاعم النظيفة تفتح شهيتك فتشعر بالجوع .. ترى السيارات من حولك تسير

ولا تسمع صوت محركاتها ، فمعظمها سيارات حديثة الطراز .. ترى أجانب من كافة أنحاء العالم يسيرون فى الطريق.. الوجوه من حولك تبدو عليها نضرة النعيم ، الملابس أنيقة على الموضة .. ستقع عيناك على فتاة تسير أمامك ترتدى بنطلون جينز ضيق ، عندها تُفرز الهرمونات فى دمك ويحدث التفاعل الكيميائى البديع ، ستجد خطواتك تتسارع لتقترب منها ، فترى مؤخرتها وأفخاذها المحشورة فى البنطلون الجينز ترتسم بوضوح .. ستبحث عن ذلك الحز الذى يتركه البانتى تحت الجينز الضيق فستدرك أنها لا ترتدى بانتى .. سترى حذائها الأبيض الخفيف يكاد يتقافز على الطريق ، وشعرها الناعم المنسدل حتى منتصف ظهرها فوق التى شيرت الرمادى الأنيق ، ستلحظ أن هناك فاصل بين نهاية التى شيرت وحزام البنطلون الجينز ، حوالى سنتيمتران تزداد وتقل مع مشيتها ، ستمعن النظر لتخترق نظراتك السنتيمترين وترى نهاية ظهرها عارية ، وفجأة تسقط منها حقيبتها فتنحنى لتلتقطها ، سترى التى شيرت انحسر للأعلى والبنطلون الجينز تزحزح

للأسفل وترى سنتيمترين من المجرى الذى يفصل فلقتى مؤخرتها يظهر أمام عينيك بوضوح .. ستتسارع دقات قلبك وتلهث أنفاسك وتتلفت حولك لترى المارة لا يعبأون ، كل فى طريقه دؤوب ، بينما هى اعتدلت وواصلت سيرها المحموم .. عادى .. إهدأ قليلا يا عزيزى فلا يزال المشوار طويل .. نواصل سيرنا ونعبر الميدان الفسيح الراقى وستحدق فى هذه النافورة الجميلة التى يتلألأ مائها تحت أشعة الشمس .. وسترى من خلف الماء ذلك البرج الشاهق الذى إختفت واجهته خلف لافتات الأطباء من كافة التخصصات والمجالات .. ستجد نفسك بعد ذلك فى مواجهة سور محطة مترو المعادى .. سنعبر الكوبرى أو نفق المشاة تحت الأرض لتجد نفسك فى شارع ٩ بالمعادى بجوار مبنى البريد ذو الواجهة الرخامية الملساء .. سنتجه يمينا ثم يسارا فترى ميدانا فسيح ، سأشفق عليك وأدعك تستريح على احد المقاعد الخشبية على الخضرة وسط الميدان ، تستنشق الهواء وترقب وجوه المارة من حولك ، من أمامك بنك بواجهة رخامية رمادية جذابة يتوسطها ماكينة سحب

آلى يقف أمامها رجل يدفع ببطاقته الإئتمانية ويسحب النقود ثم يعود الى سيارتة السوداء الفخيمة ويغادر منطلقا .. وعلى يسارك كشك سجاير وبسكوت وخردوات وملاصقا له ثلاجة مياة غازية ومن أمامه منضدة تراصت عليها الصحف والمجلات ، وإلى جواره مسجد أبيض كبير ، وعلى يمينك صيدلية كبيرة أوروبية الطراز ، صيدلية هندام ، ستشعر برغبة فى تناول قرص أسبرين .. سندخل الصيدلية ونسير ونسير بداخلها تتراص من حولك الأجهزة الطبية وعليها صور النساء الفاتنات شبه العاريات ، فهذا شورت ساونا وذاك حزام تخسيس وتلك ماكينة نزع الشعر وعليها صورة إمرأة عارية بجسد ناعم لامع متقوقعة على نفسها ليختفى بداخلها ثدييها وما بين فخذيها ، والبرفانات ومستحضرات التجميل وقد تراصت من حولها بائعات جميلات رسمن على وجوههن إبتسامة مرحبة ، وفى النهاية سنصل إلى شاب يرتدى بالطو أبيض وعليه بادج ذهبى مكتوب اسمه عليه ، فندرك أنه الصيدلى المسئول عن التعامل مع الجمهور .. سنشترى الأسبرين

ونغادر .. ستجعل جانب الصيدلية على يسارك وتسير فى الطريق ، بعد مسافة قصيرة ستجد نفسك فى مكان هادئ جميل وعلى يمينك قسم شرطة المعادى .. طبعا ستتوتر أعصابك .. لا تخاف إنى معك .. واصل السير للأمام ستبدأ الفيلات فى الظهور محاطة بأسوار جميلة وأشكال هندسية متنوعة ، ستجد نفسك محتارا فى إنتقاء أجمل تصميم ، والزروع والأشجار تنتشر فى كل مكان ، والحدائق تحيط بالفيلات ، فجأة ستسمع صوت طش (إرتطام شئ ما بالماء) ، سأخبرك أنا أنه واحد يغطس فى حمام سباحة ، ستتجه رأسك حيث مكان الصوت فترى قصرا آية فى الفن والإبداع ، وسينسج خيالك المريض أن هذا الواحد هو امرأة فاتنة ترتدى المايوه أو البيكينى ولماذا لا تكون بلبوصة وتسبح الآن فى حمام السباحة تحت الماء خلف سور القصر .. قلت لك إهدأ يا عزيزى ولا تجعل خيالك المريض يعبث بك فالمشوار لا يزال طويل .. نواصل السير سترى سيارة حريمى حيث كشافات السيارة التى تبدو وكأنها عيون قطة ، وغطاء المحرك الذى يبدو وكأنه رأس هرة وفى

نهايته من الأمام مرسوم فم صغير مفتوح يتدلى منه طرف لسان .. ستجد نفسك تبتسم ثم تضحك ، لكنك سرعان ما تحدق وتفغر فاهك حين ترى السيارة تتوقف وتنزل منها إمرأة ممتلئة بوجه مستدير .. تلوك علكة بدلال مثير ، وشعرها المصبوغ بالأحمر تم إبداع تصفيفه على رأسها تاجا من مملكة الفتنة والدلال .. ولكن ذلك ليس ما جعلك تفغر فاهك بل ذلك التايير الأسود من الدانتيل الشفاف الذى ترتديه وجسدها البض يظهر من خلف التايير المخطط بالطول جليا واضحا ، يبعث الشهوة فى الأجساد الباردة فيحيلها الى لهيب متقد ، على الفور ستدفعك غريزتك الى البحث عن ثدييها وما بين فخذيها ، فسترى ثدييها الكبيرين متواريين خلف سوتيان أبيض ، لكن المجرى بينهما والجزء الأكبر منهما يظهر بوضوح ، فالجزء العلوى من التايير مفتوح من على الصدر ينادى العيون .. ستهبط عيناك تتهادى لتراها لا ترتدى بانتى ، عفوا .. فقد كانت ترتدى لباس أبيض من نفس لون السوتيان ، أخفى جزءا كبيرا من تلك المنطقة الحيوية المؤثرة ، لدواعى الإحتشام ..

إبتعدت هى عن السيارة متجهة لباب الفيلا فتراها من الخلف حيث مشبك السوتيان خلف التايير الشفاف يداعب ظهرها أثناء حركتها ، واللباس قد إنحسر بين فلقتيها وحين مدت يدها تجذب اللباس المنحشر فى مؤخرتها تعدل وضعه ، إنتفض جسدك وإنتصب عضوك .. إلى متى سأظل أردد لك إهدأ يا عزيزى ، ولا تكن كما المراهقين ، فالموضوع أكبر من ذلك بكثير .. واصل السير إلى الأمام ، ستخترق أنفك رائحة ولا أروع .. ستجد نفسك تحث الشهيق للنهل من هذا الأريج ، تتلفت حولك باحثا عن مصدر العطر الفواح فترى شابا بجسد رياضى ممشوق وسيم الوجه يرتدى تى شيرت يبرز عضلاته المتناسقة وبنطلون جينز ضيق وخصلات شعره المفروق من المنتصف تتدلى على جبهته ، يضع يديه فى جيب البنطلون الجينز ويسير بخطوات متئدة إلى جوار فتاة ترتدى جونلة سوداء قصيرة بالكاد تصل إلى منتصف فخذيها ، وقميص رجالى أحمر تركت أزرارة العليا مفتوحة فبانت ثدييها الصغيرة بلا سوتيان بينما توارت الحلمات خلف الجزء

الأوسط من القميص الذى أغلقت الزرار الأوسط له ، فى حين تشابك ما تبقى من القميص على شكل عقدة مربوطة أعلى سرتها تماما ، فانكشفت بطنها من السرة وحتى بداية الجونلة على وسطها .. عادى .. عادى .. لا تندهش يا عزيزى .. دعنا نكمل السير الى الأمام ، بعد مسافة قصيرة سترى إمرأة نحيفة تقترب بخطوات سريعة ، يبدو أنها إمرأة عملية لا تضيع الوقت ، على عجل من أمرها فحتما لديها أمرا هاما تريد اللحاق به ، تجد نفسك تحدق فى الاسترتش الأسود الذى ترتديه ، وترنو الى موضع ما بين فخذيها كلما اقتربت ، شيئا فشيئا تتضح لك الرؤية ، ما هذا الانتفاخ الكبير بين فخذيها ، أمعقول أن تملك هذه المرأة النحيفة هذا الشئ الضخم الكبير ، لكنك تفيق على صوتى يخبرك أن الدورة الشهرية عليها فى هذه الأيام ، وتضع هى حفاضة ألويز على ما بين فخذيها ، فظهر ما بين فخذيها ضخما بارزا خلف الاسترتش المحزق .. هل أدركت يا عزيزى جدوى وجودى معك فى هذه الرحلة .. واصل السير قليلا وإنحرف جهة اليسار ، نواصل

السير بخط مستقيم ، ستتشم رائحة الورود والأزهار المنبعثة من حدائق الفيلات .. سترى رجلا يرتدى فانلة رياضية وشورت قصير يمسك بسلسلة فضية اللون وفى نهايتها طوقا جلديا أسود لامع أحاط برقبة كلب لولو ، تبدأ الفيلات فى التلاشى تدريجيا حتى تجد قضبان سكك حديد ، نتابع السير بمحازتها الى الأمام سنمشى كثيرا حتى نجد مبنى عريضا لكنه ليس عاليا ، أنيقا للغاية من أمامه نافورة صغيرة ومكتوب على المبنى جراند مول المعادى ، ستلمح بعينيك طبقين هائلى الضخامة خلف سور طويل على اليمين يطلقون على ذلك (مبنى القمر الصناعى) .. دعنا ندخل الجراند مول ، سأشفق عليك وأقرر التضحية ، سأدعوك الى احتساء بعض القهوة ، تنزل عبر السلم الكهربائى إلى الدور تحت الأرضى حيث الكوفى شوب الموجود بالأسفل .. سأقودك إلى منضدة خالية بأحد الأركان .. اجلس الآن واسترح قليلا من عناء السير ، وتلفت حولك سترى ذلك الرجل الذى غطى الشيب جانبى رأسه .. يدخن بيسراه بينما يمناه تكتب على

الورق المفروض أمامه يرفع رأسه بين الحين والآخر ينظر الى الفراغ وكأنه يستلهم ثم يعاود الكتابة ، وهناك تلك المرأة التى ترتدى العباءة السوداء تجلس وحدها ممعنة فى تدخين الشيشة وقطعة قماش متهدلة فوق رأسها .. برز وجهها القمحى الذى يدل على أنها خليجية وسط الحجاب ، ثم تراها تقوم بعدما انتهت من الشيشة وتسدل القطعة القماشية من على رأسها فتصير منقبة وتغادر .. وهذا الشاب الذى يجلس جوار فتاة يدخنان السجائر .. وعلى مقربة منهما رجل وزوجته يتناولان الأيس الكريم بصحبة طفلهما الصغير الذى يعبث بما على المنضدة .. فتيات وشباب ورجال ونساء ، يجمع بينهم عنصر مشترك هو أن كل واحد لا شأن له بالآخرين ، كل فى شأنه .. ننتهى من احتساء القهوة ، وبعدها أصحبك فى جولة بداخل المول ، لتشاهد المحلات الجميلة لكل السلع والاصناف ، ترى محلات الملابس وأضوائها المتلألئة ، والملابس الداخلية النسائية المثيرة للغاية على العارضات الخشبية خلف الزجاج ، ومحلات زنقة الستات ودلع البنات ، تكتظ بالفتيات والنساء لشراء

الإكسسوارات النسائية ، وصالة البولينج فى الدور الرابع والسينما بجوارها .. تشعر وكأنك فى عالم جميل ، كل ما حولك يبعث فى صدرك احساسا بالراحة .. لكنك ترى بعض شباب وفتيات يبدو من ثيابهم وملامح وجوههم أنهم ليسوا من هذا العالم ، سأخبرك أنا.. هؤلاء ليسوا فعلا من هنا بل من هناك ، من ضواحى المعادى وما بعدها دار السلام والبساتين وطرة ، الجراند مول بالنسبة لهم جنة يأتون للتنزه فيها ، يستمتعون بالصعود والنزول على السلالم الكهربائية وكأنها مراجيح المولد ، وركوب الأسانسير للمتعة ، يأتى أحدهم من طره ساعيا وراء الايقاع بفتاة ومصاحبتها ، ويوهمه خياله أنه يمكن أن يصاحب بنتا من المعادى ، وحين يلقاها وتحدث المغازلة والمناوشة وتقبل عزومته على السينما سرعان ما سيكتشف أنها من دار السلام ، وتأتى إحداهن من البساتين الى المول طمعا فى البحث عن رفيق للتنزه على حسابه ، وحين تلقاه ويدعوها الى الكوفى شوب سرعان ما ستكتسف أنه من المعصرة .. دعنا من كل ذلك ودعنا نخرج ، ما أن نصل خلف

المول بقليل حتى تبدأ أذناك فى التقاط النداءات (دار السلام .. دار السلام) .. (بساتين بساتين بساتين) .. (مترو مترو مترو) .. لا تندهش عزيزى فأنت الآن فى عرب المعادى .. نعم نحن لم نركب طائرة ونسافر آلاف الكيلومترات ، فقط كنا نسير على أقدامنا بضعة كيلومترات .. الآن ترى عالم غير العالم ودنيا غير الدنيا .. سبحان الله .. ترى الميكروباصات المتشاحنة والسائقين لا يكفون عن النداء ، وعلى مقربة سوق شعبى كبير ، المحلات متسخة ومتكدسة بلا نظام .. واصل السير لندخل السوق ، سترى البشر بوجوه شاحبة مصفرة ، والملابس رخيصة الثمن تغطى أجسادهم ، معظم النساء محجبات ، تمسك كل واحدة بأكياس من الخضروات وتترنح بها سائرة تنظر على البائعين هنا وهناك .. الرجال يرتدون بنطلونات وقمصان وجلابيب وبيجامات وحتى ترينجات .. لا تلتفت دعنا نكمل السير ، سأشفق عليك ، هيا نركب الميكروباص ، عشرة دقائق أو ربع ساعة وستجد نفسك فى دار السلام فى شارع الفيوم ، ما أن تطأ قدمك الأرض نازلا من الميكروباص

المتهالك حتى تلتقط أنفك رائحة المجارى الطافحة فى المنطقة ، ممزوجة برائحة العفن المنبعث من تل الزبالة والقاذورات الذى ستقع عليه عينك أمامك ، لا تندهش لازال المشوار طويل ، واصل السير فى شارع الفيوم وإنحرف يسارا كأنك تتجه الى محطة مترو دار السلام ، سترى الأسواق التى تعج بالمحلات الفقيرة البائسة ، ستلاحظ أن هناك قميصا معروضا بأحد المحلات بأقل من ثلث الثمن الذى رأينا نظيرا له معروض فى الجراند مول ، لا تتعجب واصل السير ، سنتجاوز الأسواق ، ستبدأ الشوارع المتعرجة تتحول الى أزقة ضيقة ، وستبدأ المنازل المبنية بأدوار عالية تختفى ، حتى تسمع

- ياض يا ابن الوسخة .. طب ودين أمك لأوريك يا خول
- بس ياض يا ابن الـ...........

كان هذا حوارا عاديا جدا بين صبيين لم يتجاوزا الثالثة عشرة من العمر .. واصل السير سترى البيوت متقابلة على جانبى زقاق ضيق ، لدرجة أن لو أحد مد يده من بلكونته التى ممكن أن

تسقط على رأس أحد المارة فى أية لحظة يمكن أن تطول يده بلكونة المنزل المقابل ، ستلمح عينيك رجلا بكرش كبير ممدا على حصيرة متهالكة فى مدخل أحد المنازل الذى صارت أرضيته تحت مستوى الأرض بمتر ، يرتدى فانلة بحمالات تحظى بنقرة صغيرة فى المنتصف يبدو أن فأرا قرضها ولباس بفتة يمتد لما فوق الركبة بقليل ، يتحدث مع إمرأة وهو يدخن سيجارة سوبر تتعرف عليها من طولها ، بينما المرأة واقفة أمامه عارية الرأس تهرش شعرها بيدها اليسرى فى الوقت الذى استكانت يدها اليمنى على موضع التحام مؤخرتها بنهاية ظهرها .. وفجأة تعترض طريقك جاموسة ، عفوا إمرأة سمينة ضخمة وقصيرة ترتدى عبائة سوداء كالحة وتجر بنتا باكية لم تتجاوز العاشرة وتقف أمام المنزل تصيح كالرعد

- إنت ياض يا عاشور .. يا عاشور

ينهض الرجل الممدد وتتبعه المرأة التى كان يحادثها

- خير يا أم ايهاب

تندفع ام ايهاب تسكب الكلمات والغضب كسى وجهها

- لأ مش خير يا ابو عاشور .. الواد ابنك قليل الربايه ياخد البت فى الخرابة ويقولها تعالى اعمل لك حاجات قلة ادب .. طب ودينى والختمة الشريفة والمعبود لما يجى ابوها واخوها ايهاب لأخليهم يكسروا رقبته ويجيبوا أجله

وسط دهشتك مما تسمع ستجد نفسك محاصرا وسط الجمع الذى هرع محتشدا من نساء ورجال وعيال المنازل المجاورة .. سيتملك منك القلق والتوتر والخوف .. لا تخف أنا معك .. سأخرجك سالما من وسط هذا الجمع ، لكن دعنا الآن نتابع معهم المشاجرة التى حمى وطيسها حين ساقت ام عاشور ابنها قابضة بيدها على قفاه تصيح

- بأه الواد المفعوص ده .. اللى يدوبك عشر سنين يعرف يعمل كده يا ام ايهاب

تمسك ام ايهاب بشعر ابنتها تصرخ فيها

- قولى يابت الواد ده عمل لك ايه ؟

تنطق البنت بصوت باكى واهن

- قال لى تعالى نروح نطير الطيارة فى الخرابة .. وبعدين قالى عاوز أعملك

هنا يبدأ عاشور فى البكاء ويقول

- لأ دى هى اللى قالت لى تعالى وأنا مارضيتش

الطفل عاشور برئ ، البنت هى التى حاولت اغوائه الى الرذيلة ، فحواء أغوت آدم لأكل التفاحة .. ترد البنت مسرعة وبكاؤها يزداد

- لأ ، ده هو اللى كان عايز يقلعنى الجلابية وقعد يحضن فيا والنبى يا اما .. وبعدين أنا سبته وجريت

كلام البنت يدل على أنه لم يحدث سوى تحرش ، وطفل العاشرة لم يتمكن من سلب شرف البنت ومع ذلك انقضت ام ايهاب بجسدها الضخم تريد أن تفتك بعاشور وسط أبويه ، فتدخل الأب مسرعا يصيح

- جرى ايه يا ام ايهاب .. ما هو اذا كان عندنا تيس هايج لموا انتو المعزة بتاعتكوا

- طب وحياة ده لأخلى ابو ايهاب يمرمط بيك الأرض يابغل انت

قالتها ام ايهاب وهى تشير الى شعرها ، فرد ابو عاشور صائحا

- أنا بغل يا جاموسة .. طب ودينى لأوريكى دلوقتى فى الشارع

قالها ابو عاشور وهو يهجم على ام ايهاب ، فتدخل ولاد الحلال لإنقاذ الموقف صائحين

- صلوا ع النبى يا جماعة دول عيال

يحاول الجمع منع ابو عاشور وام ايهاب من الالتحام ببعضهما ، وفجأة صوت يصيح

- أنا هاقتلك يابن الوسخة

صاحب الجملة ضربة قوية من جنزير حديدى هوى على رأس أبو عاشور من ايهاب الذى ما كاد يدخل بيته عائدا من العمل وركن التوك توك فى مدخل البيت تحت السلم ، حتى علم أن امه فى مشاجره بسبب اخته الصغيره ، فأسرع على الفور يحضر سلسلة الجنزير ويعدو حيث المشاجرة .. سقط ابو عاشور على الأرض والدماء تنزف من رأسه بغزاره .. أغرقت الدماء حمالات الفانلة الداخلية وزحفت حتى وصلت الى اللباس البفتة .. وعلت أصوات صريخ النسوان

- يالهوىىىىىىىى .. يا لهوىىىىىىىى .. الحقوا ياناس
فى هذه اللحظة كان أخو ابو عاشور الأصغر ذلك الشاب صاحب الخمسة والعشرين عاما المسجل خطر ، شهرته البرنس والمعروف فى المنطقة كلها بتعاطيه كافة أنواع المخدرات يعدو قادما شاهرا المطواه وقرن الغزال ، وبصيحة كالرعد هوى البرنس على ايهاب

عزيزى لا داعى لاستكمال متابعة المشاجرة .. فبعد ذلك لا أضمن اخراجك من هنا سالما .. لذا علينا أن نتسلل الآن ونواصل السير .. تبدأ أصوات الصراخ والصويت والعويل المنبعثة وسط المشاجرة تخبو تدريجيا كلما ابتعدنا ، سترى البيوت بلا ألوان على الطوب الأحمر ، والمدهون منها ملون بألوان متسخة قذرة عليها رسومات فاحشة فترى قلبا مرسوما بالطباشير يخترقه سهم مكتوب على طرفيه (أحمد يـ..ك منى) .. سترى النساء تسير فى الشوارع تنبعث منها الروائح النتنة معظمهن يغطين شعورهن بإيشاربات بالية كالحة ، وأخريات عاريات

الشعر بين مهمل بلا تصفيف أو مصفف بزيت الحبوبة الأصلى ابو ٢ جنيه الزجاجة ..
معظمهن يرتدين عبائات متسخة وجلابيب من قطعة واحدة تغطى الجسد .. إلا أنك تلحظ بين الحين والآخر امرأة تسير مرتدية بلوزة أنيقة وجيبة مكوية ، ووجهها لامع نظيف وإما تكون محجبة وإما شعرها منسدل أو ملموم بكحكة خلف راسها مصفف بمظهر مقبول.. وترى فتاة مرتدية بلوزة وبنطلون وحجاب .. وترى منقبة تسير بمحازاة أسوار البيوت على عجل من أمرها .. أما الرجال فملامحهم خشنة بارزة التقاطيع يرتدون قمصان وبنطلونات ، والشباب منهم يحاول أن يكون على الموضة فترى شابا يرتدى تى شيرت أحمر على بنطلون أزرق وينتعل كوتش باتا واضعا يديه فى جيوبه متبخترا يسير .. وترى رجال ترتدى جلابيب باهتة بالية ، ورجال تسير ببيجامات فى الطريق، كذلك ترى من يرتدى جلبابا أبيض قصير لايصل الى عرقوب القدم ويبرز من الجيب على الصدر سواك طويل وعلى رأسه طاقية بيضاء واللحية الطويلة الكثيفة غطت

وجهه وينتعل شبشب بوجه عريض يتمتم بأدعية دينية فى طريقه للمسجد للحاق بالصف الأول خلف الامام .. ارفع رأسك قليلا لترى ما فوق أسطح المنازل ، سترى هوائى التليفزيون ينتشر على الأسطح الى جانب عشة حمام هناك ، واطباق الدش منتشرة هنا وهناك ، منها الصغير لإستقبال النايل سات ، ومنها الكبير برأسين أو ثلاثة لإستقبال السيكو سيكو .. ستخترق أنفك رائحة طشة ملوخية عبأت الأجواء .. ثم تمتزج الرائحة برائحة عفنة مقززة من مدخل أحد البيوت يملك صاحبه عربة كارو يبيع عليها الخضار ، ويترك الحمار يتبرز تحت السلم فى مدخل البيت .. ستبدأ بعض المحلات فى الظهور .. كلها عشوائية الشكل والمضمون ، ترى مطعم فول وطعمية يدفعك منظر الذباب المحتشد بداخلة الى الغثيان قبل أن تدخل لتأكل شيئا .. وترى الى جواره فرن وقد صار ثلث ارتفاعه تحت مستوى الأرض ، بينما تراصت حوامل خشبية فوقها صوانى البقسماط والفينو الصغير والفطير على مستوى الأرض أمام المحل وجبة للذباب .. وملاصقا للفرن مكوجى

مكتوب على حائط الواجهة (شيكو كلين) نسبة الى عم شكرى صاحب الستين عاما .. والى جواره صيدلية الرضا والنور الوحيدة فى المكان التى تملك لافتة خشبية متهالكة أعلى الواجهة ومكتوب تحت اسم الصيدلية على اللافتة المضاءة بلمبة نيون واحدة (لصاحبها ومديرها الدكتور شريف بسيونى) .. ترنو بعينك داخل الصيدلية فلا ترى صيدلية بل مقبرة مدفون نصفها تحت الأرض .. والى جوار الصيدلية على ناصية الشارع ستجد قهوة غطت أرضيتها نشارة الخشب وأعقاب السجائر .. والكراسى البلاستيكية متناثرة فى الأنحاء ، يتوسطها المناضد الخشبية ، دعنا نجلس عليها قليلا ونستريح .. سترى النصبة عليها فنطاس كبير به ماء يغلى وأسفله صنبور ، والأكواب الزجاجية متناثرة من حوله ، وخلف النصبة رجلا يبدو أربعينيا نبت شعر لحيته الخفيفة فجعله يبدو بشعره المنكوش أشبه بمومياء مفرطة النحافة ، وهناك شاب اقترب مننا يقول

- تشربوا ايه يا بهوات ؟
- اتنين قهوة مظبوط لو سمحت

تبدو على الشاب الدهشة من منظرنا الغريب على المنطقة والمختلف عن الموجودين ، أو ربما كانت دهشته لأننى قلت له فى نهاية الطلب (لو سمحت)

- وعندك من البُنى اتنين مظبوط
- زبادى خلاط للأستاذ
- ومعاك واحد على مية سخنة
- وخمسينة فى سكتك

كانت هذه هى نداءات صبى القهوة التى يترجمها الرجل المومياء الواقف على النصبة ويصنع المشاريب ، تسمع أصوات نرد الطاولة وقطع الدومينو تنبعث من حولك وسط الصيحات

- أديك خدت العشرة سموكن يا جعف .. شيل بأه المشاريب
- يك جوهار ايه دلوقتى يا زهر يا وسخ .. ده ايه النحس ده
- إنت هتلكك .. هو انت عارف توزع الأواشيط ؟ .. يالا خدلك عشرة تانية عشان تتكيف يا روح أمك

ترى بالجوار مجموعة تدخن السجائر والشيشة وتعلو ضحكاتهم بين الحين والآخر ، فقد كان عم

حسين النوبى السباك صاحب البشرة السمراء والوجه النوبى الأصيل والذى لا يرتدى سوى الملابس النوبية من الجلباب ذات الأكمام المتسعة بدون ياقة والطاقية النوبية المطرزة ، يحرص على اقتناء الجلابيب النوبية بألوان مختلفة فيبدو بجسده الضخم فارع الطول أنيقا ، ورغم نزوحه من النوبة إلى دار السلام فى هذه المنطقة الفقيرة منذ عشرون عاما ، إلا أنه ظل يحتفظ بعادات أهل النوبة ويمزج بعض كلماتهم وسط حواره مع من حوله ، دائما مايكون مصدر الإضحاك والفرفشة لكل من يحظى بمجالسته ، يطلق النكات بلا حساب ، فى هذه اللحظة كان يقص بعض النكت بطريقته المميزة التى تجبرك على الضحك حتى وإذا لم تكن النكتة مضحكة ، وقد التف حوله الرجال يدخنون الشيشة والسجائر

- خدوا بأه النكتة دى .. واحد سأل الريس وقاله ايه رأيك فى التغيير ؟ .. قال له التغيير سنة الحياة .. قال له طب انت ليه ما بتتغيرش .. قال له أصل أنا فرض مش سنة
- ههههههههههههههههههههههههههههههه

قطع الضحكات صوت أحدهم يقول
- أهو المعلم هريدى الصعيدى جاى أهو
فعقب عم حسين بتلقائيه
- بيقولك واحد صعيدى بتطلع روحه وأهله حواليه عمالين يقولوا له إنطق الشهادة يا هريدى .. قول الشهادة .. قول .. فتح عينيه وقال لهم : دبلوم صنايع
- ههههههههههههههههههههه
هكذا كان حسين النوبى أستاذا بارعا فى إلقاء النكت وفقا للموقف ، فغالبا ما تكون النكات كأفيهات تعقيبية على الأحداث ، وصل المعلم هريدى الصعيدى الذى سمع النكتة وجلس معهم ينظر إلى كُم جلباب حسين الواسع جدا ويقول
- واحد نوبى بيشاور لتاكس دخل فى كُمه
لم يضحك أحد فإلقاء النكتة موهبة ربانية ، وتابع عم حسين النوبى
- خدوا بأه دى
قالها يتنهد ثم عاود التقمص
- بيقولك فى بلد فيها أزمة قمح والناس مش لاقية العيش الحاف ، وجه الرئيس بتاع البلد دى كلم رئيس أمريكا وقال له الحقنى عاوز

معونة قمح .. البلد عندى والعة ، رد عليه رئيس أمريكا وقاله انا هابعتلك القمح اللى انت عاوزة بس بشرط .. تبعت لى مراتك تدينى بوسة .. وعندك الريس هاج وماج وجمع الوزرا بتوعه .. ازاى رئيس امريكا يطلب حاجة زى دى .. الوزرا بتوعه قالوا .. شوف يا سيادة الريس حل الموضوع ده عند سيادة المفتى .. بعتوا جابوا المفتى .. قال لهم طالما دى حاجة فى صالح الوطن يبقى مش مشكلة بس بشرط بعد ما تتباس وترجع بالسلامة تروح تغسل بقها فى مية النهر الطاهرة .. راحت اتباست ورجعت ومعاها القمح والعيش رطرط فى البلد .. وهى راحه تغسل بقها فى مية النهر الطاهرة لقت رئيس الوزرا بيغسل مؤخرته .. قالها أصل كنت بأستورد جبنة

- ههههههههههههههههههههههه .. على كده بأه الناس هتغمز العيش بالجبنة

قالها أحد الرجال الملتفين حول حسين النوبى ، وقال آخر مشيرا لشاب يحمل بالطو أبيض ماضيا فى طريقه من أمام القهوة

- مش ده الواد ابن حسن السمكرى .. بيقولوا دخل طب وهيبقى دكتور

إندفع حسين يقول بتلقائية

- بيقوولك دكتور سنان نجح عملوا له تورتاية على شكل طقم اسنان .. قال لهم يا ريتنى كنت نسا وولادة

- ههههههههههههههههههه

أرى حالك قد تبدلت يا عزيزى .. يبدو أن نكت حسين النوبى قد أضحكتك .. نجد القهوة وضعت أمامنا على طقطوقة صغيرة من الحديد والصاج ، وما أن تشرع فى فى احتساء القهوة حتى ستلحظ بطرف عينك أرجل صرصور تسبح على وش القهوة ، سأبادر أنا وسط علامات التقزز على وجهك بإلتقاط رجل الصرصور وإلقائها بعيدا وأهمس لك

- ماحدش بيموت ناقص عمر .. اشرب اشرب بعد احتسائك للقهوة مع سيجارة ، ستشعر بالغثيان ورغبة فى التقيؤ ، ربما ليست أرجل الصرصور هى السبب ، من الممكن أن يكون هناك شئ آخر فى القهوة التى شربتها ،

أصطحبك إلى المقبرة الملاصقة للمقهى .. أقصد الصيدلية وعندما تدخلها ستكتشف أنها ليست مقبرة كما كنت تظن بل ورشة بواجير .. الأدوية مكدسة فوق بعضها بلا ترتيب والرفوف الخشبية المصفرة بسبب قدم عمرها تبعث فى صدرك احساسا بالكآبة ، أضواء النيون خفتت وراء خيوط العنكبوت ومروحة السقف اختفى لونها الأبيض خلف طبقات متراكمة من الأتربة أكسبتها لون بنى داكن .. سيقابلنا رجل يبدو من ملامحه أنه فى الخمسين من العمر .. نظراته دائما مستريبة وشعره الخفيف ملتصق على رأسه بفازلين ليدارى صلعته ، يقوم من على المكتب ويتجه نحونا بجسده السمين القصير ، فنرى وجهه لا معا حليقا يقول

- أأمر
- بعد إذن حضرتك يا دكتور .. حاجة للمغص والرغبة فى الترجيع
- حقنة مفعولها سريع علطول

هكذا قال الدكتور شريف بنبرة واثقة ، ودون أن ينتظر منا ردا اتجه الى كومة من العلب على المكتب يبدو ان صلاحيتها اوشكت على الانتهاء

ورأيته يجهز امبولة بريمبران وامبولة سبازموفين فى سرنجة واحدة وقال
- اتفضل
هيا يا عزيزى لا تكن جبان .. خذ الحقنة وستصبح على ما يرام .. ورغم كونى طبيب وأعرف ثمن الامبولتين بالسرنجة وضربها ٣,٧٥ جنيه .. إلا أننى دفعت ال ١٠ جنيه التى طلبها الدكتور شريف .. فربما أضاف ٦,٢٥ قيمة تشخيص حالة أو أتعاب استشارة ..الوقت يتأخر والساعة الآن جاوزت العاشرة مساءا .. هيا يا عزيزى نغادر من هذا المكان .. تابع السير فى اتجاه محطة مترو دار السلام .. لا تعبأ برائحة المجارى الطافحة وأكوام الزبالة هنا وهناك .. سأعود بك حيث بدأنا ، وأثناء السير سترى عفاف عاهرة المنطقة بجسدها المتوسط فى الوزن والطول ، ترتدى بنطلون استرتش أسود برزت من خلفه مؤخرتها الكبيرة وبلوزة حمراء لامعة ، وعلى وجهها مساحيق التجميل ، وتركت شعرها الأسود الناعم الطويل ينسدل خلف ظهرها لبدايات مؤخرتها ، وسقطت على جبهتها خصلتين متباعدتين من الشعر جعلا

وجهها مثيرا .. لم يكن وجهها فاتنا لكن جسدها متناسق للغاية مثيرا لشهوة الرجال حيث الشفاه المكتنزة ، والصدر العامر ، والوسط الرفيع ثم الخصر العريض ومن تحته ساقان جميلان ..
كانت ذاهبة الى عملها فى أحد بارات المعادى ، بينما مجموعة من الشباب العاطل يقفون على ناصية الشارع يتبادلون الأنفاس على سيجارة حشيش وقال أحدهم

- البت عفاف الشرموطة أهى

رد آخر

- هاغرفها دلوقتى البت دى

قالها واتجه نحوها وهى تقترب بخطوات مسرعة لتستقل المترو الى المعادى ، ولما تجاوزت الشاب سار خلفها ودفع بيده يقبض على مؤخرتها من أسفل بين فخذيها ، فأستدارت له على الفور وكقذيفة مدفع كانت يدها تلطم الشاب على وجهه وتمسك بتلابيبه صائحة بعلو صوتها

- يا ابن الوسخة يا خول

قالتها وهى تشتبك مع الشاب محاولة ضربه بحقيبتها الجلدية السوداء ، فاندفع أصحابه يؤازرونه بينما تصيح هى

- أنا هاوريك يا ابن الكلب تفوووووووووه عليك وعلى أهلك

لم تكد تكمل جملتها حتى وجدت البلوزة تتمزق بين آيادى الشباب ، وينكشف صدرها .. هرع الناس على صرخاتها يدافعون عنها ، فحتى لو كانت عاهرة معروفة بالمنطقة ، إلا أنها الآن باتت أنثى تكالب عليها مجموعة من الذكور للفتك بها ، وذلك يثير نخوة ابن البلد للدفاع عنها ، وبدأت المشاجرة التى انسلت منها عفاف ممسكة بيديها البلوزة تدارى صدرها عائدة الى بيتها لإستبدالها ثم الذهاب للعمل .. واصل السير سنستقل المترو الى المعادى ونخرج عائدين حيث السيارة على الكورنيش ، سترى نفس المحلات التى رأيتها نهارا لكنها الآن مضاءة بأضواء نيون بألوان جذابة ، واللافتات مكتوبة معظمها بغير العربية ، فهذا مطعم شى لامى ، وهذا لافرز شوب وذاك حلوانى لا بوم .. بداخل السيارة عائدا بك أراك شاردا .. سأردد عليك ..

نعم يا عزيزى نحن لم نسافر من بلد إلى بلد بطائرة أو سفينة فضائية .. انهما مدينتان متجاورتان فى نفس البلد ، فى جمهورية مصر العربية ، حى المعادى وحى دار السلام .. لقد وددت أن أصطحبك بنفسى لأجعلك ترى بعينيك الأماكن التى ستدور فيها أحداث الرواية ، وكذلك أعرفك ببعض شخصياتها ، حتى لا تتهمنى أننى أتخيل ما هو ليس بموجود على أرض الواقع .. لقد رأيت بنفسك .. لكن ما الذى يحدث خلف الأسوار فذلك ما ستقرأه فى الرواية .. وصلنا الآن حيث قابلتك أول مرة .. فى رعاية الله ، وصحبتك السلامة .

-٢-

تغمر السعادة قلب ميار العروس التى تجلس إلى جوار عريسها وليد نور الدين فى أحد قاعات الأفراح بفندق سوفيتيل المعادى .. بدا العروسان فى قمة السعادة وميار تنثر بسماتها الرقيقة هنا وهناك بينما وليد تبدو ابتسامته وكأنها مرسومة على وجهه بفعل فاعل ، ولما لا

؟ وهو ضابط شرطة ابن اللواء نور الدين ، فقد حظى بتربية جافة صارمة منذ نعومة أظافره ، ولولا والدته التى كانت عكس أبيه تماما فى طباعها المرحة المنطلقة المحبة للحياة لما طاق الحياة فى صغره ، وكانت طباع والده القاسية تلين كلما ترقى الى رتبة أعلى ، وكأن طباعه القاسية الصارمه مستمدة من طبيعة العمل فكلما ترقى فى العمل وصار عمله اداريا بعيدا عن البحث والتحقيقات وقلت عدد ساعات العمل اليومى كلما صار أكثر لينا ، فترك تربية وليد إلى أمه مدام شريفة التى دللته كثيرا ، وتركت هى تربية ابنتها الصغرى يارا إلى أبيها الذى أحبها أكثر من وليد وتعلقت يارا بأبيها ، فدائما ما تتعلق البنات بآبائهم ليستكملن بهم ذلك النقص الذى دائما ما تشعر به البنت فى أعماقها أمام الرجل ، جلست مدام شريفة ترتدى التايير الأسود المخطط بالطول وجسدها البض رغم سنها يبدو من خلف القماش الشفاف ترنو بعينيها ذات الرموش الهدباء إلى العروسين مبتسمة ، تتخيل ما سيحدث بينهما عقب الفرح والإختلاء على فراش الزوجية .. شب وليد بشخصية تمزج

بين القسوة وحب الذات والرغبة فى الإحساس الدائم بأنه مدلل ، لم يعرف فى حياته معنى الحب بين الرجل والمرأة ، فقد بدأت حياته مع الجنس الآخر بفتاة مومس ، مارس معها الجنس وصادقها وهو لا يزال طالبا فى الثانوية العامة ، تلاشى تكوينه العاطفى تجاه الجنس الآخر حينما اتسعت دائرة النساء من حوله وهو طالب كلية الشرطة ، جميعهن من العاهرات وفتيات الليل ، وبعدما تخرج بعد الكلية انهى علاقاته واحتفظ لنفسه باثنتين أو ثلاثة فقط يدورون فى فلك حياته ، والسبب الذى جعله يبقى عليهن دون الباقيات كان الجنس ، فالعلاقة التى تجمع الرجل بالمرأة لا يرى وليد فيها سوى الجنس ، من تمتعه أكثر وتتفنن فى الإتيان بالجديد إستمرت معه ومن يمل منها أنهى وجودها فى مجرى حياته ، لذا كان الجنس بالنسبة لوليد غريزة ممتعة بحتة لا يختلط بها لديه أية عواطف أخرى .. قرر الزواج بميار التى اختارتها أمه لأنها ابنة أقرب صديقاتها ، فرغم الخلاف الظاهر بين مدام شريفة والدة وليد بملابسها المكشوفة ومدام مريم المحجبة المحتشمة ربة المنزل التى

حرصت على تربية ابنتيها على الأخلاق النبيلة والقيم الرفيعة ، إلا أن شريفة وجدت فى زميلة الدراسة مريم ما تكمل به نواقصها فإجتمع الضدان ليتكاملا ، مضت كل واحدة فى حياتها لكن الزيارات والاتصالات لا تنقطع ، كثيرا ما حكت شريفة أسرار مغامراتها إلى مدام مريم ، وتسعد شريفة بتوبيخ مريم لها وحثها على الكف عما تفعل ، قد يسأل أحدكم وما الذى يدفع امرأة فاضلة مثل مدام مريم إلى صداقة إمرأة مثل شريفة ، كما قلت لكم إجتمع الضدان ليتكاملا ، فكما كانت شريفة ترى فى مريم الوجه الآخر ، كانت مريم كثيرا ما تستمتع بحكايات شريفة عن مغامراتها فى عالم الرجال ، وبدأ هذا الاستمتاع حين كانا فى مدرسة المعادى الثانوية بنات فى تختة واحدة ، شريفة بشعرها الناعم المنسدل فاتحة قميص الزى المدرسى ويظهرأعلى صدرها للأعين وجونلتها القصيرة تنحسر عند منتصف فخذيها ، تجلس ملاصقة لمريم المحجبة بالزى المدرسى المحتشم ، تسوقها شريفة بعد إنتهاء اليوم المدرسى ليعبرا الكوبرى أعلى خط السكة الحديد الخاصة بالمترو ،

المكتظ بطلبة مدرسة المعادى الثانوية والتى كانت عسكرية فى هذا الوقت ، فهى كأى مدرسة ثانوية عادية من جهة ، مع تدريب الطلبة على الحياة العسكرية المنضبطة من جهة أخرى ..
وبسبب هذه التربية العسكرية المنضبطة ، ما إن ينتهى اليوم الدراسى حتى يهرع الطلبة إلى الكوبرى على الفور لمغازلة ومناغشة الفتيات ، كان ذلك فى عام ١٩٧٥ ، شريفة تحظى دائما بمغازلات الطلبة اللذين يندفعون خلفها ، ليس بسبب الزى المدرسى من القميص البمبى الضيق الذى يبرز صدرها الكبير وجونلتها الزرقاء القصيرة الضيقة التى تبرز أردافها المتماوجة مع مشيتها ، ولكن أيضا لجمالها الفاتن المثير ، على النقيض لم تكن مريم تحظى بأية مغازلات ليس بسبب الزى المدرسى الواسع الذى لا يظهر تضاريس جسدها ولكن أيضا لأن وجهها لم يكن على القدر الكبير من الجمال الفاتن ، كانت تجذب شريفة من زراعها ليسرعا فى عبور الكوبرى هربا من المغازلات الوقحة تحتضن كل منهما شنطتها على صدرها ، بينما كانت تتمنى مريم بداخلها أن تحظى بعبارة غزل

واحدة من تلك التى تنهال على شريفة من الطلبة السائرين خلفهما

- انتى بجد احلى بت شوفتها
- بتسابقى ليه بس .. كده تتعبى قلبى وراكى
- ايه الحاجات اللى بتتهز ورا دى

يرد آخر مسرعا

- دى طيزها يا أعمى

كانت شنطة شريفة الدراسية من ماركة نايك (nick) والتى يحب الطلبة المراهقون أن ينطقوها بدون حرف الألف ، وإلى جوار الإسم علامة صح كالوجو للماركة التى لم يكن يحظى بها سوى الأغنياء فى ذلك الوقت ، لذا دائما ما تسمع شريفة من الطلبة الجملة المتكررة

- ممكن بعد إذنك أعمل اللى مكتوب ع الشنطة

فيبادر آخر بوقاحة

- كده يا قمر تكتبى كده ع الشنطة ، بس أنا بتاعى مش رفيع زى العلامة اللى جنب الاسم دى

يرد آخر

- طب بلاش أعمل اللى مكتوب .. حطينى مكان الشنطة

- قصدك تاخدك على صدرها ياض .. انت
لسه بترضع ولا إيه ؟
كثيرا ما حاولت مريم جعل شريفة الابتعاد عن الطلبة ، ولكن شريفة كانت تستمتع وتشعر بأنوثتها المبكرة ، يزداد لديها ذلك الإحساس بمرافقة مريم التى لا تطولها كلمة غزل واحدة ، فيتملكها احساس أنها تملك ما لا تملكه صديقتها مريم التى لم تنسى طوال حياتها ذلك اليوم الذى عادت فيه من المدرسة بصحبة شريفة
وانخرطت فى بكاء حار بعد الذى سمعته من الطلبة من خلفهما
- أنا نفسى أفهم ايه اللى يخلى قمر زيك تمشى مع واحدة جبس زى دى
- آه يا أخى وايه اللى لابساه ده جيبة ولا بنطلون
- لما انتى محترمة كده مع ان شكلك اصلا ما يخليش حد يعبرك ، ايه اللى بيطلعك الكوبرى ما تغورى من الناحية التانية
- بس ياض انت وهو حرام عليكوا .. صعبت عليا

تجلس مدام مريم أم العروسة الآن بملابس أنيقة محتشمة والحجاب الذى يغطى صدرها على المنضدة المجاورة لتلك التى تجلس عليها مدام شريفة أم العريس ، إحتفظت شريفة بجمالها الذى شبت عليه مع إختلاف أنه لم يعد جمال الفتيات بل جمال إمرأة ناضجة متأججة تحرص دوما على العناية بجسدها وجمالها ، بينما فعل الزمن فعلته بمريم التى تبدو أكثر من سنها البالغ خمسون عاما ، وفى عينيها دموع الفرح فها هى الآن قد أوصلت ابنتها إلى بر الأمان وتدعو للأخرى بابن الحلال ، انعكست بالطبع نشأة مريم على تربيتها لابنتيها ، لذا نشأت ميار كالقطة المغمضة ، لم تصاحب شابا من قبل ، فقط زملاء الدراسة والعمل بعدما تخرجت من كلية الإعلام واشتغلت صحفية تحت التمرين فى أحد المجلات الفنية ، كانت تتمنى أن تكون اعلامية مشهورة ، لكن ظهور وليد فى حياتها ، جعلها تستبدل كافة أحلامها وتستسلم لطلبات أمها التى جائت على هوى وليد ورغباته

- الست ما لهاش غير بيتها وجوزها .. وماله لما تبقى ست بيت .. بكره لما ربنا يتم لك

على خير ويرزقك بالأطفال هتعرفى معنى كلامى

فتركت ميار العمل لتتم زواجها بالملازم أول وليد الذى يكبرها بثلاثة أعوام ، هى الفاصل الزمنى بين زواج شريفة وزواج مريم .. يجلس الى جوار مريم الأستاذ عبد القادر زوجها الذى أمضى حياته الهادئة مع زوجته والبنتين محاسبا فى بنك بالمعادى والآن هو على المعاش ، أنفق الجزء الأكبر من مدخراته والذى جاء معظمها من إرث قديم، فى تجهيز ميار بما يليق بها ، رغم محاولات شريفة هانم وزوجها اللواء نور الدين سليل العائلة الثرية والذى يملك فيلا فخمة بأرقى أحياء المعادى والآن هو على وشك الخروج من الخدمة على المعاش ، أن يتحملوا النصيب الأكبر من تجهيز العروسين وتأثيث مسكن الزوجية ، لكن كرامة الأستاذ عبد القادر تصدت لذلك وأصر على أن يتحمل هو النصيب الأكبر ، كان مقررا فى البداية أن مسكن الزوجية سيكون فى أحد طوابق فيلا اللواء نور الدين ، إلا أن ميار طلبت من وليد أن يشترى شقة بعيدا عن أهله ، فهى تريد أن تشعر

بخصوصيتها فى بيت مستقل ، ووافق وليد لأنه كان يتعامل مع مشروع زواجه من ميار كأنه قدرا مقدورا ، فها هو قد بدأ عامه السابع والعشرين وعليه أن يتزوج وتكون له أسرة بمنأى عن أبويه.

الجميع سعداء يرقبون فقرات حفل العرس ، حيث الأغانى الرومانسية الجميلة ، والرقصات الاستعراضية التى تؤديها الفتيات الروسيات الجميلات ، بملابسهن الشفافة المثيرة ، ثم بدأت الأضواء النيونية تخبو وحل محلها أضواء الليزر الملونة ، فتشعر وكأنك فى مكان ساحر جميل ، قام العروسان وسط الأضواء الملونة يتراقصان متعانقان على الألحان ، وأحاط بهم الجميع يصفقون ويلقون بالورود ، حتى إنتهى الحفل الميمون ، وخرجا العروسان وسط الشموع ، وليد ببدلته السوداء الأنيقة والبيبيونة الحمراء ، والى جواره ميار بفستنات الزفاف الرائع ، والحجاب الذى أصرت على ارتدائه حتى فى يوم زفافها .. ركبا العروسان السيارة المزينة ببوكيهات الورود ، وأسرعت مدام

شريفة تركب سيارتها القطة ، والى جوارها زوجها اللواء نور الدين وتسير خلف سيارة العروسين وسط الموكب الأنيق .

فى شقة الزوجية وداخل حجرة النوم بعد تناول العشاء ، كانت ميار مضطربة ومتوترة وكأنها تنتظر شئ غامض مجهول على عكس وليد الذى كان هادئا قليل الكلام ، خلع وليد جاكت البدلة والبيبيونة ولما رأى ميار تخلع فستان الفرح بيد مرتعشة ، ابتسم ساخرا وقال

- خدى راحتك

قالها وليد وهو يخرج من الغرفة الى البلكونة وجلس بالقميص الأبيض والبنطلون الاسود على كرسى ملاصقا لسور البلكونة الحديدى المغطى بالزروع .. أخرج سيجارة حشيش وأشعلها وظل ينفث دخانها يستحث الخدر اللذيذ ، رن الموبايل فالتقطه من جيب البنطلون ، كست وجهه ابتسامة واسعة حين رأى اسمها على الشاشة

- ايوه يا شهد

- هانيالك يا عريس .. مش عارفة ليه غيرانه أوى وعايزه آجى أقطعك بأسنانى .. عديت الاشارة الحمرا ولا لسه ؟

- لسه

- ايه .. معصلجة معاك ؟

- زى ما حكيت لك دى خام اوى وعلى نياتها .. وانتى عارفانى أنا ما بحبش النوع ده

- ما انت عشان كده اتجوزتها .. ما انت لو نفسك فى واحدة متودِّكة .. كنت اتجوزنى انا شرعى بدل الورقة العرفى اللى بينا دى

يقطع المحادثة صوت ميار ينادى

- وليد .. وليد

فينهى وليد الاتصال مع شهد قائلا

- طب يالا سلام بأه

- الليلة ليلتك يا عريس .. بالراحة عليها دى خام و على نياتها .. ولا أقولك دوس براحتك خليها تتودك من أولها

دخل وليد غرفة النوم ليجد زوجته ميار مرتدية قميص نوم مثير ، تجرد من ملابسه وصار عاريا ، اندهشت ميار حين رأته هكذا ، فقد

كانت تتوقع انه سيرتدى بيجامة ، وحانت لحظة اللقاء الجنسى الأول بين وليد وميار ، ولكن هيهات الفارق بين الجنس عند وليد والجنس عند ميار ، لكى تعرفوا ماذا يعنى الجنس عند ميار ؟ يجب أولا أن تتعرفوا على شخصيتها عن قرب ، فرغم أنها لم تكن تملك وجها فاتنا الا ان قسمات وجهها من النوع المريح للأعين ، تملك صدرا وأردافا لاهى بالصغيرة ولا هى بالكبيرة ، لكنها جميلة ومثيرة ، مشكلة ميار فى أنها لا تشعرك بروح الأنثى ، ولم يكن أسلوب تربيتها من أمها وحده هو السبب فى ذلك ، بل كانت طباعها التى ورثتها عن أبيها هى السبب الرئيسى ، فهى شخصية مستسلمة وديعة على الدوام ، لدرجة تجعلها تميل الى الخنوع والإنهزامية .. دائما ما تكون تصرفاتها رد فعل لما حولها ، لا تفعل بل تنتظر الفعل ثم تتصرف كرد فعل له .. فشخصيتها هذه مع اسلوب تربيتها جعلاها فتاة بالغة فى منتصف عامها الرابع والعشرين فى الحياة وهى بلا أية خبرات من اى نوع ، حتى تكوينها العاطفى جاء سلبيا ، حين تقدم لها وليد ورغم انها على مدار ثلاثة

أشهر فترة الخطوبة لم تسمع منه كلمة حب واحدة ، إلا أنها لم تكن تعبأ ، فهى أيضا لم تقل له ما تقوله الفتاة لخطيبها من تعبير عن الحب والمشاعر ، كانت ترى وليد بتصرفاته التى أحيانا مع تظهر امامها خشنة صلفة أنه رجل وهذه هى الطبيعة الذكورية التى لم ترها فى ابيها ، لكن وليد ضابط الشرطة من الطبيعى أن يكون جافا صلفا .. كلما اقترب موعد زواجها وجدت نفسها تفكر فى الجنس ، أو بمعنى أدق تخشى ذلك الفعل لأنه شيئا مجهولا بالنسبة لها ، تذكرت المرة الوحيدة التى حادثتها أمها عن تلك المنطقة الحميمة الغامضة بين فخذيها حين داهمتها اول دورة شهرية لها ، وكانت محاضرة الأم فى هذا الشأن لطمأنتها أنه أمرا عاديا يحدث لكل امرأة وجائت اغلب المحاضرة عن كيفية الاهتمام بنظافة تلك المنطقة الحميمة وغسلها بالماء والصابون باستمرار ، واستبدال كيلوتاتها كلما طالها العرق بعد أية مشوار .. لذا بدأت ميار عند اقتراب زفافها الى وليد فى مطالعة الانترنت سعيا وراء أية معلومات عن هذا الشئ الغامض ، كلما كتبت فى محرك البحث جوجل

أية عبارة تحوى كلمة (جنسية) ، حتى تظهر لها آلاف المواقع من بين إسلامية تتحدث عن الجنس بين الرجل والمرأة بالآيات والأحاديث الشريفة التى تشرح القول القرآنى (وقدموا لأنفسكم) .. ومواقع أخرى تشرح ذلك من الناحية الطبية العلمية ، ومواقع أخرى إباحية بالصور ومقاطع الفيديو الجنسية ، كانت ميار تجرى بالماوس كلما لمحت عيناها لفظا اباحيا شاعرة بالإشمئزاز .. قرأت كتاب تحفة العروسين ، وقامت بتحميل مقاطع فيديو للدكتورة هبة قطب أستاذة السيكسكولوجى والذى يسمونه الطب الجنسى رغم أن الترجمة الحرفية هى علم الجنس ، فالجنس صار علما يُدرس فى بلدان العالم الغربى ، ظلت تشاهد ميار الدكتورة هبة قضب فى مقاطع الفيديو المسجلة من برنامج كلام كبير على قناة المحور وقناة الحياة ومنتشرة على الانترنت ، وجائت فقرة استقبال الاتصالات الهاتفية وسمعت ميار أحد المتصلين يقول

- شكرا يا دكتورة هبة على البرنامج الجميل ده .. أنا ليا سؤال عن موضوع سرعة القذف وإيه علاجها

- مافيش تعريف ثابت للمدة الزمنية الخاصة بالممارسة الجنسية ، دى بتختلف من شخص لآخر .. لكن لو كان عامل الوقت ما بيحققش الرضا النفسى والاشباع الكامل للطرفين ، هنا بنقول إن فيه سرعة قذف .. ودى علاجها ببعض العقاقير وكذلك تمرينات معينة اتسمت باسم الطبيب والطبيبة اللى ابتكروها وهى تمرينات ماسترز وجونسون .. معانا اتصال تانى .. الو

هكذا أجابت الدكتورة هبة قضب على المتصل بإجابة لا تغنى ولا تسمن من جوع ، فلا هو عرف العقاقير التى تطيل مدة الممارسة الجنسية ، ولا عرف ماهى تمرينات ماسترز وجونسون .. وعليه أن يذهب للصيدليات بحثا عن العقاقير أو عليه أن يبحث فى الكتب والمواقع المتخصصة عن تمرينات ماسترز وجونسون ،

لم يكن ذلك يهم ميار فى شئ ، فأصغت للإتصال التالى تتابع

- البرنامج ده هايل بجد يا دكتورة .. أنا عندى مشكلة .. باحس ان العضو عندى مش مظبوط
- ازاى يعنى ؟
- يعنى باحس كده انه مش مستقيم ، وبالاقيه بيـ...

يقطع معد البرنامج الإتصال وتجيب الدكتورة مسرعة

- دى حاجة يا محمد هتحتاج منك إنك تروح لدكتور أمراض تناسلية وهو يشخص اللى عندك .. طب ناخد الإتصال ده .. الو
- ازيك يا دكتورة أنا مدام ايمان من القاهرة ، باشكرك على البرنامج الجميل ده .. انتى بتقدمى لينا معلومات جميلة بنستفيد بيها
- شكرا ليكى يا مدام ايمان
- أنا كنت عايزة أسأل حضرتك لما قولتى ان الأوضاع الجنسية المفروض تتغير بين الزوجين عشان ما يحصلش ملل .. وأنا زوجى طلب ده بس هو عايز إن الممارسة

نفسها تكون مختلفة .. وطلب إننا نجرب
الممارسة الخلفية بس أنا قلت أسـ...
يقطع معد البرنامج الاتصال وتجيب الدكتورة هبة بتوتر وعصبية
- يا جماعة فى مسلـَّمات ما ينفعش إن حتى
نتكلم فيها .. أى حاجة حرمها الشرع
وبتخالف الطبيعة اللى ربنا فطرنا عليها ، ما
ينفعش نسأل فيها

هكذا أدركت ميار أنها لم تستفد شيئا سوى إدراك الإطار العام ، فأنا حين أحادثك عن شئ لم تحياه ولم تشاهده على حقيقته ، فلن تدرك المضمون ، فقط ستستشعر الشكل أو الإطار العام .. كذلك أدرك القائمون على البرنامج أن مشكلة تلك النوعية من التثقيف تعتمد على المتلقى ، فوجدوا أنه تحول الى برنامج للمراهقين على غرار إسأل إستشير فى فقرة عيادة التناسلية بمجلة طبيبك الخاص .. فلجأوا الى الإتصالات المسجلة ورسائل الإس إم إس والإميل للتفاعل مع المشاهدين ، وسرعان ما إختفى البرنامج .. بعد بضعة حلقات مكررة المواضيع عن أطوار العملية الجنسية الأربعة الإعداد والإيلاج

والأورجازم والإسترخاء وبعض النصائح الخاصة بليلة الدخلة ، وبالطبع لم يكن من الممكن شرح المزيد .. وجدت ميار نفسها بعد كل هذا الكم من المعلومات التى جمعتها وقرأتها اليوم عن ذلك الشئ الغامض ، لم يؤدى سوى لإشعال فضولها من أجل الاستكشاف ، لكن الأمر بدلا من كونه مجهولا صار مبهما ، لا تدرى هى كيف كتبت فى محرك البحث (مقاطع جنسية) .. وقامت مسرعة تغلق باب غرفتها بالمفتاح خشية أن تدخل أمها أو أختها عليها ، وعادت تتصفح أحد المواقع الإباحية .. طبيعى أن تشعر ميار بالإشمئزاز بمجرد أن وقعت عيناها على الصور التى تحوى قضبانا هائلة مصقولة ، ورغم أن تلك المناظر حركت غريزتها إلا أن الجنس ليس مجرد غريزة فقط ، فوجدت نفسها تشيح بوجهها ، وقلبها يخفق بمجرد تخيلها أن شيئا كهذا يمكن أن يخترق موطن عفتها ، ألا يكون ذلك أمرا مؤلما .. تقلصت معدتها حين قرأت العناوين .. قررت ميار إغلاق الصفحة لكنها رأت عنوان (مقطع جنسى رومانسى تحفة) .. أرادت أن ترى تلك

النوعية من الرومانسية ، فشاهدت مقطع من أحد الأفلام الأجنبية لرجل يقبل إمرأة بقبلات رقيقة هادئة ثم يعتليها دون أن ترى ميار ما يحدث فى منتصف جسديهما .. انتهت عملية البحث والإستطلاع التى شنتها ميار لإستكشاف ذلك المجهول لتجد نفسها فى النهاية وإن كانت أدركت الكثير مما كانت لا تظنه موجودا إلا أن الأمر تحول من المجهول إلى المبهم .

أما وليد الذى لم يضاجع من قبل إمرأة عادية ، بمعنى أنه لم يمارس الجنس كما يمارسه أغلب الناس فى حياتهم ، حيث لم يعاشر هو سوى المومسات وفتيات الليل طوال حياته ، وانتهى الأمر به متزوجا عرفيا من نصف عام من شهد تلك التى تعرِّفك بنفسها على أنها فنانة ، بدأت ركراك فى كبارية لمناغشة الزبائن على الترابيزات ، ثم سرعان ما ساعدها جمال وجهها وتناسق جسدها المرسوم بريشة فنان مبدع ، فى أن تترقى سريعا من ركراك إلى فنانة لها فقرة غنائية راقصة تقدمها على مسرح الكبارية ، تطمح فى صعود سلم المجد لتصبح مطربة

مشهورة ، ظهرت فى بعض الأفلام فى مشد أو مشهدين أشبه بكومبارس ، وظنت أنها وضعت رجلها على أول السلم فوجدت أنه لا شئ يحدث أكثر من ذلك .. إلتقى وليد بها ذات ليلة عندما كان ساهرا مع صديقه خالد بالكباريه يحتسيان الخمر .. ناغشها وطلبها فقبلت لما عرفت أنه ضابط شرطة ، تعددت اللقائات بين وليد وشهد ، ووجد نفسه متعلقا بها ، ليس حبا أو هذا النوع من الترابط العاطفى وإنما لأنه وجدها تشبع رغبته فى التدليل الجنسى ، حيث كانت تمعن فى إمتاعه جنسيا بكل فنون الجنس ، ووجد وليد لديها ما لم يجده فى الأخريات ، طلب منها ألا تمارس الجنس مع غيره وسيشترى لها شقة مفروشة بإسمها على أن تبقى فى عملها كما هى ، وإذا إحتاجها تكون تحت أمره ورهن إشارته .. ترددت شهد فى بادئ الأمر ، فما الذى يجعلها وهى فى الخامسة والعشرين أن ترتبط بمن يقيد بعضا من حريتها ، إلا أن شقة مفروسة تمليك بإسمها فى شارع ٩ بالمعادى كان كفيلا بقتل ترددها ، وافقت بشرط الزواج عرفيا ، ولم يجد وليد مانع من ذلك فهى ورقة لا أكثر ولا أقل

ولن يتم توثيقها ووجودها مثل عدمه .. تفننت شهد فى الغوص به فى بحر اللذة والمتعة ، ووجد نفسه ينهى أية علاقات أخرى ويكتفى بشهد .. ومرت الأيام ليجد نفسه مضطرا لأن يخطو تلك الخطوة الإجتماعية التى لابد منها والتى يسمونها الزواج ، فأمتثل لرغبة أبويه ووافق على التقدم لميار التى اختارتها أمه .. قطعا لم تكن لديه مشاعر وعواطف تجاه ميار طوال فترة الخطوبة القصيرة ، هى بالنسبة له مجرد فتاة من أسرة محترمة تصلح لأن تحمل اسمه وتكون أما لإبنائه ، فلم يكن يحس بإحاسيس ذكر لأنثى تجاهها .. ليس فقط بسبب طبيعته التى تكونت من علاقاته بالعاهرات وفتيات الليل ، ولكن أيضا لأن ميار لم تشعره أنها أنثى ، لم يراها تمشى تلك المشية المتقصعة التى تمشيها شهد ، ولا تبرز مفاتن جسدها كما تفعل من عرفهم من فتيات ، بل حتى طريقتها فى الحديث لم تكن تلك الطريقة الناعمة التى تحظى بها النساء ، وحتى المكياج الجميل على وجهها الآن فى ليلة زفافها لم يكن من النوع الذى يثيره ، تنهد وليد العارى تماما الآن يجوب

بعينيه أنحاء جسد زوجته ميار عله يشعر بإثارة ما تجاهها .. أمعن النظر فى صدرها ومد يده ينزع عنها قميص النوم ، فوجد سوتيانا وكيلوتا باللون الأحمر ، فك مشبك السوتيان وخلعه برفق وألقاه بعيدا .. أرقدها على ظهرها فرأى وجهها مضرجا بحمرة الخجل تحت ضوء نجفة الكريستال ، تهرب بعينيها من النظر فى وجهه .. بدأ بتقبيلها بقبلة لم تجدها ميار قبلة ، بل كانت أشبه بقضمه ، تركت نفسها له مذعنة تترقب ، لم تكن تشعر بإثارة جنسية فكل ما يشغلها هو ذلك الغشاء الذى سيؤلمها تمزقه ، تتمنى لو أغمضت عينيها وفتحتها لتجد الأمر قد إنقضى .. أما وليد فقد بدأ يتوتر ، فقضيبه لم ينتصب بعد .. كيف ذلك ؟ وهو الخبير الذى لا يشق له غبار فى عالم الجنس ، كان يحتاج فى هذه اللحظة ليد تقبض على قضيبه تدلكه ، وفم دافئ ناعم رطب يمتصه ، لكنه الآن ليس مع شهد أو مثيلاتها إنه مع نموذج جديد لأول مرة يجتمع به ، أنثى بلا خبرات فى الجنس ولا حتى خبرات فى الحياة ترقد من تحته مذعنة مستسلمة ، وذلك أمرا لا يثيره جنسيا ، يحتاج لمن تناغشه وتمتص لسانه

وفمه وتحيطه بأرجلها بين فخذيها .. ظل يقبل ميار ويقضم رقبتها ، ثم أمسك ثدييها براحتيه يعتصرهما يستجدى الإثارة الجنسية ، بالكاد بدأ قضيبه فى الإنتصاب .. نزع الكيلوت بيد واحدة فى عصبية وسلته من أرجل زوجته وألقاه على الأرض .. رفع رجليها على كتفيه جالسا على ركبتيه بين فخذيها .. دلك قضيبه بيده يحثه على مزيد من الإنتصاب ووضع رأسه على فتحة مهبلها وبدأ بالدفع ، فسمع شهقة وصرخة ألم

- آههه .. إيه ده .. بيوجع أوى يا وليد

قالتها ميار وهى تمد يدها تضعها على ما بين فخذيها لتمنع دخول قضيب وليد الذى سرعان ما جعلته صرختها يخبو ويرتخى ، لينهض عنها وليد يرتدى بيجامته فى سرعة وعصبية ويتجه إلى البلكونة ، وشرع فى إشعال سيجارة حشيش ، إلا أنه تذكر أن السيجارة الأولى قد تكون سببا فى عدم إنتصابه الكامل ، فالحشيش يمنع سرعة القذف ، لكنه مع إحساس عدم الإثارة الجنسية يصيبك بالعجز .. لذا أشعل سيجارة غير محشية وبدأ ينفث دخانها بضيق ، فى الوقت الذى أسرعت ميار فى إرتداء قميص نومها وذهبت

للحمام تغسل ما بين فخذيها وكأنه أصيب بدنس يجب التطهر منه ، ولما عادت للغرفة تلقت إتصال أمها التى كانت تدرك أن ابنتها الآن فى أصعب ليلة فى حياتها تماما كما حدث معها ليلة دخلتها

- ايه طمنينى .. خلاص
- لسه يا ماما
- ليه .. إيه اللى أخركوا كده

كعادة ميار منذ طفولتها تحكى لأمها كل ما يحدث لها فى ساعات يومها .. ولما علمت الأم بما حدث قالت

- بصى يا ميار ده عادى .. لإن انتم بتبقوا مشدودين وقلقانين .. ما تفكريش فى حاجة خالص وإرخى نفسك ع الآخر ، وابقى حطى تحت منك مخدة عالية شوية .. ورجلك تبقى مفتوحة ع الآخر .. وأهم حاجة تتشطفى من الدم كويس .. وما تعملوش حاجة غير بعد ساعة ولا ساعتين عشان جرحك مايزيدش ويقعد يجيب فى دم أو يوجعك

كانت هذه هى المحاضرة الثانية التى تسمعها ميار من أمها عن تلك المنطقة الحميمة من جسدها ، وتعجبت لماذا لم تخبرها أمها عن ذلك بالأمس .. هل كانت تنتظر فشل المحاولة الأولى لفض غشاء بكارة ابنتها حتى تعطيها النصائح .. لكن ميار لا تعلم أن أمها هى الأخرى لم يحدثها أحد فى هذا الشأن بل سمعت قصصا خرافية عن الألم والدم ، فانتظرت لتخوض ابنتها التجربة الجديدة ولما وجدتها فشلت فى المحاولة البكر ، سكبت لها كل ما تعلمه بهذا الشأن والذى لم يكن ذا فائدة ، إلا أن ميار إعتقدت أن ذلك هو الصحيح الذى عليها إتباعه ، ولم تدرك أن ذلك هو الوقود الذى سيشعل النار حين إتجهت إلى البلكونة تقول لزوجها

- أنا آسفة يا وليد

قالتها وهى تمد يدها الناعمة وتمسح على خده بحنان ، ثم تبتسم وتتابع

- مش هاصرخ تانى .. يالا

قالتها وهى تجذب وليد من يده تتجه به إلى السرير .. خلع وليد بيجامته وعاود تكرار ما حدث يستحث إثارته .. بينما ميار نفذت ما قالته

لها أمها حرفيا .. وضعت تحتها مخدة وباعدت فخذيها على اتساعهما وأرخت نفسها على الآخر ، ولولا تسارع دقات قلبها التى جعلت صدرها يعلو ويهبط لباتت أشبه بجثة بلا حراك .. تجلى الفشل أمام عينينه وليس أية فشل ، فوليد من الممكن أن يتقبل أية فشل يواجهه عدا هذا النوع .. أضف إلى ذلك كونها أول مرة يحدث له ما حدث وهو زير النساء الذى مارس الجنس مع الكثيرات وفى آخر مرة مارس الجنس مع شهد ثلاثة نوبات فى ليلة واحدة بشهوة عارمة وغريزة متأججة ، والآن يعجز عن فض غشاء بكارة زوجته من تحته راقدة مذعنة مستسلمة .. حتما لم يصدق وشعر أنه يتخيل فقد لعب الحشيش برأسه .. لكنه حين رأى عيون زوجته تتسائل ، أدرك الفاجعة فنهض غاضبا يريد أن يجيب على نظراتها المتسائلة بإسقاط فشله عليها فقال بغضب

- ايه البرود اللى انتى فيه ده ؟!

إرتدى البيجامة وكأنه يصارعها ورقد على السرير يعطيها ظهره ويفحمها بالبرهان المبين على أنه ليس عاجزا

- أنا عرفت نسوان فى حياتى بعدد شعر راسى .. ماشفتش واحد باردة كده

هاهو يخبرها بالدليل أنه ليس عاجزا .. مارس الجنس مع العديد من النساء .. لكن المشكلة فيها هى .. هى التى لا تثيره بل لا تشعره أنها أنثى .. هذا معنى كلماته التى طعن بها زوجته ليلة زفافهما .. إعتلمت كلماته بصدر ميار تحرقها ، تشعر أنها مهانة منتقصة الكرامة ووجدت دموعها تنساب ، ولما لا ؟ بعدما أهينت أنوثتها .. لكنها هدأت وتسائلت لماذا لا يكون معه حق ؟ .. هى نفسها تدرك ذلك ، ليس أنها باردة مثلما إتهمها هو بل تدرك أنها جاهلة جنسيا ، وجدت نفسها تسترجع وتستعيد بذهنها ما قرأته عن الجنس وترائى لها بعض ما يمكن أن يساعدها الآن ، فإقتربت بجسدها من وليد وظلت تزحف وتقترب تحث نفسها حتى باتت ملاصقة لظهره .. مدت يدها تحتضنه وقالت بهمس

- أنا آسفة يا وليد .. بس مش عارفة أعمل ايه ؟

باهتها هو كالصاعقة

- مش عارفة تعملى إيه ؟ !

- أنا عارفة إنك زى معظم الشباب كان ليك علاقات قبل الجواز .. بس بعد الجواز بيبقوا حاجة تانية

كاد وليد أن يخبرها أنه لازال على ذلك ، إمعانا فى إثبات فحولته أمامها .. إلا أنه أشفق عليها بسبب نبرة صوتها الحانية التى قالت

- ما أنت المفروض تعلمنى

تنهد وليد ليقول بنبرة دهشة حقيقية

- وهى الحاجات دى بتتعلم

قال ذلك لأنه مارس الجنس مع المحترفات دون أن يسأل نفسه كيف تعلمن هن ذلك ، ولو علم الكيفية لما رضى بذلك لمن تحمل اسمه وتشاركه بناء أسرته ، وليس معنى ذلك أن سبل تعلم المتعة الجنسية هى محاكاة مشاهد البورنو فى الأفلام الجنسية ، فالحقيقة على النقيض من ذلك ، لأن صناعة البورنو هى مجرد عمل وظيفى يتفنن القائمون عليه فى الإتيان بما لا يمت للواقع بصلة .. ترى رجلا مفتول العضلات له قضيب مصقول وكأنه مخروط بعناية مع إمرأة فاتنة بجسد مثير وتأوهات الغنج والمتعة تنبعث منها مع تلك النظرة المثيرة التى ترنوا بها إليك .. لا

تصدق ذلك فلا هو ولا هى يشعران بأية متعة .. حيث يتم حقن قضيب الرجل بأمبولة بابافيرين الذى يؤدى إلى اتساع الأوعية الدموية فى النسيج الإسفنجى للقضيب فينتصب بقوة على الفور ، وكذلك يتم حقنه بأمبولة ليدوكايين فتتخدر الأعصاب الحسية الموجودة فى المنطقة ، ليظل الرجل كآلة ميكانيكية لا يشعر بشئ وتمر ساعة وهو يتبادل مع الحسناء الأوضاع حتى يبدأ مفعول الليدوكايين فى الزوال ، وتبدأ أعصابه الحسية فى الإحساس بالإثارة ويقذف .. أما الحسناء المثيرة الفاتنة فقد مرت بمجموعة من عمليات التوسيع الجراحية لكى تستطيع أن تفعل ما تفعل مع رجل واثنين وثلاثة وأربعة وتراها فى الأيام التى تسبق التصوير لا تأكل سوى الفاكهة ، وتنظف أمعائها بتكرار الحقن الشرجية وفق نظام محدد ، ليخرج لك المشهد كما تراه .. مجرد صورة مزيفة عن الجنس .. تحفيز صناعى لممارسة جنسية كآلة بلا روح .

من أين لوليد نور الدين أن يدرك ذلك وهو يغوص فى المتعة مع العاهرات وفتيات الليل ..

يتصنعون المتعة لإثارته وأغلبهن لا تشعر بمتعة حقيقية من تحته ، وحتى شهد تغرقة فى بحور المتعة بإحتراف عاهرة وليست بشبق أنثى .. لم يكن وليد ساذجا ليعتقد أن ذلك هو العادى بين أى رجل وإمرأة ، فهو يعلم الفرق بين ما تفعله به شهد وبين الجنس الطبيعى الذى يمارسه أغلب البشر .. لكنه لم يكن يتخيل أنه يمكن أن تكون المرأة هكذا مثل زوجته ميار ، ألا يكفى أنها لا تجيد التعبير عن أنوثتها ليضاف إلى ذلك سلبية متناهية تدفعه للنفور منها ، حتى عندما يحث الإستثارة الجنسية تجاهها يجد نفسه أمامها عاجزا .. جذبته ميار ليصير على ظهره ، وبدأت بتقبيله بقبلات حانية رقيقة ، تحاول إعتصار ما قرأته وتطبيقه .. فكت أزرار قميص البيجامة ومسدت صدره وحلمتيه .. بدأ وليد فى الإستجابة .. أمسك يدها ووضعها بين فخذيه ، لم تفهم هى ما يريده ، فعبثت بيدها بعشوائية .. لكنه تحرك وبدأ ينتصب .. قاومت إحساس الخجل الذى يعتريها ونزعت بنطلون بيجامته .. قام وليد وأرقدها وأعتلاها .. وجهها لتحيطه بزراعيها وشعر برأس قضيبه تعبر .. ثم فجأة

إرتخى تماما وفشل فى المهمة .. لم يدرى بنفسه وهو يصيح فى وجهها

- ده انتى حاجة تسد النفس

أسرع يرتدى ملابسه وخرج وصفق الباب خلفه بعنف تاركا زوجته المهانة تبكى .. ركب سيارته واتصل بشهد

- عاوزك حالا يا شهد .. أنا فى الطريق للشقة
- ايه اللى حصل .. ده انت دخلتك النهاردة
- ماتتأخريش عليا
- النهاردة الخميس والشغل كتير
- بأقولك سيبى اللى فى ايدك وتيجى ع الشقة

وقبل أن يتلقى ردا أغلق الهاتف .. أدار محرك السيارة وضغط دواسة الوقود ليزمجر محرك السيارة تماما كقائدها وتنطلق .

فى الشقة المفروشة .. جلس وليد يدخن الحشيش بعصبية حتى وصلت شهد التى بادرت مسرعة تقول

- ايه اللى حصل ؟

ماكادت تنتهى من سؤالها حتى وجدت وليد الجالس على الأريكة ينقض عليها ويجذبها من

شعرها ليضع رأسها بين فخذيه .. صرخت شهد متألمة وفتح هو سوستة البنطلون وأخرج قضيبه ودسه فى فمها .. إلتقمته هى مذعنه وشعرها مشدودا فى يده وهوت تمتصه .. أمعن هو النظر يتأكد أنه ليس عاجزا .. فها هو منتصب كالصخرة .. وإمعانا فى إثبات رجولته التى كان قد فقدها منذ ساعة مع زوجته .. قام ودفع شهد على الأريكة ونزع ملابسها التى كادت تتمزق فى يديه ، وهوى يطعن شهد بقضيبه فيما بين فخذيها بطعنات محمومة آلمتها كثيرا ، فعلت أصوات صراخها التى زادته شبقا وإثارة ، فإزدادت وتيرة دفعاته وكأنه ينتقم من إحساس العجز الذى تملكه مع زوجته ميار ويثبت لنفسه بالدليل القاطع أنه فحل كامل الرجولة .. كانت الممارسة أشبه بعملية حربية أكثر منها ممارسة جنسية حتى إنتهى وألقى بجسده كحصان جامح إنهى السباق بنجاح باهر ، وسمع شهد تقول وسط لهاثها

- إيه اللى حصل ؟ .. انت مش طبيعى

حكى وليد ما حدث بينه وبين زوجته لشهد التى ضحكت وقالت

- ولا يهمك .. ما انت اتجوزتها لمجرد الجواز .. وقلت لى ان الجواز حاجة وعلاقتنا احنا حاجة تانية .. ما تفكرش فيها .. واديك شفت من شوية انت كنت عامل ازاى

قالتها وهى تقوم تجذب وليد الى غرفة النوم ليبدئا نوبة ثانية جائت أهدأ ، وخلدا بعدها للنوم العميق .

فى الوقت الذى كانت ميار تحادث أمها فى الهاتف وتحكى ما حدث وهى تبكى .. هدأتها الأم وأفهمتها أن ذلك أمرا شائعا بسبب ضغوط يوم الزفاف وما فيه من إجهاد ، وأى رجل سيغضب من ذلك ويقول ما قاله وليد

- وممكن برضه يكون فى حاجة كده

ردت ميار مستفسرة

- حاجة ايه ؟

- ممكن يكون مربوط

- يعنى ايه مربوط دى

- عمل ممكن حد يكون عاملهوله

استنكرت ميار ذلك وقالت

- لأ يا ماما .. انتى بتصدقى الكلام ده

- ده مذكور فى القرآن

-٣-

صوان كبير منصوب فى شارع الفيوم بدار السلام يسد الطريق ، فالليلة دخلة ابراهيم ابن المعلم هريدى الجزار صاحب محلات الجزارة العديدة المنتشرة فى المنطقة والذى ذبح خمسة عجول لزوم الفرح قائلا

- ده فرح ابنى البكرى .. أدبح زريبة بحالها

السيارات تنحرف للمرور من الشوارع الجانبية لأن صوان الفرح المهول يسد الطريق .. أضواء الزينة تغطى الصوان المكتظ بالمعازيم وغير المعازيم والسماعات العملاقة تأز بأصوات الفرقة الموسيقية وسلامات النقوط يصل صداها إلى أنواء المنطقة ، وعلى المسرح ثلاثة راقصات يرقصن فى إثارة ببدلات الرقص المكشوفة .. أما الترابيزات فلا تخلو من أطباق اللحم وزجاجات البيرة ومعها أطباق المَزَّة من

ترمس وجبنة قديمة مع شرائح البطاطس الشيبسى .. يدور المعلم هريدى بصحبة أبنائه ورجاله يوزعون قطع الحشيش على ترابيزات المعازيم ، وحينما قارب الحشيش على النفاذ ، صاح المعلم هريدى

- انتوا عايزين الناس تاكل وشى .. ده فرح ابن المعلم هريدى على سن ورمح .. روحوا جيبوا حشيش أوام

سحابة من دخان الحشيش إعتلت الرؤوس .. مع رائحة البيرة فى الأنفاس .. يتتابع صعود الجمع على المسرح لتحية المعلم هريدى وابنه وتقديم النقوط الواجب

- وعندك ميت شمعة من المعلم عويس .. بيحيي العريس والمعلم هريدى ملك اللحمة .. وسمعنى أحلى سلام
- وكمان هنا ميتين شمعة منورة من الحاج اسماعيل واحلى تعظيم سلاااااااااام

تبدأ الراقصات فى تأدية رقصاتهن المثيرة عقب فاصل تلقى النقوط ، ثم يصعد حسين النوبى يتمايل مع الراقصة ويشهر ورقة فئة خمسين

جنيه ، ويمسك الميكروفون ويظل يلقى بالتحيات تباعا ، فيصعد المعلم هريدى ويقول

- إن ما كانتش خمسين جنيه بقالك ساعة بتحيي المنطقة ، أمال لو كنت بتنقط بحاجة عدلة كنت عملت إيه

يرد حسين النوبى ضاحكا

- ولا يهمك يا معلم ، هاقول نكتة تساوى خمسميت جنيه واعتبرها ضمن النقوط

قبل أن يتفوه المعلم هريدى معترضا .. يصيح حسين النوبى فى الميكروفون

- بيقولك واحد صعيدى خد ميت جنيه يجيب بيها حشيش ، وهو فى السكة شاف عربية شرطة ماشية .. رمى الميت جنية وطلع يجرى

هجم المعلم هريدى على حسين النوبى الذى لا يراه إلا وهو يسخر من الصعايدة بنكته اللاذعة .. بالكاد تخلص حسين النوبى من هريدى ونزل من على المسرح لاهثا من فرط الضحك .

حول أحد المناضد كان البرنس المسجل خطر صاحب الخمس والعشرون عاما، يجلس برأسه

الحليقة على الزيرو وسط شلته فى أحد الأركان ممسكا زجاجة البيرة ويجرع منها وكأنها زجاجة مياة غازية ، يرفع يديه بين الفينة والأخرى مهتزا على ألحان الأغانى الشعبية .. أعد البرنس العدة فى ذلك اليوم لتحية العريس إبراهيم الذى كان قريبا منه فى فترة من الفترات قبل أن يستجيب لضغوط أبيه ويبتعد عن تلك الشلة التى لا يأتى من ورائها سوى الشر والبلطجة ، حيث ابتلع البرنس شريط باركينول وشريط أبيتريل وتضاعف المفعول الآن بفعل البيرة والحشيش ولكن البرنس لم يكتفى بذلك .. حيث أخرج من أحد جيوبه ملعقة إستانلس وسرنجة وأمبولة تفاجيل ، ولما وضعهم أمامه على المنضدة ، تعالت الصيحات من حوله

- قشطة عليك يا برنس
- مية مية يا معلم
- خش بصدرك ولا يهمك

إنبسطت اسارير البرنس بتشجيعات الشلة ، فأفرغ أمبولة التفاجيل على الملعقة بزهو، ووضع عليها قطعة صغيرة من الحشيش بحركة إستعراضية تنم عن أنه يقدم فقرة لا يقدر عليها

سواه ، وأشعل النار بالولاعة أسفل الملعقة لتذوب قطعة الحشيش ممتزجة بالتفاجيل ، وبحركة إحترافية سحب المزيج بالسرنجة وحانت اللحظة المنتظرة حيث صفق الجميع من حوله وعلت أصوات الصفير ، فى الوقت الذى شمر البرنس عن زراعه وخبط خبطة واحدة ينادى بها وريده الذى برز واضحا من حوله دائرة زرقاء كبيرة من كثرة الحقن فيه ، ثم دفع بسن الإبرة وأفرغ المحتوى .. ليسمع بعدها وهو يدخل عالم التوهان

- ايه الحلاوة دى يا نجم
- صحيح برنس ولا برنس غيرك يا برنس
- قوم بأه وريهم الجمال كله

قام البرنس مترنحا وصعد المسرح ، لا يدرى بشئ حوله يهتز مع الراقصات التى زغرت له إحداهن وإبتعدت حين أحست بيده تمسك مؤخرتها .. علا صوت الأغنية البديعة التى يعشقها البرنس

- أنا شارب سيجارة بنى .. حاسس إن دماغى بتاكلنى .. قاعد فى الحارة بسقَّط .. والغسيل

عمال بينقط .. والشارع اللى ورايا قدامى ..
فكك فكك فكك .. فكك فكك فكك

إندمج البرنس فى الرقص بكل أجزاء جسده .. يطيح بزراعيه فى الهواء ويضمهما على صدره ، فى الوقت الذى إقترب منه أفراد الشلة أسفل المسرح ، يمسك أحدهما بكيس بن ، وبلغ التجلى بالبرنس مداه فأخرج شفرة حلاقة موس من فمه على حين غرة وهوى به بسرعة على رأسه الصلعاء يقطعها بحركات سريعة متتابعة ، وتفجر الدم من رأسه وسط تصفيق وصيحات الشلة التى تتابع فقرة تحية العريس التى يقدمها البرنس بإنبهار.. بينما أسرع المعلم هريدى وأتباعه يصعدون المسرح

- والنبى مش عايزين الحاجات دى
- إيه ياض يا صايع منك له .. انتو جايين تبوظوا الفرح ولا أيه .. ياللا من هنا

رد أحد أتباع البرنس

- ده البرنس بيحيي العريس بس
- مش عايزين حد يحيي العريس

نزل البرنس الغارق فى دمائه النازفة من جروح رأسه ليتلقاه أفراد الشلة يكبسون رأسه بالبن لمنع

النزيف ، ويخلع البرنس قميصه ويلفه على رأسه ويتجه إلى صيدلية الرضا والنور ومن حوله باقى الشلة يهللون

- إنت الكينج بتاع المنطقة يا برنس

لم يكن البرنس يشعر بأية ألم لا سمح الله .. فبعد ما تعاطاه من عقاقير ليستعد لتحية العريس بهذه الفقرة العظيمة ، فقدت أعصابه القدرة الطبيعية على عملية نقل السيال العصبى من وإلى المخ .. ولا يسألنى أحدكم عن ماهية ذلك لأن علوم الطب العضوى والنفسى تقف عاجزة عن تفسير هذا النموذج العجيب الذى يحيا على الأرض بيننا ويتم تصنيفه كبشر .. والدليل على كونه بشر أنه لم يترك نفسه هكذا ويكتفى بالبُن ، بل ذهب لدكتور شريف بسيونى صاحب ومدير صيدلية الرضا والنور تلك الصيدلية التى تمده بما يحتاجه من عقاقير مخدرة ، ولما دخل البرنس الصيدلية بادر قائلا وسط أتباعه موجها كلامه لشريف

- أوعى تقول لى خيَّط .. إنت عارف إن أنا ما بخيطش

رد شريف المعتاد على هذا الأمر

- أدخل ياض وبطل لماضة

جلس البرنس تحت آيادى الدكتور شريف المتمرسة، الذى سكب على رأسه زجاجة كحول ولف رأسه بالشاش والبلاستر ، وأعطاه أمبولة مورفين وسرنجة ليحقنها البرنس لنفسه إذا أحس بالألم .. فلا يتعجب أحدكم .. هو بشر مثلنا يمكن بعد زوال أثر المخدرات أن يشعر ببعض الألم الذى سيعيق أريحيته ، فلماذا لا يأخذ أمبولة مورفين كمسكن لا أكثر .. أليس من حقه ؟ .

كان ابراهيم العريس يجلس فى الكوشة منبسط الاسارير .. بخلاف عروسته سماح المتجهمة وكأنها تتعمد ذلك ، كلما إقترب منها أحد للتهنئة لا يشعر أنها عروسة تُزف الليلة .. بل يدرك أنها بركان يفور على وشك إلقاء حممه الملتهبة على من حوله .. ولكى نعرف لماذا هى كذلك ؟ .. لابد أن نتعرف على سماح وكيف تزوجت من إبراهيم .

ولدت سماح فى أسرة فقيرة فى دار السلام ، يعمل أبوها سائق تاكسى لا يملكه رغم تجاوزه الآن الخامسة والأربعين ، فى حين إمتلك أقرانه

سيارات أجره يعملون عليها ، والسبب فى ذلك ليس نفقات وإحتياجات الاسرة ، بل لأن الجزء الأكبر من دخله يذهب إلى مزاجه الشخصى ، فما أن يمتلأ جيبه ببعض المال إلا وتجده ساهرا فى خمارة بائسة فى وسط البلد بصحبة أصدقائه يشرب البيرة ويرقص مع الراقصات الدميمة .. ذلك بخلاف البانجو الذى إستبدله بالحشيش الذى أغرق البلاد فى الآونة الأخيرة .. يعيش لنفسه ، يلقى بما تيسر معه لزوجته لتنفق على البيت الفقير الذى زادت نفقاته بقدوم بنتا ثانية فثالثة ، إلا أن سعيد يأبى أن يتوقف عن الإنجاب ويكتفى بثلاثة بنات يكبرن أمام عينيه وتزداد إحتياجاتهن ، وأصر رغم حالة الضنك التى إعترت شقته ذات الغرفتين فى الدور الثانى لأحد المنازل القديمة المتهالكة المواجهة لسور المترو على إنجاب الوريث .. كثيرا ما تشاجرت معه سعاد زوجته بسبب ذلك

- يا راجل حرام عليك .. عيل إيه اللى إنت عاوزه ده .. مش كفاية البيرة والهباب اللى بتشربه .. عايز واد يشيل اسمك على ايه .. تعلمه المرمطة على التاكسيات ولا تعلمه

شرب البيرة والحشيش .. ده أنا مستلفة فلوس أد كده وحالتنا بقت تصعب ع الكافر .. ياراجل قوم اتسهل على اكل عيشك ورزق بناتك

- ما انتى اللى مَرَه فقر .. من ساعة ما اتجوزتك وانتى وشك نحس .. لأ وكمان رزتينى بتلات بنات ومش عارفة تجيبى لى حتة عيل .. أنا هاشوف بأه اللى تجيب لى العيل

- جتك نيلة عليك يا موكوس .. إلهى أشوف فيك يوم .. إنت لاقى تاكل لما تتجوز يا منيل

- طب عليا الطلاق لو ما جيبتى لى العيل اللى انا نفسى فيه .. لأطلقك يابنت الوسخة وأتجوز واحدة تخلف لى الواد

بالفعل لم يمر عام إلا وأتى الولد الذى كان مصيره فى ورشة ميكانيكا سيارات وهو فى السادسة عشر من عمره .. بينما بلغت سماح الخامسة والعشرين ومضى بها قطار العمر بعدما تخرجت من كلية التجارة .. لا تدرى كيف ؟ .. كيف نجت هى من ذلك المستنقع

الذى تحيا فيه .. فشلت أختاها فى إستكمال التعليم وينتظران صاحب النصيب الذى حتما لن يختلف عن أبيهما كثيرا ، فى الوقت الذى أدركت سماح أنها الآن أصبحت مختلفة ، ليس فقط عن أسرتها بل عن بيئتها كلها ، ومن هنا صارت نفسيتها فى إتجاه مختلف .. إمتزجت طبيعتها الإنعزالية منذ الصغر باحساسها أنها افضل ممن حولها ، لينتج عن هذا المزيج شخصية يمكن أن نطلق عليها غريبة الأطوار .. وبدأ منحنى شخصيتها فى التوجه نحو منطقة عدم الإتزان حين وجدت نفسها بعد شهادة البكالريوس تجلس فى المنزل الفقير المدقع تنتظر ابن الحلال كأختيها .. إذن فما فائدة التعليم الذى أوهمت سماح نفسها بأنه سيضمن لها مستقبل وحياة أفضل .. هاهى تتساوى مع أختيها .. كان يوما جنائزيا ذلك اليوم الذى هرعت فيه سماح تحضر السكين من المطبخ تهدد أبيها وأمها بقتل نفسها ، إذا أصروا على قبول إيهاب صاحب التوك توك الذى تقدم لها ، وكانت أمها تصيح

- إنتى متعننتزة على إيه .. يلعن ابو التعليم اللى خلاكى كده .. هو انتى البرنسيسة ولا السفيرة عزيزة يا بت .. ده انتى حتى مش حلوة زى إخواتك .. عايزة تقعدى تعنسى .. مش كفاية قاعدة فى البيت زى قرد قطع .. وإخواتك بيشتغلوا وبيصرفوا عليكى .. ماله بتاع التوك توك .. ما أبوكى اهو شعره شاب ولسه بيشتغل سواق تاكس عند اللى يسوى واللى ما يسواش .. أوعى يا بت تفتكرى إن هايجيلك ابن بارم ديله يطلب القرب .. والبتاع الزفت المول اللى كل شوية تروحيه فى المعادى وقال إيه بتدورى على شغل .. فاكره إنك ممكن تستلقطى عريس من هناك ولا أيه ؟ .. على ايه ياروح أمك .. لا مال ولا جمال .. جتك نيلة .. هتتخطبى لإيهاب ورجلك فوق رقبتك

قالت الأم جملتها الأخيرة لتهرع سماح تحضر السكين صائحة

- أنا هاموت نفسى .. هاسيبلوكم الدنيا عشان تستريحوا منى

لم تدرى سماح بنفسها وسط حالتها الهيستيرية ليخترق نصل السكين صدرها ويحدث جرحا ليس غائرا ، ولما شاهدت الأم بقعة الدم على صدر سماح بين ثدييها صرخت

- يالهوى .. يا لهوى .. إلحقونى ياناس .. البت موتت نفسها .. إلحقنى يا سعيد .. بنتك بتموت

كان سعيد الأب جالسا على الكنبة يدخن لا يعبأ بالمشاجرة بين زوجته وابنته ، ولكنه مع الصرخات قام مسرعا ليجد سماح ممدة على الأرض وبقعة الدم على صدرها تتسع .. لم تفقد سماح الوعى من الجرح ، لكنها فقدت الوعى من منظر الدم النازف من الجرح الصغير بسبب سخونة دمها ، وكذلك لم تتوقع هى أن يحدث لها ذلك وسط جام غضبها ، ففقدت الوعى لتفيق فى المستشفى بعدما تم خياطة الجرح .. هكذا أذعنت الأم وأقنعت الأب برفض إيهاب والإمتثال لرغبة البنت التى خرجت بعد هذا اليوم بشخصية يمكن تصنيفها غير متزنة .. لا تنسى كلمات أمها القاسية التى عايرتها حتى بشكلها .. بالفعل كانت سماح فى شكل وجهها أشبه بسكان

قارة آسيا الشرقية من الجنس المغولى حيث الوجه المستدير والبشرة المائلة للصفرة ، والعيون الضيقة ذات الجفون المنتفخة ، كذلك جسدها قطعة واحدة دون تقاسيم الأنثى المعروفة فالصدر والخصر والأرداف على نفس الإتساع تقريبا .. جعلها هذا الشكل مثار سخرية زميلاتها فى المدرسة فى صغرها

- البت الصينية أهى
- ايه اللى جابك هنا .. انتى كنتى راحه الفلبين وتوهتى

وكذلك تحرشات الشباب على النواصى

- إيه يا أوشين
- اوشين مين يا عم .. اوشين دى كانت مزة .. ودى شكلها استغفر الله

ورغم ذلك لم تكن سماح دميمة بل كانت مختلفة بملامحها الأنثوية .. فإذا أمعنت النظر إليها ستشعر أنها جميلة بمعايير مختلفة ، فأنفها لم يكن كبيرا أو مدببا بل متناسقا مع وجهها المستدير وكذلك عينيها الضيقة خلف النظارة الزجاجية تبدو جميلة ، لكن تعبيرات وجهها التى تبدو منزعجة مضطربة على الدوام هو ما

ينفرك منها .. كانت سماح تستعيض عن شعورها بالنقص تجاه أختيها من حيث الجمال بالتباهى أمامهما بإستمرار أنه متعلمة وتحمل مؤهلا عاليا ، وذات مرة صاحت فيها أختها الصغرى

- بطلى بأه تعيشى فى الوهم .. إحنا خلاص مش عارفين نتكلم معاكى .. ومحسسانا إن انتى اخترعتى الذرة .. أديكى قاعدة أهو بشهادتك فى البيت عملت لك إيه يعنى ؟ .. طب انا واختك بنشتغل و...

قاطعتها سماح محدقة بعيون ذاهلة تصيح

- بتشتغلى عاملة نظافة فى محل ملابس .. والتانية اللى بتشتغل بياعة فى مكتبة
- ما أنا نسيت صح إنك بتشتغلى مديرة شركة ولا سيكرتيرة .. واحنا مش من مقامك وبتستعرى مننا .. انتى فعلا زى ما الناس بدأت تقول عليكى
- بيقولوا إيه المعفنين الجرابيع دول ؟
- المعفنين الجرابيع دول يبقوا أهلك وناسك اللى انتى اتولدتى وسطهم وما حدش بيغير جلده

اتجهت سماح لتقف أمام أختها الجالسة على السرير فى الغرفة التى جمعت ثلاثتهم منذ الصغر تواصل محتدة وقد إحمر وجهها

- بيقولوا عليا ايه يا بت إنطقى ؟

- بيقولوا عليكى دماغك لاسعة

لم يكن وصف الجيران والمعارف بأنها بنت لاسعة من فراغ ، بل من عدم الإتزان البادى عليها فى الآونة الأخيرة وتعاليها فى التعامل مع المحيطين .. حتى أنها كانت تسير فى الشارع وقابلتها زميلة المدرسة الإبتدائية التى رسبت فى الصف السادس مرتين وتركت التعليم وقالت

- إزيك يا سماح

ولما لم ترد سماح وتجاوزتها ، ظنت أنها لم تسمعها فعلا صوتها يصيح

- سماح سماح سماح

صمتت ثم أردفت مسرعة قبل أن تبتعد سماح

- على إيه يعنى ؟ .. ده أنا كنت عايزه أسلم عليكى .. غورى فى داهية

سماح لم ترد على ندائات زميلتها ، ليس لأنها لم تسمع ، بل لأنها إغتاظت من تفوهها لإسمها

هكذا مجردا وسط الشارع .. كان ينبغى أن تناديها بلهجة راقية

- أستاذة سماح

أعتقد أنكم أصبحتم الآن على دراية بطبيعة وشخصية سماح ، ولكن يجب أن تعرفوا علاقة سماح بالجنس الآخر .

بدأت علاقة سماح بالجنس الآخر فى الوقت الذى وقفت فى الصباح أمام المرآة تصبغ وجهها بمساحيق التجميل بعدما إرتدت التونك الأصفر الجديد ، الذى إشترته بشق الأنفس بالمال القليل الذى تمكنت من أخذه من والدها ، أمسكت بأجندة كبيرة تحتضنها على صدرها تستقل المترو إلى جامعة القاهرة .. وبداخل المدرج الخاص بكلية التجارة إنجليش جلست سماح سعيدة وكأنها إنتقلت إلى عالم آخر ، وإذا بشاب يجلس إلى جوارها يقول مبتسما

- فى حد قاعد هنا ؟

لم ترد سماح وإكتفت بهز رأسها يمينا ويسارا بإضطراب .. بدأ الشاب فى كتابة ما يقوله الدكتور ونظر إلى أجندة سماح فوجدها كتبت الكثير ، فمال عليها قائلا

- ممكن بعد المحاضرة آخد أجندتك أصور اللى فاتنى

هنا وجد الشاب سماح تحدق زاغرة فى وجهه لدرجة أنه شعر أن طلبه ذلك بمثابة شتيمة وإهانة كبيرة فتلعثم معتذرا

- أنا آسف لو كنت ضايقتك

قالها وهو يقوم مبتعدا ليجلس فى مكان آخر ، بينما سماح تملكها الإضطراب والتوتر وشعرت بالأسف سهاما تخترق قلبها .. تاهت فى الخيال تتخيل نفسها مع الشاب يسيران جنبا إلى جنب ويتجهان إلى مكان تصوير الأوراق ثم يجلسان فى أحد الكافتيريات يشربان العصير .. بدا ذلك منطقيا بين زميل وزميله ولكن ما الذى دفعها لأن تحدق فى وجهه هكذا وتجعله يفر منها مبتعدا ، هى نفسها لا تعلم ، لا تدرك أن فشلها فى تكوين علاقات طبيعية مع محيطها البيئى جعلها تفشل فى معاملة أول شاب يصادفها فى حياتها بطريقة سوية .. لم يخفف عنها وطأة إحساس الندم على ما حدث سوى زميلة إقتربت منها بعد إنتهاء المحاضرة تقول

- قاعدة كده لوحدك ليه ؟ .. المحاضرة خلصت .. أنا إيمان وانتى ؟

قالتها ايمان وهى تمد يدها تصافح سماح وتتعرف عليها ، مضت أيام سماح فى الكلية وأصبح لها بضعة زميلات لم ترقى علاقتها معهن إلى درجة الصداقة .. فعلى الرغم من طبيعة سماح المنعزلة إلا أنها لم تكن قليلة الكلام .. بل على العكس حين تحادث إحدى زميلاتها تندفع تثرثر وتدفق بالكلمات ، وكانت المشكلة فى المواضيع التى تتحدث فيها سماح ، دائما ما تكون تافهة تجعل من تحادثه يصرف إنتباهه عنها وسرعان ما يمل من حديثها ، فإذا تحدثت مثلا عن موضوع ما تجدها تتناول فكرة بسيطة وتظل تثرثر وتعيد وتكرر فى الكلمات وتضفى على الموضوع طابعا فلسفيا وكأنها تريد أن تجعلك تعلم كم هى مختلفة وفريدة من نوعها مما يجعلك تشعر برغبة فى الضحك عليها

- أنا قريت كتاب عن اليوجا .. اليوجا دى شئ روحانى جميل بيساعد على الإرتقاء بالشخصية والقدرة على التحكم فى الأمور .. دى مش مجرد

حركات الواحد بيعملها .. دى تمارين روحية وذهنية .. عارف مين أول من أخترع اليوجا ؟
تندفع سماح بعدها لتعرفك على مؤسس اليوجا وتاريخها عبر العصور ، وتظل تعيد وتكرر مع إضفاء لمساتها الفلسفية فى الموضوع .. لتجد نفسك تلعن اليوجا ومن إخترعها بل تلعن القدر الذى جمعك بسماح فى هذه اللحظة .. لم يكن ذلك فحسب هو ما جعل زميلات سماح ينفرن منها ، بل الطامة الكبرى هو أن شعورها بنفور من حولها منها زادها إضطرابا ، لتوهم نفسها بأنها مميزة بعقليتها وشخصيتها المستنيرة المثقفة ، أما من حولها فهم محدودى التفكير لا يفهمون عبقريتها .. لذا لجأت إلى الكف عن الثرثرة فى مواضيع لا يستوعبها سوى العباقرة من وجهة نظرها وبدأت تتحدث عن حياتها دون أن تدرى أن ذلك سيقضى على ما تبقى لها من زميلات ، فما أن تبدأ فى الحديث عن نفسها حتى تسمعها
- أنا أصلى الوحيدة اللى كملت تعليمى .. إخواتى كلهم ما كملوش تعليمهم .. عشان كده هما مش فاهمينى وبيغيروا منى وبيكرهونى .. أنا نفسى

أخلص تعليمى وأسافر بره .. عايزه أعيش مع ناس متحضرة
هكذا وجدت سماح نفسها وحيدة طوال سنوات دراستها .. كانت سماح تجلس فى المدرج ترقب ذلك الشاب الوسيم خالد الذى تلتف حوله البنات يبادلونه الكلمات وهو يحيا فى دور (كل البنات بتحبك .. كل البنات حلوين) .. يتحدث خالد عن سيارته الهيونداى الجديدة التى أهداها له أبوه بعد نجاحه فى السنة الماضية رغم أنه راسب فى مادتين سيعيد الإمتحان فيهما ، فقد سأم من السيارة اللادا القديمة .. ويضع اللاب توب أمامه يشاهد مع البنات مقاطع الفيديو المضحكة .. وفقرات الساحر المذهلة و البنات من حوله سعداء يتبادلن معه التعليقات على ما يشاهدونه .. كثيرا ما نسج خيال سماح مشاهد رومانسية بديعة تجمعها مع خالد وتجاوز الأمر ليصل إلى أحلام محرمة تجمعها بخالد ، تستيقظ لتجد ما بين فخذيها غارقا فى سوائل اللذة ، تتناول أية خرقة قماش بجوارها وتمسح ما بين فخذيها ثم تعاود النوم بعدما تهدأ أنفاسها .. حتى جاء ذلك اليوم الذى كانت واقفة فيه أمام مبنى الكلية

وحيدة كعادتها ورأت خالد يقترب منها يرتدى تى شيرت أبيض يبرز جسده الرياضى الممشوق بتناسق عضلى جميل ، وبنطلون جينز أسود أنيق وحذاء هارلى مدبب قليلا من الأمام وعلى عينيه نظارة شمس زادته جاذبيه وسمعته يسألها

- هو الامتحان فى الدور الكام ؟

حدقت سماح فجأة فى وجهه ، فكيف يجرؤ ذلك الشاب المستهتر مع البنات من الإقتراب منها وسؤالها عن شئ ما .. ثم أشاحت بوجهها وأعطته ظهرها مبتعدة بمشية متدللة وكأنها ملكة تتجه للجلوس على عرش مملكتها ، إلا أنها سرعان ما دمعت عيناها حين سمعته خلفها يضرب كفا بكف ويقول مستهزءا

- إشفى يا رب

رأته بعد ذلك بيومين وهى عائدة من الكلية فى المترو .. فربما لم يحضر بسيارته اليوم لسبب ما ، ولكنه لم يكن وحده فهناك فتاتان حوله يتبادل معهما الضحكات .. كانت تختلس النظر ثم تتشاغل بالقراءة فى أجندة محاضرتها .. ثم فجأة رأته وقد رفع نظارته الشمسية السوداء لأعلى جبهته يرنوا إليها وعلى وجهه إبتسامة

تجمع بين السخرية والفضول .. أمعنت فى التشاغل بالقراءة وكأنها لم تلحظ نظراته إليها .. نزلوا فى محطة التحرير حيث سيستقلوا الخط الأول من المترو لتعود سماح إلى دار السلام ويعود خالد إلى المعادى حيث يقطن هناك .. لا تدرى سماح لماذا سمعت جملة خالد (إشفى يارب) يتردد صداها فى أذنيها ، فأعماها ذلك عن رؤية درجات السلم الكهربائى وأختل توازنها وسقطت متدحرجة ليتلقفها خالد مع بعض من أولاد الحلال لمساعدة سماح على النهوض .. ما إن وقعت عينا سماح على وجه خالد الممسك بيدها المرتعشة حتى أجهشت فى البكاء

- حصل خير .. حصل خير .. مال إيدك ؟

هكذا قال خالد لترد سماح باكية

- مش قادرة أحركها

إصطحبها خالد فى تاكسى إلى أقرب مستشفى ، وتم عمل الأشعة ووضع زراعها فى الجبس .. لم تكف سماح عن البكاء ليس بسبب ألم كسر زراعها ولكن بسبب كبريائها الذى ضاع حين سقطت من على السلم الكهربائى وأمام خالد

بالتحديد .. أوصلها خالد إلى محطة مترو دار السلام ورفضت أن يصطحبها الى منزلها وترجلت هى عائدة .. خاضت سماح حربا ضارية مع أبيها لتتمكن من الحصول على تكاليف الاشعة والجبس بعد أسبوع .. ورأت خالد جالسا وسط البنات فى الكلية فأشارت له من بعيد .. ولما وقف أمامها

- إيه أخبارك دلوقتى ؟

ردت متلعثمة

- الحمد لله .. أنا آسفة أوى بس ما قدرتش آجى الكلية الأسبوع اللى فات

قالتها وهى تمد يدها بالنقود ، فسأل خالد

- إيه ده ؟

- دى الفلوس اللى انت دفعتها فى المستشفى

رفض خالد بإصرار أن يأخذ النقود ، وكان ذلك على خلاف السيناريو الذى ظلت سماح تتخيله على مدار الأسبوع الذى لم تذهب فيه للكلية حتى تحصل من أبيها على الفلوس التى دفعها خالد لها فى المستشفى .. فمعنى ذلك أن الموضوع إنتهى ولن تكون الفلوس وسيلة للحوار مع خالد ،

وتأكد لها ذلك حين هم خالد بالإنصراف من أمامها قائلا

- ألف سلامة عليكى ودى حاجة بسيطة

إلا أنه تدارك مسرعا

- ما تيجى تقعدى معانا

وجدت سماح نفسها بخطوات بطيئة تتبع خالد لتجلس إلى جوار البنات التى تحيط به وسمعته

- شيماء .. مريم .. أمانى

قالها وصمت ناظرا فى وجها فقالت مسرعة

- سماح

قالتها وهى تنظر فى وجه خالد الذى سرعان ما عاود مداعبة أزرار الكيبورد قائلا

- شوفوا بأة المقطع ده

وجدت سماح نفسها غريبة وشعرت بالنقص تجاه المحيطين عندما تسمعهم يتحدثون عن مصطلحات إنجليزية خاصة بالكمبيوتر وعالم الإنترنت الذى لا تفقه فيه سماح شيئا بالطبع .. فزت فجأة مذعورة وقالت

- بعد إذنكم

قالتها وإنطلقت مسرعة تبتعد ، وصوت الضحكات الخافتة المكتومة يتبعها والذى كان

مصدره ليس أنها إستأذنت ، بل طريقة إستئذانها التى جعلتهم يشعرون وكأنهم جعلوها تشاهد مقطعا إباحيا مثلا .. لم يمضى الكثير من الوقت حتى رآها خالد تعود وتقف أمامه وتخرج النقود بحركة عصبية من حقيبتها وتضعها أمامه ثم تنصرف دون أن تنطق بكلمة ، ليتناول خالد النقود قائلا

- البت دى لاسعة جامد .. ربنا يشفيها

قالها ليشارك البنات الضحكات المستهزئة على سماح .

تخرجت سماح من الكلية وبدأت رحلة البحث عن عمل .. فهو من ناحية سيضمن لها مبلغا من المال يساعدها فى الإنفاق على نفسها ، ومن ناحية أخرى سيفتح لها مجالا للتعرف على الناس من حولها فربما تصادف صاحب نصيبه وتتزوج ، لكنها وجدت العمل المتاح فى منطقتها بدار السلام لا يناسب طموحتها من جهة وكذلك لن تقابل سوى شباب المنطقة ومعظمهم من الجهلة والصنايعية ممن لا يناسب عقليتها على الأطلاق .. فأمضت عاما ونصف بعد التخرج

تبحث عن عمل وترفض العمل الذى يظهر أمامها وأفضله بائعة فى محل ملابس فى السوق .. تشترى أهرام الجمعة وتضع خطا تحت إعلانات السيكرتارية .. فشلت فى كل المقابلات للحصول على وظيفة سيكرتيرة لعدة أسباب .. فالأولوية بالطبع للجميلات الفاتنات ومن تجيد التعامل مع الكمبيوتر واللغة الإنجليزية التى إعتقدت سماح أن دراستها باللغة الإنجليزية فى الكلية سيجعلها تتحدث الإنجليزية ، لكنها اكتشفت الفرق .. تملكها الإحباط تذهب بين الحين والآخر إلى جراندمول المعادى تسخر فى سرها كلما رأت أبناء طبقتها يصعدون ويهبطون على السلالم الكهربائية كنوع من التنزه ، يتجولون بين المحلات يشاهدون وقطعا لا يشترون ، فمن أين لهم ؟ .. أما هى فقد جائت لهدف أسمى وهو البحث عن عمل .. فأية عمل هنا حتى لو كان مجرد بائعة فى محل أفضل من العمل فى منطقتها .. حتما ستقابل تلك النوعية المتحضرة التى ترتدى الملابس الأنيقة وتفوح منها رائحة العطور الجميلة ، حتى جاء يوم

ورأت إعلانا على زجاج أحد محلات العطور وأدوات الزينة نصه (مطلوب عاملة نظافة) .
إن عاملة نظافة فى هذا المكان أفضل بكثير من أن تعمل كاشير فى أرقى محل فى دار السلام .. ولماذا لا يكون ذلك خطوة لأن تجد ما هو أفضل .. ظل ذلك الخاطر يعتمل بعقلها وهى تدور حول المحل وترقب المعروضات الجميلة الجذابة وتنظر للمكان النظيف حولها والأضواء النيونية المنعكسة على المرايا فتعطى منظرا مبهجا .. أخيرا إتخذت قرارها ودخلت لتجد شابا وسيما جالسا وقد مد قدميه على المكتب أمامه واضعا اللاب توب على فخذيه منهمكا فى الضغط على أزرار لوحة المفاتيح ، ولما رآها إعتدل ثم نهض قائلا

- أهلا وسهلا .. إتفضلى .. أأمرى

تسمرت هى مكانها محدقة بذهول فقد كان ذلك الشاب هو خالد الذى واصل

- شكلك مش غريب عليا

هنا بدأت حكاية سماح التى تجلس الآن فى الكوشة إلى جوار إبراهيم ووجهها كبركان يوشك على إلقاء حممه على من حوله .

-٤-

أنا الدكتور عماد مراد
أكتب مذكراتى لعلى لا أستطيع أن أكمل الطريق حتى النهاية .. فعلى من يريد أن يواصل المشوار بعدى فليستعين بمذكراتى .. لنبدأ الحكاية :

فى يوم الزينة أحد أهم الأعياد التى يحتفل بها المصريون القدماء ، وفى وقت الضحى حيث تستطع الشمس فوق الرؤوس تنثر أشعتها الذهبية على الأرض .. لا تقدر على النظر إليها من شدة سطوعها وحرارتها .. ذلك هو الموعد الموعود للرهان بين موسى وفرعون .. فمن يكسب الرهان ؟ .. هكذا يتسائل بنو إسرائيل والمصريون المحتشدون .. وحضر السحرة بعزة فرعون يصيحون ، وألقوا حبالهم وعصيهم

و(خُيِّل) إلي الناس من سحرهم أنها تسعى .. رآى الناس الحبال والعصوات تتحول إلى ثعابين تتلوى زاحفة على الأرض .. وألقى موسى بعصاه فإذا هى ثعبان مبين .. رأى الناس عصا موسى تتحول إلى ثعبان كبير يأكل الثعابين الصغيرة التى صنعها السحرة .. لم يكن فى الأمر بالنسبة لفرعون والناس شئ جديد .. كل ما هنالك أن السحرة حولوا الحبال والعصوات الى ثعابين صغيرة ، بينما موسى حول عصاه الى ثعبان كبير أكل الثعابين الصغيرة .. وفسر فرعون ذلك على أن موسى ساحر عظيم أفضل من باقى السحرة الذى جمعهم من أنحاء البلاد .. وهكذا إقتنع الناس لكن السحرة كان لهم رأى آخر ، فهم يعلمون حقيقة ما حدث .. يقال أن كبيرهم كان أعمى ولما حكى له أتباعه ما حدث سألهم

- إنظروا الى ثعبان عصا موسى .. هل عيناه تتحرك

وعندما أخبروه أنه ثعبان حقيقى يأكل الحبال والعصيان .. قال

- إنها معجزة .. وهذا رسول من عند الله

هكذا آمن السحرة وألقوا ساجدين وسط دهشة الناس .. ولم يجد فرعون تفسيرا لذلك فصاح فى السحرة

- إنه لكبيركم الذى علمكم السحر .. لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين

لقد تحمل السحرة العذاب الأليم الذى صبه فرعون على رؤوسهم .. ولم يرتدوا عن الإيمان .. بينما لم يفهم الناس حقيقة ما حدث وهو حقيقة السحر .

لكى نفهم ما حدث لابد أن نؤمن أن معنى السحر الذى ذكر فى القرآن هو الخدع البصرية بمعنى أنى أجعلك ترى الشئ على غير حقيقته ، أما حقيقة الشئ ذاتها فهى لم تتغير .. هكذا يكون الأمر .. فما يقدمه السحرة فى شتى بقاع الأرض وعلى رأسهم ديفيد كوبر فيلد يتفننون فى إبتكار الخدع البصرية لتقديم عروضهم الساحرة الجميلة ، ويعلم الجميع ذلك فى العالم المتحضر .. أما العالم المتخلف فتظهر فيه تفسيرات أخرى

- ده مخاوى

- ده بيسخر الجن يرفعوا العربية فى الهوا ..
ويخلوا الطيارة تختفى .. زى سيدنا سليمان
لما كان الجن بيعمل اللى هو عاوزه

دون أن يسأل أحدهم لماذا لم يقم الساحر الذى يسخر الجن .. بتسخيرهم فى بناء القصور والإتيان باللؤلؤ والمرجان من البحور ، مثلما كانوا يفعلون لسليمان .. فالسحر المذكور فى قرآننا هو ما يفهمه العالم المتحضر وهو خداع العين لرؤية الشئ على غير حقيقته التى ندركها .. لكن العالم المتخلف غير المعنى وبدل المفهوم ليغوص فى بحور الدجل والشعوذة وعمل الأعمال وفك الأعمال .

أما السحرة أنفسهم فهم يدركون الحقيقة تماما كسحرة فرعون .. اللذين إستخدموا الفسفور والزئبق الذى يعد أقدم مبادئ تعلم السحر .. والذى أيضا وجد فى توابيت الفراعنة وفى المقابر الفرعونية .. وانتشرت حوله الخرافات (الزيبق الأحمر) الذى كان يستخدمه الفراعنة فى تسخير الجان لبناء الأهرامات والمسلات والمعابد الهندسية البديعة .. ولم يتوقف الأمر

عند مجرد التفسيرات الخرافية ، بل آمن البعض بذلك وتورطوا فى عمليات نصب من أجل شراء جرامات من الزيبق الأحمر من أجل تسخير الجان وإمتلاك الثروات .. فى حين كان الفراعنة يستخدمون الزئبق فى السحر الذى أتقنوه كنوع من الفن لإبهار الناس .. أما ما حدث ضحى يوم الزينة هو أن السحرة قاموا بدهان حبالهم وعصيهم التى صنعوها على شكل ثعابين بالزئبق المخلوط بالفسفور .. فأنعكست أشعة الشمس من على الفسفور الى عيون الناظرين فرأوها تسعى بفعل الزئبق المتحرك .. لم تتحول الحبال والعصيان الى ثعابين لكن عصا موسى تحولت بالفعل الى ثعبان حقيقى .. كانت معجزة أدركها السحرة فآمنوا لموسى .

منذ نيف وألفى عام جلس سليمان وسط حاشيته من الإنس والجن والطيور والمخلوقات التى سخرها الله له .. بعدما رفض الهدية التى أرسلتها بلقيس ملكة سبأ صاحبة كرسى العرش العظيم مع رسلها لتكسب ود الملك سليمان الذى يطالبهم بأن يأتوه مسلمين ويكفوا عن عبادة

الشمس من دون الله .. وحتما بعدما رأى رسل بلقيس مُلكا لا ينبغى لأحد من العالمين .. هرعوا عائدين ليخبروا قومهم بأن الملك سليمان له جنود من كافة المخلوقات لا قبل لهم بها .. ولكن سليمان أراد أن يبهر بلقيس قبل حضورها فقال (من يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) .. قال عفريت من الجن (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك وإنى عليه لقوى أمين) وقال الذى عنده علم من الكتاب (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) .. وهكذا جاء العرش من اليمن الى فلسطين عابرا آلاف الكيلومترات فى قرابة الثانية .. لا تتعجب .. عادى .

الجن مخلوق مخير مثلنا لكنه ليس مثلنا .. فهو مخلوق من نار ، من ذلك المارج الشفاف الذى يعلو النار وترى الأشياء من خلفه متمواجه مهتزة .. إذن الجن مخلوق من الطاقة ، تكوينه من الذبذبات يسبح فى الأثير ويخترق الأشياء تماما كالموجات الكهرومغناطيسية التى تنقل لنا الأحداث فنرى الحدث الذى يقع فى شرق

الأرض بالصوت والصورة ونحن فى غرب الأرض ، ونحادث هاتفيا ونحن فى شمال الأرض من يكون فى جنوبها .. فما بالك وإذا كانت هذه الموجات هى مادة خلق مخلوق له روح وإدراك ، مثلما كان التراب هو مادة خلقنا .. هو مخلوق مسير يملك حرية الإختيار بين الخير والشر ، وبين طاعة الخالق ومعصيته ، حتما يخترق الجماد ويعبث بين ذرات المادة بل يقفز بين النواة والإلكترونات .. يسافر بين الأقطار فى ثوانى معدودات من الزمن .. إذن كيف جاء عرش بلقيس إلى سليمان ؟.

موضوع نقل العرش لم يكن إلا ضربا من ضروب السحر فكيف يتمكن مخلوق من إحضار عرش ملكة سبأ في ذلك العصر من على بعد آلاف الكيلو مترات في جزء من ثانية أي قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه ؟ ولكن العلم الحديث يخبرنا بأن هذا لا يتحتم أن يكون سحرا ! فحدوثه ممكن من الناحية العلمية أو على الأقل من الناحية النظرية بالنسبة لمقدرتنا في القرن العشرين .

الطاقة والمادة صورتان مختلفتان لشيءٍ واحد ، فالمادة يمكن أن تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة وذلك حسب المعادلة المشهورة وقد نجح الإنسان في تحويل المادة إلى طاقة وذلك في المفاعلات الذرية التي تولد لنا الكهرباء ولو أن تحكمه في هذا التحويل لا يزال يمر بأدوار تحسين وتطوير ، وكذلك فقد نجح الإنسان - ولو بدرجة أقل بكثير - من تحويل الطاقة إلى مادة وذلك في معجلات الجسيمات (Particle accelerator) ولو أن ذلك مازال يتم حتى الآن على مستوى الجسيمات

فتحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة أمر ممكن علميا وعمليا فالمادة والطاقة قرينان ، ولا يعطل حدوث هذا التحول على نطاق واسع إلا صعوبة حدوثه والتحكم فيه تحت الظروف والإمكانيات العلمية والعملية الحالية ، ولا شك أن التوصل إلى الطرق العلمية والوسائل العملية المناسبة لتحويل الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة في سهولة ويسر يستدعي تقدما علميا وفنيا هائلين . فمستوى مقدرتنا العلمية والعملية حاليا في هذا الصدد ليس إلا كمستوى طفل يتعلم

القرأة فإذا تمكن الإنسان في يوم من الأيام من التحويل السهل الميسور بين المادة والطاقة فسوف ينتج عن ذلك تغيرات جذرية بل وثورات ضخمة في نمط الحياة اليومي وأحد الأسباب أن الطاقة ممكن إرسالها بسرعة الضوء على موجات ميكرونية إلى أي مكان نريد ، ثم نعود فنحولها إلى مادة ! وبذلك نستطيع أن نرسل أي جهاز أو حتى منزلا بأكمله إلى أي بقعة نختارها على الأرض أو حتى على القمر أو المريخ في خلال ثوان أو دقائق معدودة . والصعوبة الأساسية التي يراها الفيزيائيون لتحقيق هذا الحلم هي في ترتيب جزئيات أو ذرات المادة في الصورة الأصلية تماما ، كل ذرة في مكانها الأول الذي شغلته قبل تحويلها إلى طاقة لتقوم بوظيفتها الأصلية . وهناك صعوبة أخرى هامة يعاني منها العلم الآن وهي كفاءة والتقاط الموجات الكهرومغناطيسية الحالية والتي لاتزيد على ٦٠% وذلك لتبدد أكثرها في الجو كل هذا كان عرضا سريعا لموقف العلم وإمكانياته الحالية في تحويل المادة إلى طاقة والعكس .. فلنعد الآن لموضوع نقل عرش الملكة بلقيس ،

فالتفسير المنطقي لما قام به الذي عنده علم من الكتاب - سواء أكان انسي أو جني - حسب علمنا الحالي أنه قام أولا بتحويل عرش ملكة سبأ إلى نوع من الطاقة ليس من الضروري أن يكون في صورة طاقة حرارية مثل الطاقة التي نحصل عليها من المفاعلات الذرية الحالية ذات الكفاءة المنخفضة ، ولكن طاقة تشبه الطاقة الكهربائية أو الضوئية يمكن إرسالها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية . والخطوة الثانية هي أنه قام بإرسال هذه الطاقة من سبأ إلى ملك سليمان ، ولأن سرعة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية هي نفس سرعة انتشار الضوء أي ٣٠٠٠٠٠ كم - ثانية فزمن وصولها عند سليمان ثلاثة آلاف كيلوا مترا .. والخطوة الثالثة والأخيرة أنه حول هذه الطاقة عند وصولها إلى مادة مرة أخرى في نفس الصورة التي كانت عليها أي أن كل جزئ وكل ذرة رجعت إلى مكانها الأول !. إن إنسان القرن العشرين ليعجز عن القيام بما قام به هذا الذي عنده علم من الكتاب منذ أكثر من ألفي عام . فمقدرة الإنسان الحالي لا تتعدى محاولة تفسير فهم ماحدث . إن الآيات القرآنية لا تحدد

شخصية هذا الذي كان (عنده علم من الكتاب) هل كان انسيا أم جنيا ! وقد ذكر في كثير من التفاسير أن الذي قام بنقل عرش بلقيس هو من الإنس ويدعى آصف بن برخياء ، وأنا أرجح أن الذي قام بهذا العمل هو عفريت آخر من الجن ، فقد نجح هذا الجني في تحويل عرش بلقيس إلى طاقة ثم إرساله مسافة آلاف الكيلو مترات ثم إعادة تحويله إلى صورته الأصلية من مادة تماما كما كان في أقل من ثانية ، أو حتى في عدة ثوان إذا اعتبرنا عرض الجني الأول الذي أبدى استعداده لإحضار العرش قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من كرسيه . فمستوى معرفة وقدرة أي من الجنيين الأول والثاني منذ نيف وألفي عام لأرفع بكثير من مستوى المعرفة والقدرة الفنية والعلمية التي وصل إليها إنسان القرن العشرين .

إذن لنتصور أن هناك جنيا طبيبا ، ألا يمكن أن يخترق جسد إنسان ويستأصل ورم سرطانى بداخله أو أن يزيل جلطة دموية من شريان دقيق بالمخ أو القلب .. لما لا ؟ .. بل أنا أؤمن أنه يستطيع .

وكذلك الجن المهندس ألا يمكن أن يبنى لنا الكبارى والجسور والمنشئات .. ويخرج لنا البترول والغاز ويحول لنا المادة إلى طاقة .. ستتبدل حتما الحياة .. لكن ما الذى يمنع ذلك ؟

إنه ذلك الحاجب بين العالمين ، عالم الانس وعالم الجان .. لنتخيل أن العلم الحديث مكنا من إختراق ذلك الحاجب والتواصل مع عالم الجن من أجل إعمار الأرض كما أمرنا الله.. ستحدث ثورة وستتغير الحياة على الأرض .. دائما ما أتسائل كيف يحيا الإنس والجان على الأرض كمخلوقات عاقلة مدركة مكلفة ومخيرة دون أن يكون هناك تواصل بينهما .. لا يتهمنى أحدكم بالشطط على أساس أن ذلك كان شيئا خاصا لنبى الله سليمان عليه السلام ولن يكون لأحد من بعده .. فأنا لا أسعى لأكون سليمان .. الجن كان يبنى القصور والجفان والتماثيل ويغوص فى البحار لإحضار اللؤلؤ والمرجان لسليمان ، لكنهم كانوا يفعلون ذلك مسخرين من قبل الله لسليمان .. أنا لا أريد تسخيرهم بل أريد التواصل معهم ليفعلوا لنا ذلك كنوع من التكامل بين عالم الإنس وعالم الجن .

أنا لا أؤمن بالمس الجنى للإنسان ولا أقتنع بإمكانية أن يتلبس الجنى بجسد بشر ، فكل الحالات من هذا النوع هى أمراض نفسية تحتاج الى علاج نفسى ، لكن التخلف وعدم فهم العقيدة من قبل المستسلمون هو ما خلق تلك الإعتقادات .. فلا تصدق أن هذا الرجل عليه عفريت أو أن تلك المرأة يعشقها جنى ويمنع زواجها .. كلها خزعبلات ومن يدعى أنه معالج بالقرآن لا يفهم ذلك لأنه جاهل مخدوع ، ومنهم من يفهم ذلك ولكنه يستخدم بعض الاساليب على سبيل الإيحاء النفسى .. لقد تأكدت بذلك من خلال علاقتى بالشيخ أحمد عبد القادر المعالج الروحانى بالقرآن .. وعرفت منه كل الأسرار .. وعكفت منذ سنوات على دراسة عالم الجان لكى أكتشف كيفية التواصل معهم .. نحن لا نراهم لكنهم يروننا (ويراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) .. ولقد أمعنت كثيرا فى تفسير كيف كان سليمان يتواصل مع الجن ولم أجد سوى تفسير واحد هو ما إطمأن إليه عقلى .. فسليمان لم يكن يرى الجن .. وبالتالى لا يلمسهم ، فقط كان يرى ناتج أعمالهم ، يقرأون هم أفكاره التى يريد أن تصل

إليهم كأوامر ذهنية ، ويتجاوبون معه بتوصيل ما يريدون أن يعلمه على شكل موجات ميكرونية يقرأها عقله كأفكار تقفز إلى ذهنه .. حتى آية موت سليمان حين كان مستندا على عصاه يراقب الجن حتى لا يكفون عن العمل فى بناء الهيكل ومات وهو على هذا الوضع حتى أكلت دابة الأرض منسأته وخر على الأرض فقال الجن (لو كنا نعلم الغيب لما لبثنا فى هذا العذاب) .. هو لم يكن يرى الجن ، كان يرى البناء يتواصل ويزداد بينما هم يرونه مراقبا لهم فيواصلون العمل .

من أجل ذلك قمت بمساعدة فزيائى صديق لى من ابتكار وتطوير جهازا صغيرا يطلق الأشعة فوق البنفسجية مع الموجات الكهرومغناطيسية .. لكى أستطيع أن أرى الجن من حولى .. لا تتعجبوا ، فكما أخبرتكم أن مارج النار المخلوق منه الجن ما هو الى موجات وذبذبات .. أنت مثلا تجلس الآن وتقرأ .. تأكد أن هناك جنى أو أكثر سواء كان جنيا عاديا أو عفريت قوى أو شيطان مارد موجود معك الآن ويقرأ أفكارك ويعلم بما يدور فى عقلك ويراك لكنك لا تراه ..

ومن خلال جهازى المبتكر الذى أطلقت عليه (يوفى) سعيت لكى أراهم من حولى لأتواصل معهم .

أنتم الآن تتهمونى بالجنون .. لكن صدقونى لقد نجحت واستطعت التواصل مع أحدهم من خلال اليوفى .. إنها واحدة من الجن اسمها يورجانة

أعزائى كانت هذه هى جزء من مذكرات الدكتور عماد مراد ، نقلتها لكم طبق الاصل لتتعرفوا على علاقته بعالم الجن وكيف وصل الى يورجانة .. أما الدكتور عماد فهو طبيب إستشارى النساء والولادة الذى يملك عيادة مكونة من شقة فسيحة فى ميدان الحرية بالمعادى .. تزوج بعد التخرج من زميلته الطبيبة الشابة الحسناء ، ثم اكتشف أنه لا ينجب حيث يعانى من عيوب خلقية فى الخصيتين فلا ينتج عماد حيوانات منوية .. لم يكن أمامه سوى الحقن المجهرى وأطفال الانابيب بعدما فشل العلاج الهرمونى .. لكن عملية الحقن المجهرى فشلت لأنهم لم يجدوا فى خصيتيه حيوانا منويا

سليما يصلح للتلقيح .. سافر الى امريكا بصحبة زوجته وأنفق المال الذى كان قد ورثه عن اسرته الثرية من أجل حقن خلية من الخصية فى بويضة زوجته .. نجح الامر وتكون الجنين فى رحم زوجته .. لكن سرعان ماتبين أنه مشوه بعد الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل ، ولم يكن بدا سوى من إجهاضه .. رفض الإقتناع بإستعداد زوجته للعيش معه بلا أطفال ، وطلقها لكى لا يشعر بالنقص أمامها .. تزوج ثانية من إمرأة فرنسية شقراء كانت تعمل مهندسة فى صيانة مترو الأنفاق حسبما البروتوكول الموقع بين مصر وفرنسا لإدارة مترو الأنفاق .. وكانت تقيم فى المعادى وتتردد على عيادة الدكتور عماد من أجل فحوصات دورية للعناية بجهازها التناسلى الحساس .. وذات مرة غازلها عماد فوجدها تبتسم ثم تضحك وسرعان ما مارسا الجنس بالعيادة داخل غرفة الكشف دون أن يعبئا بالنساء الجالسة بالخارج فى انتظار الكشف أو متابعة الحمل .. ربطت بينهما صداقة سريعة أفضت الى الزواج الذى فشل بعد ستة أشهر بعدما اكتشف كل منهما أنه من بلد مختلف عن الآخر

.. هكذا وجد عماد نفسه وحيدا .. باع شقته واحتفظ بالسيارة .. واتخذ من شقة العيادة الفسيحة مسكنا له هيأه بشكل فوضوى ، لا يخرج منها الا قليلا .. يعمل ويأكل ويشرب وينام فى ذات الشقة .. هكذا وجد عماد نفسه وحيدا وقد بلغ الأربعين من العمر .. تبددت وحدته قليلا عندما تعرف على الشيخ أحمد عبد القادر المعالج بالقرآن ، حين حضر اليه ذات يوم بصحبة فتاة وقال

- أنا معالج بالقرآن ، والأخت اهلها جونى عشان عليها عفريت وعازين أطلعه منها .. إكتشفت انها معاليهاش عفريت .. وحكتلى ظروفها .. كان مكتوب كتابها على واحد قبل كده وحصل بينهم علاقة جنسية كاملة ومابقتش عذراء .. ما حصلش نصيب واتطلقوا .. ولما اتقدم لها واحد من قرايبها ومعاد دخلتها قرب .. إضطرت تمثل على أهلها ان عليها عفريت وبيحبها ومش عايزها تتجوز .. من الناحية الشرعية هى كانت متجوزة من الأولانى واللى حصل بينهم مش حرام بس أهلها وعريسها التانى

فاكرين انها بكر .. وأنا جيت أساعدها فى ان احنا نصلح الموضوع ده زى النبى صلى الله عليه وسلم ما بيقول (من ستر مسلما فى الدنيا .. ستره الله فى الدنيا والآخرة) .

عدل عماد من نظارته الطبية وقال ينظر بابتسامة فى وجه الشيخ أحمد المستدير بلحيته الكثة الكبيرة

- عايزة تعمل ترقيع يعنى

رد الشيخ أحمد مسرعا

- ظروفها زى ما حكيت لحضرتك .. ودى هتكون حاجة ثوابها كبير .. حضرتك هنا فى المعادى ما تعرفش الناس فى دار السلام بيفكروا فى المسائل دى ازاى

أومأ الدكتور عماد برأسه وقال موجها كلامه للفتاة

- إنتى اسمك ايه ؟

- سماح سعيد

قالتها سماح بنظرة محدقة ذاهلة .. فرد الدكتور عماد للتهدئة من روعها حيث لم يكن يعلم أن ذلك الإضطراب البادى عليها هو طبعها فى الاساس

- ما تخفيش أنا هاساعدك .. ميعاد جوازك امتى ؟

- الخميس الجاى

- يبقى تجينى يوم التلات

وفى يوم التلات حضرت سماح بصحبة الشيخ أحمد فى الموعد المحدد نهارا .. دخلت غرفة الكشف ترتعش وكأنها على وشك إجراء عملية جراحية خطيرة ، وتسمرت مكانها ملاصقة لسرير كشف النساء ذو العمودين على جانبيه .. كانت هذه هى المرة الأولى لسماح ولا تعرف ماذا تفعل .. ظلت مضطربة تنظر للسرير وكأنه مركبة فضائية وسمعت الدكتور عماد يقول

- إتفضلى نامى على السرير

همت سماح لكى تصعد على السرير فبادرها عماد

- اقلعى الأول

فجأة حدقت سماح فى وجة الدكتور عماد الذى أيقن الآن أنها غير متزنة عقليا ، فواصل بنبرة ضيق بعدما سحب نفسا عميقا

- عايز نصك التحتانى يكون عريان .. وتنامى على ظهرك ع السرير وترفعى رجليكى الاتنين على العمودين دول

توترت سماح فزعق فيها الدكتور عماد صائحا

- ياللا أنا ماعنديش وقت .. والممرضة مش هنا عشان تساعدك

إمتثلت سماح على الفور وأنزلت الجيبة بسرعة لكنها ظلت مرتدية الكيلوت وهمت تنام على السرير ، فصاح عماد

- باقولك نصك التحتانى عريان .. أنا هاخيط المهبل بتاعك

وجدها تنظر اليه بغباء ، فقال بزهق

- اطلعى ع السرير اطلعى

ما ان صعدت سماح على سرير الكشف حتى قام الدكتور عماد بلف حزام السرير حول بطنها بقوة يقيدها وأمسك برجليها ورفعها على العمودين .. وبحركة غاضبة نزع كيلوتها المتسخ فشم رائحة عرق عطن وصاح

- مش المفروض كنتى تستحمى أو حتى تتشطفى من تحت قبل ما تيجى

إضطر الدكتور عماد لوضع كمامة على أنفه ، وأحضر ألة فحص المهبل ودسها فى مهبل سماح بدون إضافة مرطب الكيه واى لينتقم منها على الرائحة التى ضايقته .. شهقت متألمة وصاحت

- هو مافيش بينج

- هوششششششششششششش

هكذا أسكتها الدكتور عماد الذى رش بعض البنج الموضعى من الليدوكايين على حواف مهبلها المفتوح والمضاء بفعل ال (vaginal spatula) وسط غابة الشعر التى تغطى عانتها .. ثم قام بإستخدام خيوط البروبولين فى عمل

غرزتين يغلق بهما مهبل سماح .. تذوب هذه الخيوط بشكل تدريجى .. لكن فى الغد قبل تمام ذوبانها سيتم إختراق قضيب لمهبلها لتتمزق الغرزتين ويخرج القليل من الدم دلالة على شرف العروس البكر .

كانت ذلك هى أول عملية ترقيع يجريها الدكتور عماد مراد فى حياته .. وكذلك كانت بداية علاقته بالشيخ أحمد عبد القادر .. الذى دائما ما يستشير الدكتور عماد فى الأمور الطبية التى يراها على حالاته التى يعالجها بالقرآن من المربوط بعمل يمنع إنتصاب قضيبه ، ومن التى تشعر بشئ يداعبها فى ما بين فخذيها وتعتقد أنه جن بيلعبلها من تحت .. ورغم أن الشيخ أحمد يدرك الحقيقة إلا أنه يواصل عمله مع حالاته بالمزج بين طرقه العلاجية وبين وصف أدوية يكتبها لحالاته .. مرت الأيام وتوطدت علاقة الدكتور عماد بالشيخ أحمد وكانا يتقابلان فى أحد المطاعم لتناول العشاء سويا ، ووجد عماد نفسه منجذبا الى هذا العالم .. حضر جلسات اخراج الجن التى يقوم بها الشيخ أحمد والحجامة

وغيرها .. وتعلم منه أسراره ليخلص فى النهاية الى ما قرأناه فى مذكراته .

فى أحد الليالى بعدما أنهى عماد العمل بالعيادة .. وغادرت الممرضة كما المعتاد ودلف عماد من الباب الخلفى الى غرفة المعيشة .. ومنها الى الحمام ليحظى بحمام دافئ ثم يعود ليجلس على كرسى مريح بأحد الأركان .. يعانى عماد منذ سنة من أرق مزمن وإعتاد جهازه العصبى على المهدئات ، فلجأ الى حقن الفاليوم فى الوريد لينعم بساعات قليلة من النوم وإن كانت مضطربة فى معظم الأحيان .. ازدرد حبتين من الزاناكس ثم حقن نفسه بحقنة الفاليوم .. وأشعل سيجارة ينفث دخانها فى تلذذ وقد بدأ خدر المهدئ يسرى فى أوصاله .. أطفأ ضوء الحجرة وضغط على زر تشغيل جهاز اليوفى ، فارتسمت فى الهواء مساحة ضوئية بلون بنفسجى خافت هى الشئ الوحيد المضئ الآن فى الغرفة .. ضم يديه على صدره وأحنى رأسه فى خشوع وتمتم بالقسم السليمانى

- أقسمت عليكى يورجانة بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الرحمن الرحيم رب جبرائيل و ميكائيل اهٍ اهٍ اهٍ اهٍ اهيا شراهيا اهيا هاهيا نماهيا أدوناي أصباؤتٍ الٍ شداي شلعجصٍ شليقوشٍ طمطكشٍ ططكليوشٍ مهلوشخٍ بهمشٍ هميوشٍ يشهيثٍ شناهشٍ مرططكيوشٍ نافهلمٍ غيوتا نافلا ثاوهٍ ثاوثٍ ما أعظم هذا الكلام ما اعظم سلطان الله سلطان الله أحترق من عصي أسماء الله بالنار الموقدة أصعقوا بهم الرجيف و الفزع الشديد و الروع العظيم و العذاب الأليم أطع و أسمع و أجيب و أسرع بحق ما أقسمت به عليك و أنه قسم لو تعلمون عظيم

انتهى عماد من تلاوة القسم ورفع رأسه وفتح عينيه ليجد صورة بدأت ترتسم بداخل الضوء البنفسجى .. وبدأ الحوار بينه وبين يورجانة والذى لم يكن حوار الكلمات وإنما تخاطب ذهنى .. يفكر عماد فيما يريد أن يقوله ليورجانة وتقرأ هى أفكاره ، ثم تبث هى ما تريد قوله الى عقله كموجات ميكرونية تجعله يفهم ما تريده .. ولأن طبيعة يورجانة كواحدة من الجن مخلوقة من

الموجات والذبذبات فلا يمكنها أن تتحول الى شكل مادى ملموس .. فقط ترتسم كصورة ثلاثية الأبعاد فى الهواء وتتخذ الشكل الذى يفكر فيه عماد .. فإذا وجدته يفكر فى مارلين مونرو ظهرت له مارلين ، وإذا كان يفكر فى ميرفت أمين ظهرت له على صورة ميرفت .. لكنها أحيانا تحب أن تداعبه قليلا حين كانت الفاتنة المثيرة ايرما لادوس وفى اللحظة الحاسمة من اللقاء الحميم تحولت الى مارى منيب .. اليوم تباطئت يورجانة فى الظهور فعماد مشتت الذهن ولم يستقر على شكل ، فارتسمت هى على شكل شيطانى مرعب جعل عماد يحسم قراره لتظهر هى على صورة شويكار .. قال لها عماد بذهنه دون كلمات

- بقالى تلات ايام ماشوفتيكيش

- انت ما طلبتنيش .. يظهر انك زهقت منى

صمتت ترنوا لوجهه مباعدة بين شفتيها بنظرة شويكار المثيرة ثم تابعت

- مع انى كنت تلميذة شاطرة واتعلمت منك .. أنا هابقى دكتورة شاطرة أوى عشان تلميذتك

- وهتبقى الأولى من نوعك

اقتربت منه فى دلال دون أن تخرج من الضوء البنفسجى ونظرت اليه بنظرة ذات مغزى .. ابتسم لها عماد وأدرك بعقله ما تفكر فيه

- دايما كده تفكيرك فى المسائل دى

ما كاد ينطقها الا ورآها قد تحولت إلى عجوز شمطاء ووصل إليه منها

- خلاص .. بلاش

- لأ لأ لأ

سرعان ما تحولت يورجانة إلى إمرأة فاتنة مثيرة .. لم يرى عماد أجمل منها من قبل .. لها جسد متناسق عجيب وفوق كل ذلك كانت عارية .. تأمل عماد شعرها الأحمر ذو الخصلة الزرقاء على جبهتها .. وثدييها النافرة وحلمتيها الوردية الطويلة المنتصبة بشكل ينم عن فرط شبقها .. سحب نفسا عميقا من السيجارة وخلع نظارته

وترك عينيه تتهادى على فخذيها المخروطة من قبل فنان ماهر جعلت ما بينهما يبرز .. هرع عماد يدير جهاز اليوفى تجاه السرير لتظهر يورجانه فوقه ممدة على بطنها .. تسارعت دقات قلب عماد وعلا صوت لهاثه الذى إختفى وراء صوت موسيقى عذبة وصل الى أذنيه بثته اليه يورجانة .. فبدأ يغوص فى عالم سحرى من المتعة والجمال .. لم يدرى بالسيجارة التى أحرقت أصبعيه فألقاها على الأرض وداس عليها .. إتجه الى السرير ليحتضن يورجانة لكنه وجد نفسه يحتضن الهواء ويديه تعبر جسدها الشبحى .. تذكر أنه لا يمكنه لمسها .. ابتلع ريقه وهو يتفحص مؤخرتها الخمرية المتماوجة وهى تتراقص ممددة على بطنها على ايقاع الموسيقى التى يسمعها .. تعرى سريعا وكأنه ينازع ملابسه وألقى بنفسه على السرير ممددا على ظهره الى جوارها عاريا.. رآها تنهض ومدت يدها تتحسس جسده .. لم يشعر بملمس يد آدمية بل شعر بدغدغة لذيذة ممتعة تزداد كلما مرت اليد على أجزاء جسده من الأكتاف والصدر ، وأحس بلسعة على حلمتيه .. وحين رأى يدي

يورجانة فيما بين فخذيه وجد جسده ينتفض وقضيبه ينتصب بقوة .. رآها تميل برأسها وشعر بشئ دافئ يحيط بقضيبه مداعبا وكأنه فم يلثمه .. ثم رآها تجلس عليه ليشعر بقضيبه فيما بين فخذيها .. مالت على صدره فأحس بحلمتيها تنقره وهبطت بشفتيها تقبل فمه .. لم يتمالك نفسه ومد زراعيه يحتضن يورجانة لكنه إحتضن الهواء .. يالهذا العذاب ، عذاب متعة ناقصة لكنها جامحة .. قضى وطره ولم يدرى بنفسه بعدما هزمه سلطان النوم .

-٥-

إستيقظ وليد على صوت الموبايل ، وتلفت حوله فوجد شهد ممدة عارية على بطنها إلى جواره .. أضاء شاشة الموبايل فوجد والدته تتصل به .. نهض وإغتسل وخرج من الحمام لتستقبله شهد بقبلة قائلة

- صباح الخير يا حبيبى
- صباح الخير ايه بس .. دى الساعة اتنين بعد الظهر

أحاطت شهد رقبة وليد بزراعيها وقالت بنبرة دلال وفى عينيها نظرة ماجنة

- طبعا ما احنا ما دريناش بالدنيا بعد اللى عملناه امبارح .. مين اللى كان بيطلبك ع الموبايل

فك وليد زراعيي شهد من حول رقبته وإتجه يرتدى ملابسه قائلا

- إعملى لى فنجان قهوة

كأنها لم تسمع ردت شهد واضعة يدها فى وسطها تهتز مرتعشة

- طبعا مراتك اللى كانت بتطلبك

قالتها وهى تشعر بالغيرة ، فصاح وليد محتدا

- مش عايز زفت القهوة .. أنا ماشى

قالها بعدما انتهى من ارتداء قميصه وبنطلونه وقبل أن يغادر سمع شهد تقول

- طبعا من هنا ورايح مش هتبقى فاضى حتى تشرب معايا القهوة .. ما أنا خلاص بقيت الزوجة السرية .. لما تحتاجنى تجيلى و..

قاطعها وليد بنبرة أكسبها بعض الحنان وهو يقترب منها

- شهد .. بلاش الكلام ده .. انتى عارفة انك بالنسبة لى ايه ؟ .. ماما اللى كانت بتتصل وأنا ماردتيتش عليها .. النهاردة الصباحية بتاعتى وأكيد هما فى شقتى دلوقتى

قالها وطبع قبلة على جبين شهد وأخرى ناعمة على شفتيها وغادر من الشقة .

بداخل سيارته وجد والدته تتصل ثانية .. رد متنهدا

- أيوه يا ماما
- انت فين يوم صباحيتك
- أنا جاى فى الطريق
- أنا عرفت اللى حصل امبارح

صاح وليد غاضبا

- إزاى ميار تحكي لك حاجة زى دى
- دى مش ميار اللى قالت لى .. دى مامت ميار
- كمان .. باين عليا اتجوزت طفلة .. ع العموم انا كلها دقايق واكون عندك

عاد وليد ودخل شقته وبدا على وجهه التجهم .. إستقبله حماه الاستاذ عبد القادر مبتسما يقول

- ألف مبروك يا عريس .. عقبال الأنجال

رد وليد يشيح وجهه عن حماه متحاشيا النظر اليه

- الله يبارك فيك يا عمى

جلس وليد وسط الجمع من والدي ميار وأختها وأبيه وأمه وأخته .. لا حظ الجميع صمت وليد وشروده .. لم يكن يشعر وليد بالخجل بقدر ما يشعر بإحساس النقص أمام العائلة .. فحتما يعلمون أنه عجز عن فض بكارة زوجته فى ليلة الزفاف بالأمس .. وأراد أن يستعيض عن ذلك الاحساس بالتجهم فى وجوه الجميع والنظر فى ساعته بين الحين والآخر ، وبعد احتساء العصير بادر الأستاذ عبد القادر يقول

- طب يللا بينا احنا عشان العرسان يبقوا على راحتهم

انصرف والدي ميار وأختها بعد تحية وليد الذى تعمد أن يحييهم بشكل أكثر تجهما .. لأنه شعر أن جملة والد ميار تعنى أنه يريد أن يمنحه الفرصة لفعل ما عجز عنه بالأمس .. وكذلك قام والده اللواء نور الدين وأخته قائلا

- واحنا كمان ياللا بينا

ردت مدام شريفة والدة وليد

- اسبقونى انتوا .. انا هاتكلم مع وليد شوية وهاحصلكم
قبل أن يغادر الأب مال على ابنه وليد يهمس فى أذنه
- عادى .. ما تخليش اللى حصل امبارح ده يوترك .. بتحصل كتير عشان مجهود الفرح والحاجات دى .. خد دى هتساعدك
حدق وليد مندهشا فلم يكن يتوقع من أبيه الذى اعتاد منه على الصرامة أن يحضر له عبلة فياجرا ، وقال متلعثما
- لأ يا بابا أنا ...
قاطعه الأب هامسا بإلحاح
- خد خد ما تتكسفش
لم يكن من وليد سوى أن يتناول علبة الفياجرا ويدسها فى جيبه .. إنصرف أبوه وأخته ليسمع وليد صوت والدته
- تعالى يا وليد عاوزاك
إستأذنت ميار
- طب بعد إذنكم يا طنط .. هاحضر الغداء لوليد

أخرجت مدام شريفة سيجارة .. وظلت تبحث عن الولاعة فى حقيبتها الجلدية ، فأخرج وليد ولاعته وأشعل السيجارة لأمه التى سحبت نفسا وأطلقت الدخان قائلة وهى ترفع خصلات شعرها المنسدلة على جبينها لأعلى رأسها

- أى بنت لازم تكون متوترة ليلة دخلتها .. وخصوصا لما تكون ما لهاش أى خبرات قبل الجواز

قالت جملتها الأخيرة وهى تبعد عينيها عن عيني ابنها وسحبت نفسا من السيجارة لتسمع ابنها يقول

- ما تشغليش بالك بالموضوع ده يا ماما .. أنا كويس

- ما أنا عارفه انك كويس .. وعارفه انك ليك تجارب كتير قبل كده

فى هذه اللحظة شعر وليد بالحياء من كلمات والدته وأطرق رأسه خجلا ، وتابعت هى

- مش معنى ان ميار متوترة ومشدودة ، انك تهينها وتقول انها باردة

زمجر وليد متنهدا وقال

- هى حكت لكم كل حاجة كده

- لو تحب أوديها لدكتور يعمل فض للغشاء عشان مايكونش فى توتر بسبب الموضوع ده

- لأ يا ماما .. كل حاجة هتبقى تمام

بحثت مدام شريفة حولها عن طفاية سجائر ، فتناول وليد منها عقب السيجارة وقام وأطفأه ، فى الوقت الذى نهضت هى تغادر قائلة

- هاستنى منك تليفون تقول لى ان الموضوع خلاص

خرجت شريفة وأثناء نزولها على السلم .. رن جرس الموبايل ولما رأت الاسم فوفو .. ألغت المكاملة بضيق ، إلا أنه عاود الاتصال ففتحت الخط وصاحت كالرعد

- ايه شغل العيال ده ؟ .. الاقى منك امبارح عشرين ميسد .. أنا مش قولتلك ما تكلمنيش لانى مشغولة اليومين دول ولما افضى انا هاكلمك .. ما تخلينيش اندم لانى عرفتك

صمتت تصغى لفوفو ثم ردت

- آه خلصت المدرسة والامتحانات وبقيت فاضى .. طب انزل اتفسح مع اصحابك روح النادى ادخل معاهم سينما

فجأة تبدلت ملامح شريفة من الغضب العارم الى هدوء أنثوى وقالت بنبرة دلال

- بس يا واد بطل الكلام ده .. لأ لأ ايه الكلام الأبيح اللى بتقوله ده .. اسكت يا سافل يا قليل الأدب

تشعر من طريقتها فى الكلام بأنها تشجعه على الاستمرار فى مغازلته الإباحية لها وأنهت المكالمة تقول

- خلاص هاكلمك بكرة ونتقابل .. باى .. عاوز بوسة ؟ .. امووووووووه .. خد دى لحد ما أقابلك

فى الوقت الذى ماكاد وليد يخلو بميار حتى انفجر كالقنبلة فى وجهها فى المطبخ وهى تعد الطعام

- انتى ايه اللى هببتيه ده ؟ .. انا متجوز عيِّلة ولا ايه ؟ .. كده فضحتينى قدام أهلى

ردت ميار بعدما احتقن وجهها خوفا أمام غضبه العارم وقالت متلعثمة

- فضحتك ؟ .. دول أهلى وأهلك

قاطعها وليد محتدا يزمجر صائحا

- المفروض دى أسرار بينا ما حدش يعرفها يا هانم

ولما كانت طبيعة ميار هى السلبية المتناهية ولا تملك القدرة على التصرف فى هذه المواقف ، لذا شرعت تبكى على الفور ليصيح فيها وليد

- بتعيطى ليه دلوقتى .. كلمينى زى ما باكلمك ؟

- أنا أصل ما كنتش عارفة أعمل ايه ؟ .. حكيت لماما وهى اللى قالت لمامتك .. عشان حد يساعدك

شعر وليد من جملة زوجته الأخيرة أنها تعتقد أنه عاجز جنسيا ، ورغم ما قاله لها فى ليلة زفافهما .. إلا أنه أصر على أن يثبت لها فحولته ، فإقترب منها بهدوء كاظما غيظه وقال بنبرة هادئة يشوبها التشفى

- أنا مش عاجز .. ولعلمك بأه أنا كنت نايم مع واحدة امبارح عشان أتأكد ان العيب مش فيا .. العيب فيكى انتى

صاحت ميار وسط بكائها الذى يزداد

- بس .. بس .. اسكت

لكنه لم يصمت فواصل طعنها فى أنوثتها
- وكمان كنت امبارح معاها أحسن من أى مرة قبل كده
وضعت ميار كفيها تغطى وجهها وعلت أصوات بكائها ، وخرج صوتها من خلف يديها مخنوقا
- حرام عليك .. كفاية بأه
وكأن وليد يستعذب ويستلذ بما يفعله بها بكلماته فهوى عليها بجملته
- بالعربى كده مش شايفك بنت .. حاسك زى واحد صاحبى عايش معايا .. ما بأحسش بإثارة ناحيتك
صاحت ميار ودموعها تنهمر على وجهها الأبيض الذى كسته الحمرة
- طب اتجوزتنى ليه .. اتجوزتنى ليه ؟
قالتها وأسرعت تعدو الى غرفة النوم ، وألقت بنفسها على السرير تبكى وتنتحب منهارة .. ولم تدفع حالتها تلك وليد لكى يتركها وشأنها بل لحق بها وقال
- قومى بأه كلمى أمك واحكيلها .. تحبى اتصل لك أنا بيها

قالها مستهزءا غير عابئ بما آلت اليه حالة زوجته فى أول أيام زواجهما ، وخرج الى الصالة .. أراد أن يدخن سيجارة حشيش لكنه وجدها نفذت .

كان وليد يعمل ملازم أول فى قسم شرطة المعادى .. ولم يكن العمل يمثل له سوى واجهة اجتماعية لا أكثر ولا أقل .. فهو ينفق على نفسه ما يفوق ما يتقاضاه من عمله بأضعاف كثيرة .. فالثراء الذى تربى فيه من صغره كفيلا بأن يجعله يحيا حياته بالمال الذى لديه .. كذلك لم يكن راضيا عن ان يكون عمله هو أن يجلس فى الاستيفة يحرر المحاضر والبلاغات لمن يريد .. ولكنه يمتثل لنصائح ابيه (هو انت عاوز تترقى وتبقى ظابط كبير كده علطول .. ده أنا لما كنت فى سنك كنت باتعب اكتر من كده) .. ومع انشاء محافظة حلوان وعمل قسم شرطة خاص لدار السلام بعدما كانت تابعة لقسم البساتين ، تم نقل وليد لقسم شرطة دار السلام ، وفرح وليد بذلك لأنه سيبتعد عن تحرير المحاضر ويصبح ضابط دورية لحفظ الأمن والأمان بين المواطنين من جهة وللحصول السهل والميسور

على الحشيش من جهة أخرى ، فكيف لضابط شرطة أن يشترى الحشيش من أولائك الحثالة اللذين يبيعوه .. مجرد أن تقف سيارة الدورية أمام فرح شعبى أو تجمع لمعلمين المنطقة ، ويهبط منها وليد مع أمين الشرطة .. حتى يهرع الجميع مستقبلين

- معالى الباشا منورنا .. حصلت البركة .. اتفضل اتفضل

يجلس وليد وأمين الشرطة وبعد دقائق ينصرفان ومعهم قالبا أو قالبين من الحشيش .

الآن وليد عريس فى أجازة ويحتاج الى الحشيش .. ماذا يفعل ؟

اتصل بأمين الشرطة مساعده على سيارة الدورية

- ايوه يا حسن ؟ .. عندك حشيش فى القسم ؟
- امبارح كان فيه فرح ابن المعلم هريدى الجزار ما أنت عارفه ؟ .. ونزلنا بالعربية البوكس لمينا شوية حشيش حلوين .. وجبنا كام عيل من العيال الصيَّع بتوع المنطقة عملنا لهم محاضر تعاطى عشان نبقى فى السليم .. هاجيبلك قالب حشيش وأجيلك

رد وليد مسرعا
- لأ لأ .. خليك عندك أنا هاجيلك ع القسم
- معقول يا باشا ده أنت عريس المفروض ما تخرجش من شقتك قبل أسبوع
- لأ عايز أغير جو وأخرج من الشقة .. أنا جايلك

خرج وليد وعاد بعد ساعتين وبمجرد دخوله الى الشقة ، اتجه لغرفة النوم ليجد زوجته جالسه وعلى وجهها علامات الإعياء من كثرة البكاء ، ولكنه قال مستهزءا
- ايه .. ما حدش جه يعنى .. موبايل ماما ما بيجمعش معاكى ولا إيه ؟
ردت ميار
- أنا ما كلمتش حد
قالتها بنبرة واثقة وكأنها تريد أن تخبر وليد أنها صارت زوجة كاتمة لأسرار بيتها ، مما جعل وليد يضحك على سذاجتها الطفولية وذهب الى الصالة يجلس على الأريكة بعدما سحب المنضدة أمامه .. أخرج قالبا من الحشيش

وعلبتين سجائر مارلبورو أحمر ، وفجأة تنهد فى حنق لأنه نسى أن يشترى قلم .. نادى قائلا

- فيه قلم هنا

أحضرت ميار قلما ومدت يدها به لوليد الذى تناوله بعصبية

وكسره ليخرج أنبوبة الحبر .. لم يعبأ زوجتهوهى تشاهده يقطع قطع الحشيش الصغيرة ويجعلها على شكل ديدان ثم يثبتها فى طرف أنبوبة القلم ويدفع بالأنبوبة فى السيجارة حتى تعبر من الجهة الأخرى بعدما تستقر قطعة الحشيش بوسط السيجارة تاركة على الفلتر الإسفنجى علامة تُسمى (عين الحُسن) حيث تكون هذه العلامة هى التى تجعلك تميز بين السيجارة المحشية بالحشيش والسيجارة السادة .. انهمك وليد يعد سجائر الحشيش ليسمع ميار تقول

- انت ازاى ظابط وبتعمل الحاجات دى ؟

رد وليد بضحكة خافتة وقال

- ما أنا عشان ظابط بادخن الحشيش

زمت ميار شفتيها وقالت بصوت واهن

- وليد .. أنا فعلا مش مثيرة بالنسبة لك زى ما قلت ؟

لا يدرى وليد لماذا تسرب اليه إحساس بالشفقة تجاهها .. هل لأنه هدأ من غضبه .. أم لأنه تشفى فيها بما يكفى ، فأجابها

- انسى كل اللى قلتهولك

جعلت نبرته ميار تتابع فى شغف

- يعنى انت ما كنتش نايم مع واحدة امبارح

- لأ

قالها وهو ينتهى من اعداد سجائر الحشيش ويشعل واحدة .. أسرعت ميار تحضر طفاية السجائر وهى تمنى نفسها ببداية جديدة مع وليد وقالت

- بجد يا وليد .. انت ما تتخيلش كلامك عمل فيا ايه ؟

قالتها وهى تجلس ملاصقة له ترنو اليه بنظرات حانية .. أدار وليد رأسه اليها ، ولما رأى علامات البراءة على وجهها بعد كل ما فعله بها من الأمس واليوم .. أحاطها بزراعه وطبع قبلة على جبينها وقال

- أنا آسف يا ميار .. حقك عليا

كانت قبلته وجملته الأخيرة كفيلة بأن تجهل وجه ميار يتهلل بسعادة وتنهض قائلة

- هاجهزلك الغداء

أثناء تناول الغداء .. قالت ميار

- أنا آسفة يا وليد .. بس أنا مش باردة

بترت كلماتها وهى تلوك الطعام بعدما إعتراها احساس الخجل من جملتها الأخيرة .. شربت بعض الماء وضمت شفتيها وعاودت كلماتها

- انت اتكلم معايا فى الحاجات اللى بتثيـ..

ابعدت عينيها عن وجه وليد المنهمك فى تناول الغداء ، وشجعت نفسها لتتابع

- الحاجات اللى بتثيرك وأنا أعملهالك .. وايه اللى مش عاجبك فيا وأنا أغيره

ألقت جملتها دفعة واحدة وكأنها تتخلص من حمل ثقيل على صدرها .. اكتفى وليد بإيمائة من رأسه .. وذهب الى الحمام ليغتسل فى حين أعدت ميار له بيجامة وملابس داخلية جديدة .. جلست على السرير وجسدها كله يرتعش .. سيسأل أحدكم لماذا ؟ .. سأجيب لأنها الآن فى مرحلة مخاض .. تتمخض ميار لتتخذ قرارا

تفكر فيه ، هل تتدخل الآن الحمام على زوجها وهوعاريا وتناوله البيجامة .. ولماذا لا تتعرى هى الأخرى وتغتسل معه ، أو تمسد له ظهره تحت الماء .. الفكرة تثير غريزتها وحتما ستكون مثيرة لوليد ، هكذا تفكر ميار ، لكن ما الذى يمنعها ؟ .. الخجل .. وأخيرا اتخذت قرارها وأسرعت بخطواتها ممسكة البيجامة وفتحت باب الحمام ودخلت على وليد بسرعة لأنها تخشى أن تتراجع فى أية لحظة .. ما ان وقعت عيناها على جسد زوجها العارى المغطى برغاوى الصابون تحت الماء حتى اشاحت بوجهها المحمر خجلا ، أستهلكت وقتا طويلا فى تعليق الفوطة والبيجامة على ظهر باب الحمام .. وفجأة كمن صعقه تيارا كهربائيا نزعت ملابسها وصارت عارية .. ووقفت بداخل البانيو الى جوار وليد الذى يشعر بحالتها من فرط لهاثها المحموم .. كل ما فعلته بعد ذلك أنها احتضنته من الخلف ووضعت رأسها على كتفه يغمرهما الماء المنهمر من الدُش .. سمعت ميار ضحكة خافتة من زوجها الذى استدار وأحتواها يحتضنها بداخله .. ولما شعرت ميار

بتلامس حلمتيها على شعر صدر وليد يدغدغها الماء المنهمر مع ملمس جسديهما العاريين ، وجدت البلل بين فخذيها وأحست بلسعة الإثارة تعتريها .. تمنت ميار لحظتها لو استطاعت أن تجعل وليد يرى ذلك حتى يدرك أنها ليست باردة كما يعتقد .. بل أنثى طبيعية تشعر بالإثارة الجنسية إذا تعرضت للمثيرات .. لا تدرى هى كيف مدت يدها وأمسكت بكف وليد ووضعته بين فخذيها لتجعله يدرك أنها الآن مثارة جنسيا وليست باردة كما قال لها .. أدرك وليد ذلك وابتسم بابتسامه يشوبها بعض السخرية .. لأن البرود الذى يقصده ليس ما تنفيه له زوجته فى هذه اللحظة .. انما يقارنها بمن مارس معهن الجنس من قبل وما كن يفعلن به .. أبعد كفه فى الوقت الذى التقم فمها يقضمه ويقبله .. ما ان أمسكت ميار قضيب زوجها بيدها حتى انتفض جسدها بقوة .. وبيد مرتعشة بدأت تدلك قضيبه ، ولدهشتها تحولت تلك القطعة المطاطية الى شيئا كبيرا صلبا منتصبا فى يدها .. وجدت نفسها تضحك بميوعه ودلال .. فى حين ابتسم وليد هو الآخر ، فالآن ظهر لزوجته الدليل القاطع على

عدم عجزه .. قضيبه منتصب على آخره فى يدها .. وشفتاهما تتعانقان ، اندهش وليد حين وجد زوجته تقلده وتتفنن فى مداعبة شفتاه ، تركهما لها تلثمهما وتمتصهما وتعبث بهما فى فمها .. جذبها وليد وخرج بها من الحمام مسرعا قبل أن يفقد انتصابه .. الماء يتقاطر على الأرض من جسديهما المبتلين ، وحين صار بين فخذيها وبدأ فى اختراق موطن عفتها ، كتمت هى صوت أناتها من الألم .. الذى كان مصدره كونها بكر بمعنى الكلمة ، فعدم خوضها لأى إثارة جنسية من قبل حتى مجرد مداعبة نفسها ، حافظ ذلك على مهبلها ضيقا للغاية ومع عبور جزء من قضيب وليد وجدت ألما كبيرا يداهما .. تحملت لكى ينتهى الأمر الا أنه لم ينتهى .. صرخ وليد بعدما رأى قضيبه يرتخى بعدما عبرت الرأس مهبل ميار

- هو فى ايه ؟ .. ايه اللى بيحصل ده

قامت ميار مسرعة تهدأ من روعه وتقول

- أنا دلوقتى صدقت كلام ماما .. انت فعلا مربوط

رد وليد بغضب

- ربط ايه بس .. ايه الكلام الفاضى ده ؟
- طب تفسر بإيه اللى حصل .. انت كنت جاهز ومستعد واحنا فى الحمام ولما نكون خلاص على وشك يحصل اللى حصل

بدت على وليد بعض علامات الإقتناع ، وبدأ يفكر ويتسائل بينه وبين نفسه ؟ .. بالأمس كان مع شهد فحلا ، واليوم كان على تمام انتصابه مع زوجته فى الحمام .. لكن الشروع فى اختراق مهبلها يؤدى الى الإرتخاء .. يبدو أن كلام زوجته صحيح .. أفاق من شروده على صوتها يقول

- بتحصل كتير أنا هاكلم ماما

ولما علمت مدام مريم والدة ميار قالت

- فيه واحده صاحبتى تعرف شيخ فى دار السلام جنبنا هاخد رقمه واكلمه

لم يمضى الكثير من الوقت حتى كانت أسرة وليد وأسرة ميار مجتمعين ، وحضر الشيخ أحمد عبد القادر المعالج الروحانى بالقرآن .

تبدلت أحوال سماح بعد مضى شهر فى العمل لدى خالد فى محل (خوليو) فى جراند مول المعادى .. تقف سماح لتتعامل مع زبائن المحل بعدما خلعت حجابها وصففت شعرها منسدلا على ظهرها ، ترتدى بادى ضيق قصير لا يغطى ما أسفل سرتها وبنطلون جينز يبرز خصرها وأردافها ، كما صبغت وجهها بمساحيق التجميل فإختلف شكل وجهها مع المكياج الذى رسمته عليه .. كما استبدلت النظارة بعدسات لاصقة خضراء اللون .. لم يكن ذلك فحسب ، بل حذفت من قاموسها اللغوى كلمة شكرا واستبدلتها بكلمة (ميرسى) .. كانت دائما ما تتحدث مع زبائن المحل بعبارات (من فضلك لو تكرمت .. إذا سمحت يافندم .. ميرسى لذوقك) .. ولكن استخدامها المبالغ فيه لتلك العبارات مع تطعيمها ببعض الكلمات الإنجليزية وكذلك طريقة مشيتها المتكلفة التى تتصنع بها أنها من أولاد الذوات ، جعلها أضحوكة لمن يتعامل معها ، فشكلها وسلوكياتها تجعل الكل يدرك أنها فتاة بيئة تتصنع أنها من أولاد الذوات ، عدا هى .. ما أن ينتهى موعد عملها حتى

ترتدى فستانا طويلا تدارى به البنطلون الجينز الضيق والبادى القصير وتحكم رباط الحجاب على رأسها وتعود الى دار السلام .. هكذا قامت سماح بتقسيم حياتها الى شقين الأول المعادى وله ملابسه وسلوكياته ، والثانى دار السلام . . أدى ذلك التناقض الى ازدياد نقمتها على مجتمعها الذى نشأت فيه .. فحين تخرج من الجراند مول وتبتعد عن الروائح الجميلة والوجوه المنعمة وتستقل المترو وتدخل دار السلام لتتنسم رائحة القاذوروات والمجارى والوجوه الكالحة تشعر برغبة عارمة فى أن تبصق على كل ما يقابلها فى طريقها من محطة مترو دار السلام وحتى منزلها المواجه لسور المترو ، ورغم أنها يمكن أن تذهب وتعود من عملها فى الجراند مول بالميكروباص بطريقة أسهل وفى زمن أقل ، إلا أنها تفضل المترو فهو أرحم بالنسبة لها من الميكروباص المتكدس بأولائك الجرابيع من أبناء طبقتها.

أما خالد ذلك الشاب الكول ، بعدما أنهى سنواته الجامعية ، لم يعد كول بل تحول الى مدمن ..

لكنه ليس إدمانا للمخدرات ، إنما إدمان الشات فهو نزيل دائم لغرف الشات عبر المواقع الإلكترونية من خلال اللاب توب الذى لا يفارقه .

ولد خالد ابنا وحيدا مدللا لأسرة ثرية من المعادى .. يعمل أبوه مهندسا إنشائيا ، وتعمل والدته مديرة قسم فى شركة خاصة للتجارة والتسويق .. شب خالد خاويا من أى شئ .. يعيش بلا هدف فى الحياة ولا يشعر بأية مسئولية تجاه أى شئ .. وبعدما تخرج من الجامعة إستأجر له أبوه محلا فى الجراند مول ووضعه فيه .. ورغم أن ربح المحل يغطى تكاليف حياة خالد .. إلا أنه كان يمكن لأن تتضاعف أرباح المحل إذا تولى إدراته من يهتم به ولا يجلس محتضنا اللاب توب نزيلا لغرف الشات كما يفعل خالد على الدوام .. صار أكثر عزلة فى الآونة الأخيرة وأصبحت حياته كلها بداخل غرف الشات ، والمشكلة أنه لم يكن هدفه هو التعارف على الفتيات كما يفعل أغلب المراهقون من الشباب ، وإنما صار هدفه هو التقمص .. يتقمص الشخصيات الزائفة وكأنه

يملأ الخواء والفراغ بداخله بتلك الشخصيات الوهمية .. يتلذذ مستمتعا حين يتقمص دور فتاة أو إمرأة متزوجة لعوب ويسعى للتلاعب بالخصوم وكأنه فى معركة يجب الانتصار فيها .. يتفنن فى استدراج الخصم وإيهامه بما يريد لدرجة أنه يشعر أحيانا أن الشخصية التى يتقمصها قد صارت حقيقة ، فتراه يتحدث معك بعدها بطريقة غريبة وشخصية مختلفة عن شخصيته ، حتى نظراته صارت نظرات متشككة متفحصة غير مصدقة فى معظم الأوقات .. وجد أن معاركه تنتهى حين يصر الخصم على التحدث من خلال المايك أو عبر الكاميرا غير مكتفيا بالصور التى أرسلها له .. حتما سينكشف ويخسر المعركة ، إلا أنه صار أستاذا متمرسا فى فنون هذا العالم فاستخدم برنامجا لتغيير الصوت كما يريد فتسمع منه صوت ناعم لفتاة ، وثانيا مبحوحا لإمرأة حزينة مكلومة .. وثالثا شبقا مثيرا شهوانيا .. حتى الكاميرا يجعلك ترى صورة فتاة تلوح لك والسماعات حول أذنيها .. أو إمرأة تبعث لك بقبلة وتعرى ثدييها .. غرق خالد فى هذا العالم

حتى الثمالة وصار مريضا يحتاج الى علاج .. ولماذا لا يتم علاجه ؟ .. لأنه لا أحد يسأل عنه أو يهتم لأمره ، بإستثناء صديقه وليد نور الدين يتقابلان بين الحين والآخر .. فمضى خالد على ذلك المنوال ليبتكر أساليب جديدة وشخصيات مختلفة عن تلك المعتادة عبر غرف الشات .. ذات مرة جعل رجل وزوجته يظهران عبر الكاميرا أمامه عاريين بعدما تعرف على الرجل منذ فترة متقمصا دور رجل أربعينى يعشق مع زوجته ارتياد المواقع الجنسية ، وتتطور الأمر بعد عدة محادثات الى الحديث عن الجنس الجماعى .. وكان سعيدا بهذه المغامرة حين رآى الرجل وزوجته يمارسان الجنس أمام الكاميرا وهو يشاهدهما .. ومرة أخرى أوهم شابا بأنه فتاة جميلة من خلال برنامج تغيير الصوت وبرنامج فيديو الكام ، وبعد عدة محادثات عبر الشات جعل الشاب يرسل له رقم كارت شحن ليتمكن من محادثته عبر الموبايل .. كم ضحك كثيرا بعدما قام بإدخال رقم الشحن المرسل ليجد الرصيد مائة جنية .. فالشاب أراد أن يعبر للفتاة الجميلة الفاتنة عن مدى كرمه .. ظل خالد

يتقمص الشخصيات ويحياها عبر غرف الشات ، يملأ فراغ حياته وشخصيته الخاوية بما يفعل .. وفى أحد الأيام حين كان يتصفح الفيس بوك عثر على جروب اسمه (جروب رابطة الفتيات المنقبات .. أنا منقبة ولست إرهابية) .. جذبه العنوان وجرت عيناه على السطور التعريفية للجروب والتى كانت تتحدث عن النقاب كفريضة دينية ، ونظرة المجتمع الفاسد للمنقبة على أنها متخلفة إرهابية .. قرأ التعليقات ثم كتب (كنت منقبة وخلعت النقاب ، لأننى وجدت نفسى منبوذة فى مجتمع العراه .. أنا عارية .. إذن أنا لست إرهابية) وكتب الاسم اسفل التعليق (منقبة المعادى) ومن تحته عنوان الايميل .. اندهش خالد حين فتح الايميل فى اليوم التالى ووجد العديد من الرسائل من الأخوات المنقبات يدعون لمنقبة المعادى بالهداية ويطالبونها بالعودة الى النقاب والصبر على البلاء .. لكن ما لفت نظر خالد تلك الرسالة التى تحمل عنوان (من منقبة دار السلام) ، وفحوى الرسالة جملة واحدة (اتقى الله وابتعد عن هذا الجروب هداك الله).. جعل ذلك الرد خالد ليعيد قراءة التعليق

الذى كتبه فلم يجد فيه ما يجعلها تتشكك فى كونه رجل ، فلماذا تخاطبه كرجل ، استهواه الامر ليس لما كتبته فى رسالتها له ، ولكن لكونها أولا منقبة .. ثانيا من دار السلام بالقرب منه ، وبدأ كتابة رسالة تقول مقدمتها (لا النقاب ولا الحجاب فريضة شرعية) .. ثم انهمك خالد فى البحث على الانترنت عن تلك المواقع التى تسوق الآيات والأحاديث للتدليل على عدم فرضية الحجاب للمسلمة وبالتالى النقاب ، وقام بعمل نسخ ولصق الى رسالته لتبدو الرسالة فى مجملها وكأنها بحث دينى عن عدم فرضية الحجاب والنقاب فى الإسلام .

سرعان ما جائه الرد بالحجة والدليل على فرضية النقاب فى الإسلام .. وتوالت الرسائل خلال الأيام التالية بين منقبة المعادى ومنقبة دار السلام تدعوا كل واحدة فيها للأخرى بالهداية والفهم الصحيح للدين ، وتحول الأمر من جدال دينى برسائل الايميل الى مشاجرة الكترونية .. حين تحادثا سويا على الهوتميل .. كان خالد مستمتعا بتلك الشخصية الجديدة : المنقبة التى خلعت النقاب ولم ترتدى الحجاب لأنها فهمت

الدين الحنيف على حقيقته وترى أن المسلمة غير مفروض عليها غطاء الرأس من الأساس ، ويستلذ بالجدال مع منقبة دار السلام عبر الشات لدرجة أنه صار فقيها فى الحجاب فى الاسلام من كثرة ما قرأ على الانترنت فى هذا الشأن .. وكل ذلك من أجل لا شئ .. بدأ خالد يهدأ من وتيرته المحمومة فى الجدال ليبدو أنه بدأ يقتنع بحجة منقبة دار السلام ، وبدأ التعارف .. علم أن اسمها فاطمة وأخبرها هو أن اسمه ياسمين .. وإمعانا فى مزيد من التعارف تحدث اليها بصوت امرأة عبر المايك .. وبالفعل حدث ما توقع فقد طلبت هى اللقاء .. واتفقا على أن يتقابلا فى مسجد الفتح بالمعادى بعد صلاة المغرب ليحضرا درس الشيخ أسامة العوضى .

خلال تلك الأيام كانت سماح قد بدأت تتغير فى معاملتها لخالد .. لم تعد تعامله كموظفة لديه ، بل شعر خالد وكأنها زوجته .. تهتم به لأبعد الحدود

- مش كفاية البتاع ده بأه .. بتستفيد ايه من الشات ده ؟

- شكلك متضايق النهارده .. تحب اجيبلك نس كافيه
- على فكرة شعرك .. عايز يتسرح كويس .. انت مانمتش امبارح ؟ باين عليك مجهد
- انت اتأخرت النهاردة ليه ؟

كان خالد يرد بينه وبين نفسه (وانتى مال أهلك) .. شعر خالد بالندم على جعل سماح تعمل معه بالمحل .. فهو لم يكن يحتاج سوى لعامل نظافة ، لكنه حين وجد زميلة دراسة قديمة تتطلب العمل .. جعلها تعمل كبائعة فى المحل ، وبالطبع سمع منها الأسطوانة المكررة عن ظروفها المادية والعائلية وكيف جاهدت من أجل استكمال تعليمها والرقى بمستواها ، والطموحات الهائلة التى تسعى لتحقيقها فى الحياة .. ولم تفتأ سماح من تكرار تلك الأسطوانة على مسامعه ، فغضب عليها ذات مرة مطالبا إياها بالسكوت فالصداع متملك من رأسه .. ظلت هى يومين صامتة تماما حتى أنه كاد ينسى وجودها بالمحل فى بعض الأوقات ، لكنه كان سعيدا .. إلا أنه وجدها تستبدل الأسطوانة المكررة بشئ آخر ، حيث تفتح موضوعا تافها ثم تتناول تحليله

بطريقتها الفلسفية ، مما دفع خالد لأن يقرر طردها من العمل بالمحل .. إلا أنه وجد نفسه يشفق عليها فتراجع عن قراره وتركها ، وبدأ يحضر للمحل متأخرا قبيل موعد انصرافها ليتجنب ثرثرتها وإضطراب عقلها .. بينما دفعها عدم اهتمامه بها الى مزيد من التقرب اليه ، فتقحم نفسها فى حوار دار بينه وبين فتاة ما تليفونيا .. وذات مرة هم بالإنصراف فرآها تسرع وتحضر الجاكيت وتريد أن تلبسه له ، فتبسم من فعلتها وقال بهدوء

- لأ لأ .. عنك انتى .. أنا مش عاوز اتعبك يا سماح

قالها وهو يسحب الجاكت من يديها محدقا فى وجهها ذو الملامح الأسيوية الشرقية .. وتابع

- بلاش تتعبى نفسك معايا خالص

لم تتوقف سماح رغم ذلك .. فى اليوم التالى دخل خالد المحل ليجد باقة ورد على المكتب وسأل وهو يستنشق الورود

- مين اللى جاب الورد ده ؟

- أنا

- آه .. وإيه المناسبة ؟
- من غير مناسبة
قالتها سماح بنبرة دلال وهى تحدق متدلهة فى وجه خالد الذى ضحك من منظرها وطريقتها فى نطق الجملة الآخيرة وقال مقلدا طريقتها ونبرة الدلال
- ميرسى .. ميرسى يا سماح .. بس مش هاقدر آخد منك الورد الجميل ده
- ليه ؟
هكذا سألت سماح وفى عينيها نظرات ذهول كمن يسأل عن أمر خطير .. تنهد خالد وقال بزهق
- ما بحبش الورد .. أنا ما بحبش الورد
اقتربت سماح حتى صارت على بعد سنتيمترات منه وهو جالس على المكتب وقالت بصوت يشبه الهمس
- فى حد ما بيحبش الورد
هنا انفجر خالد فى وجهها كديناميت داست عليه سماح بقدمها وصاح
- إرحمينى بأه حرام عليكى .. ما بحبش الورد مابحبش الورد .. أهو أهو

قال جملته الأخيرة وهو يرمى بالورد ويدوسه بقدمه وكأنه مجنون فقد عقله تابع صياحه

- أنا كده .. ربنا خلقنى كده .. أقسم بالله أنا كده .. ما تشغليش بأه انتى نفسك بيا

- خلاص خلاص خلاص

قالتها سماح وهى تتجه لأحد الأركان وتجلس متقوقعة على نفسها فى منظر جعل خالد يردد فى سره

- إشفى يا رب .. أنا اللى جبته لنفسى .. ايه اللى خلانى اشغل البت اللاسعة ده عندى .. إن ما كنتش عارفها من أيام الكلية

وجد سماح تصيح

- انت أكيد زعلان منى فى حاجة .. زعلان منى فى ايه ؟

تنهد خالد كاظما غيظه بعدما شعر أنه كان قاسيا معها وقال بنبرة حاول أن تكون هادئة

- أنا مش زعلان مـ

قاطعته هى محتدة

- لأ زعلان منى .. أمال بتعاملنى كده ليه ؟

- يوووووووووووه

هكذا صاح خالد بمنتهى الضجر قبل أن يردف

- ما تزعليش منى يا سماح .. انتى محتاجة
تروحى لدكتور نفسانى

قالها خالد وهو ينتظر منها أية رد إلا الرد الذى قالته

- أنا فعلا فكرت فى كده كتير
- طب كويس انك عارفة انك محتاجة لدكتور نفسانى
- أنا النهاردة الصبح بعد ما فتحت المحل لقيت نفسى قاعدة بأعيط من غير سبب وخايفة وباترعش .. كنت هاكلمك تيجى بدرى عشان أروح
- ودا من ايه ؟
- مش عارفة

شعر خالد ببعض الشفقة بعد كلماتها فقال

- أنا هاساعدك .. هاحاول أشوف دكتور نفسانى كويس وانتى تروحى له .. روحى انتى دلوقتى عشان تستريحى وأنا آسف لإنى اتعصبت عليكى

إندفعت سماح تتلو سلسلة الإعتذارات بعد جملة خالد الأخيرة .. مما دفعه ليقول

- خلاص يا سماح .. اتفضلى انتى

فى الغد دخل خالد المحل وبمجرد جلوسه على المكتب بادرته سماح التى تأنقت اليوم بشكل ملفت للنظر سواء بإرتداء ملابس مثيرة أو المكياج على وجهها وقالت

- ايه رأيك فى الجنس ؟

سكبت جملتها هكذا مرة واحدة ، فأطلق خالد ضحكة عالية وقال

- تقصدى ايه بالظبط ؟

- أصل حصل حاجة النهاردة لما فتحت المحل الصبح

- حصل إيه ؟

- خلاص .. خلاص .. أصل انت هاتزعل

- طالما هازعل بلاش

قالها خالد وهو يقوم بتشغيل اللاب توب متوقعا أن سماح قطعا لن تصمت ، وبالفعل سمعها

- أصل أنا النهاردة عملت حاجة ومش عاوزاك تزعل منى

لم يرد خالد وبدا منهمكا فى مطالعة رسائل الإيميل .. ليلتفت إليها منتبها حين سمعها تقول بصوت مرتعش

- أصل أنا لقيتك سايب اللاب توب بتاعك هنا وكنت عايزه اتعلم الكمبيوتر .. فتحته

حدق خالد فى وجهها وتنهد بعمق .. ثم أخرج سيجارة وأشعلها ونفث دخانها فى وجه سماح وقال

- عشان تتعلمى الكمبيوتر تروحى تاخدى كورس
- أنا أول ما فتحت الجهاز لقيت الياهو اتفتح وقريت الرسايل بتاعتك

ضرب خالد كفا بكف وقال

- وانتى ايه اللى يخليكى تقرى حاجة خاصة بيا ليه
- أصل أنا اتصلت بواحدة صاحبتى وقالت لى إنك كده كده هتعرف ان الرسايل اتفتحت .. قلت أقول لك أنا عشان ما تزعلش منى
- خلاص يا سماح .. بس بعد اذنك ما تكرريش ده تانى
- بس أوعى تزعل منى

- لأ مش زعلان
- بس بتقولها وشكلك زعلان
- لأ أنا مش زعلان أهو أهو حتى شوفى
قالها خالد وهو يرسم ابتسامة كاريكاتيرية على وجهه .. فصاحت سماح
- طب بتعمل ليه كده ؟
لم يرد خالد لتواصل سماح
- لقيت الدكتور اللى هتودينى ليه ؟
- أنا كلمت واحد وهو هيرد عليا .. ثم أنا مش هاوديكى له .. انتى هتروحى له
- لوحدى ؟
- آه
اتجهت سماح للتعامل مع أحد الزبائن وتمنى خالد لو أمضى الزبون اليوم كله بالمحل وحتى ولو لم يشترى شئ لتنشغل سماح بعيدا عنه .. لكنها أنهت تعاملها وباعت ما طلبه الزبون ثم عادت تسحب الكرسى وتجلس الى جوار خالد أمام اللاب توب تقول
- عاوزاك تعلمنى الكمبيوتر
- وإنتى عندك كمبيوتر ؟
- لأ

- الممارسة هى اللى هتعلمك .. لازم يبقى
عندك جهاز
قالها وهو يدير الجهاز ناحيته حتى لا ترى سماح ما يفعل وسمعها
- هى ليه كل الرجالة ما بتفكرش غير فى
الجنس ؟
ورغم انها لم تتلقى اجابة إلا أنها واصلت
- الأفلام والصور اللى على الجهاز بتاعك ده
كلها حاجات جنسية
هنا رد خالد ضاحكا
- هو انتى كمان فتحتى الافلام والصور ..
وايه اللى خلاكى تشوفى الحاجات دى
- وهوا أنت بتشوفها ليه ؟
لأول مرة منذ أن عرف خالد سماح يجدها تتحدث فى موضوع استهواه فواصل معها الحوار
- يعنى باصبر نفسى لحد ما اتجوز
أخيرا شعرت سماح أنها فتحت موضوعا جذب اليها من تحدثه وجعله يبادلها الكلمات .. فأطلقت لنفسها العنان فى الحديث عن مسائل جنسية خاصة .. دون أن تعبأ بنوع الموضوع ، فلم تكن

تفكر سوى فى أنها أخيرا وجدت من يشاركها الحديث فى موضوع ما حتى ولو كان موضوعا حميميا لا يجب التحدث فيه ، ولا سيما إذا كان الطرف الآخر المشارك فى الحوار هو خالد
- أنا أوقات كتير باحلم بحاجات وأصحى من النوم وأنا باترعش

ترك خالد ما كان يفعله على اللاب توب ورجع بالكرسى للوراء قليلا ، وأشعل سيجارة وقال مبتسما
- حاجات ايه ؟
قالها وهو يمنى نفسه بأن سماح البنت اللاسعة طلما تطرقت للحديث فى هذا الأمر ، فحتما سيسمع منها مالم يسمعه من قبل ، وأجابته سماح
- حاجات جنسية
- زى احنا الشباب لما بنحتلم يعنى
سعدت سماح بتجاوب خالد معها فى الحوار وتابعت
- أنا باحلم بيك كتير
تصنع خالد عدم الفهم وقال
- بتحلمى بيا فى ايه ؟

- فى الحاجات دى
- الجنس يعنى
قالها خالد وبدأ يشعر بالإثارة .. وهنا تختلف الأمور فحينما تشعر أنت مثلا بالشبع تجاه الأكل ستلحظ ملح الطعام الزائد وعدم الطهى الجيد .. أما إذا كنت جائعا فلن تلحظ ذلك ستأكل لسد جوعك فقط .. هكذا كان خالد ينظر لوجه سماح بعدما أثاره حوارها معه .. لاحظ المكياج المرسوم على وجهها وأستحسنه .. نظر فى عينيها ذات العدسات الخضراء فوجدها جميلة ورنا إلى شفتيها وهى تقول
- من أيام الكلية وأنا باشوفك فى الأحلام بنمارس الجنس
كانت هذه الجملة هى ما جعلت خالد يعتدل فى جلسته ويمد يده يسحب حجر بنطلونه الجينز ليتيح المجال أمام ما بدأ يتمدد بين فخذيه .. وقبل أن تشرع سماح فى سرد التفاصيل دخل وليد إلى المحل ليستقبله خالد بالأحضان يقول
- أهلا بالعريس اللى هيخش دنيا
- عقبالك يا عم خالد .. مش ناوى ولا إيه ؟
- عندك عروسة ؟

- هتلاقى كتير
- حددت ميعاد الفرح ولا لسه ؟
- الأسبوع الجاى

قالها وليد وهو ينظر الى سماح ولاحظه خالد وقال

- نسيت أعرفك .. الأستاذة سماح زميلة دراسة قديمة وشغالة فى المحل معايا

رد وليد بذوق أولاد الذوات

- أهلا وسهلا

أشار خالد تجاه وليد وقال

- ملازم أول وليد نور الدين .. صديق عمرى من أيام المدرسة

قالها خالد وعلى وجهه شبه ابتسامة ساخرة مما سيحدث ، وقد حدث .. حيث إقتربت سماح ومدت يدها تصافح وليد تحنى رأسها فى مشهد مسرحى تقول

- نايس تو ميت يو

لم يقدر خالد على كتم ضحكته التى انطلقت وحتى لا يحرج سماح تدارك بسرعة

- كل ما اتخيلك وانت هتبقى الحاج متولى .. ما بأقدرش أمسك نفسى من الضحك

- الحاج متولى ؟
- متجوز شهد وهتتجوز تانى .. ومين عالم يمكن يبقوا أربعة وتبقى الحاج متولى
- طب تعالى نتغدى فى حتة بره

غادر خالد ووليد وأول ما دار بينهما بالقطع هو حوار عن سماح ، وقال وليد

- وإيه اللى يخليك تستحملها كده .. ما تمشيها من الشغل .. دى فيها شبه كبير من الخدامة الفلبينية اللى عندنا

ضحك خالد وأجاب

- هى رغم كل ده طيبة وغلبانة .. كذا مرة كنت هامشيها من الشغل بس صعبت عليا

إندهش خالد حين استيقظ من نومه محتلما على إثر حلم جنسى فاحش .. لم يكن الحلم فى حد ذاته هو سبب دهشته ، وإنما كون سماح هى شريكته فى هذا الحلم .. هل حوارها معه بالأمس أثاره الى هذا الحد ؟ .. إغتسل واتجه الى المحل وبمجرد دخوله ابتسم فى وجه سماح وقال

- إزيك يا سماح ؟

قالها وهو يرنو إلى طلاء الشفاه اللامع الذى رسمته على شفتيها .. وجلس على المكتب ، فى الوقت الذى كانت سماح تشعر بسعادة من جراء ابتسامته لها على غير المعتاد .. وقالت

- هاورح أجيبلك النسكافيه
- لأ خليها قهوة زيادة بعد اذنك ياسماح

ولما استدارت سماح خارجة لإحضار القهوة من الكوفى شوب فى الدور تحت الأرضى للجراند مول .. أمعن خالد النظر إلى مؤخرتها وهى تتحرك خلف الإسترتش الضيق .. وأدرك أنها مختلفة عن تلك التى رآها فى حلم الأمس التى كانت أصغر ، وشعر بدبيب الإثارة يسرى بجسده .. عادت سماح بالقهوة ووضعتها أمامه بينما هو كالعادة انهمك على اللاب توب .. سحبت الكرسى وجلست قريبا منه وقالت

- انت ليه ما تجوزتش ؟

رد خالد دون أن ينظر لها

- النصيب
- إيه مواصفاتك فى اللى إنت عاوز تتجوزها ؟

فاجأ السؤال خالد فنظر فى الفراغ يفكر ، وتجهم وجهه وتعجب لأنه لم يجد مواصفات لزوجة يتمناها .. أحس لحظتها بالضيق وشعر أنه مركب صغير يسير به موج بحر الحياة كما يريد .. بينما هو ترك نفسه هكذا وكأنه كائن مسير لا مخير .. يشعر أنه فارغ من داخله . أفاق من شروده على صوت سماح

- هو أنا بأمثل لك إيه ؟

ضحك من سؤالها ولم يرد وقبل أن تهم بالكلام مجددا قال

- شوية بس يا سماح عايز أشوف حاجة

قالها وهو ينحنى منهمكا فى محادثة عبر الشات .. فى حين قامت سماح مسرعة الى الركن البعيد الهادئ وجلست متقوقعة ، تنهد خالد لما لاحظها ولكنه ينتظر رجوعها ، وفعلا لم يمضى سوى دقائق أمضتها سماح فى المقارنة بين حال خالد معها فى حوار الأمس وحوار اليوم .. وتتسائل ما الفرق ؟ .. الجنس .. هل لا يلتفت اليها ولا يشده للكلام معها سوى الحديث عن الجنس .. إن كان ذلك ما سيستقطبه إليها فليكن .. سحبت الكرسى وعادت تجلس الى جواره وقالت

- أنا حلمت بيك إمبارح
ضحك خالد يقول
- يا محاسن الصدف .. وياريت يكون نفس الحلم
قالها وهو منهمك فى الشات وعينيه لا تفارق الشاشة ، مما جعل سماح تظن أنه يتحدث عن شئ أمامه على اللاب توب .. إلا أن كلمة حلم جعلتها تقول
- نفس الحلم أنهى ؟
لم يرد خالد فتابعت سماح بحماس
- إنت حلمت بيا
إلتفت اليها خالد وقال
- حلمت خير اللهم اجعله خير .. إن انتى لابسه فستان أبيض فى أبيض ، وربنا كرمك آخر كرم
- إزاى يعنى
لم يرد خالد وعاود الضغط على أزرار لوحة المفاتيح فباهتته سماح بسؤال سكبته بصوت متحفز
- إنت مارست الجنس قبل كده ؟
- لأ

- بس أنا كنت شايفاك فى الكلية بتاع بنات

- ومال دى بدى .. بعد الكلية كل واحد راح لحاله وما حدش بيتصل غير يمكن واحدة ولا اتنين كل فترة

- بتمارس العادة السرية ؟

ورغم طريقة إلقاء الأسئلة التى أشعرت خالد بأنه فى تحقيق بوليسى ، إلا أنه إعتدل فى جلسته مديرا وجهه إليها وأشعل سيجارة وقال

- إنتى مالك النهاردة شاغلة بالك بمسألة الجنس ليه ؟

- يعنى أصل أنا بأعمل كده ، وبأستحقر نفسى بعديها

أحس خالد بغريزته تتحرك وتتضاعف مفعولها بتذكره للحلم الجنسى الذى جمعه بسماح الليلة الفائتة ، وقال

- أنا مش من النوع اللى بيسعى لأنه يعمل علاقات جنسية

قالها وهو يهرش ما بين فخذيه بعدما تحرك من جراء الحديث الدائر .. ووجدها وهى تحدق فيما بين فخذيه بنظرة بلهاء ، وسمعها

- أصل أنا عاوزه أعرف معلومات عن الجنس

هكذا تحولت مواضيع سماح مع خالد تدور عن الجنس ، ووجدت خالد متجاوبا ومنسجما معها فى الحوار .. إستلذ خالد بتلك الأحاديث مع سماح وتتطور الأمر بعد حوار ذات يوم عن الأفلام الجنسية وطلبت سماح

- أنا عمرى ما شوفت فيلم من دول قبل كده .. عايزه أشوف

شاهدت سماح مع خالد فيلما اباحيا ، وكلما إقترب أحد الزبائن كتم خالد صوت التأوهات وأوقف عرض الفيلم ليعودا لمواصلة المشاهدة بعدها ..

فى بادئ الأمر كان هدف سماح من ذلك هو الإستمرار فيما وجدته جذب إليها من يتحدث معها .. ثم أدركت أنها تجاوزت الخطوط الحمراء لأى فتاة فى حواراتها ، لكنها انساقت مندفعة وراء ذلك كلما رأت أنها تقترب بذلك من خالد وسرعان ماتضائل كل ذلك أمام غريزتها وشهوتها التى استعرت بفعل تلك الأحاديث والأفلام التى تشاهدها مع خالد .. وزادت من

دقائق متعتها المختلسة أسفل الغطاء فوق السرير ليلا ، حتى أنها ذات مرة اندمجت ولم تدرى بتأوهاتها وانتفاض جسدها مما أيقظ أختها الصغرى النائمة الى جوارها ، وشهقت سماح فزعة حين سمعت أختها تصيح فى ظلام الغرفة

- مالك ياسماح بتتوجعى كده ليه .. تعبانة ؟

أسرعت سماح تدارى نصفها السفلى العارى تحت الغطاء ، وردت وهى تلهث

- مافيش

أما خالد فمن بعد ما رأى ذلك الحلم الجنسى الذى جمعه بسماح .. بدأ ينظر إليها بنظرة ذكر لأنثى .. فإعتاد على شكلها وطباعها ولم تعد منفرة له تحت وطأة الإثارة التى يشعر بها تجاهها بالحوار عن الجنس ومشاهدة الأفلام الإباحية .. وتعود على إختلاس النظر الى صدرها وخصرها ومؤخرتها كلما تثنت أو انحنت أثناء رص وتنظيف بضاعة المحل .

فى أحد الأيام انهمكت سماح فى رص طلبية عطور وأدوات زينة وحين أرادت رص بعض

البضاعة فى رفوف عالية وقفت على الكرسى وأراد خالد مساعدتها عكس ما كان يفعل سابقا حيث يظل جالسا أمام اللاب توب تاركا إياها .. لكن الوضع إختلف الآن فنهض خالد يناولها وهى ترص .. وإنشغل بمتابعة مؤخرتها من الخلف ثم تعمد أن يجعل زراعه تصطدم بها وهو يناولها .. نظرت هى له وابتسمت .. لأول مرة لا يرى خالد منها تلك النظرة المحدقة البلهاء المنفرة .. بل بدت له فى هذه اللحظة فاتنة بهذه الابتسامة ، فنشأ بينهما على الفور توتر مشدود كوتر العود ينتظر الريشة تداعبه ليعزف اللحن .. كان هذا التوتر هو ما جعل قضيب خالد ينتصب ، وجعل سماح تشعر بشهوتها الغريزية تتحرك والتى إنطلقت من عقالها فى الآونة الأخيرة بسبب الأفلام ، وأدى ذلك الى كسر حاجز الحياء التى تتمتع به أى فتاة ، وطغت الرغبة على أى شئ آخر .. ووجدت نفسها تتمنى لو كرر خالد إصطدام زراعه بأسفل مؤخرتها .. ولماذا تتمنى أو تنتظر .. مالت فجأة بجزعها للأمام فوق الكرسى وكأنها تعدل وضع

علبة مكياج .. فأصطدمت مؤخرتها بصدر خالد الذى ضحك وقال

- مش تحاسبى يا سماح .. الحاجات دى بتخلى المسائل تعبانة

خيل إليه أنها تضحك .. وتأكد أنها تتضحك فعلا .. ربما هذه المرة الأولى التى يراها تضحك فيها .. وسمعها تقول وسط ضحكاتها بصوت أنثوى مثير

- إنت اللى واقف وراها ليه ؟ .. عايز منها إيه ؟

- لو هى عايزه حاجة تقول

قالها خالد وهو يقرص سماح من مؤخرتها من فوق الإسترتش الأسود الخفيف .. مما جعلها تشهق متألمة وتستدير بحركة غريزية سريعة بسبب توترها وسقطت من على الكرسى فوقه ليسقطا أرضا .. خالد ممدد على ظهره على أرضية المحل ومن فوقه سماح .. للحظات شعرت سماح برعشة تسرى فى جسدها ، وابتلع خالد ريقه بصعوبة لما أحس بأنفاسها على وجهه .. أزاحها من فوقه بهدوء لتصير على الأرض ،

وقام هو وأسرع بغلق باب المحل وأسدل الستارة على الجزء الزجاجى من المحل فأختفيا تماما عن الأنظار .. عاد خالد ونام فوقها .. قبلها سريعا على شفتيها .. زادت دقات قلبها وعلا صوت أنفاسها .. بدأ بنزع بنطلونها المطاطى ، وساعدته هى فى خلع كيلوتها .. تسربت الى أنفه رائحة مابين فخذيها ورأى البلل خلف الشعر الكثيف لامعا .. أجج ذلك من إشتعاله .. خلع هو الآخر بنطلونه ولما لامس قضيبه ما بين فخذي سماح إرتعد جسده وتدفق سائله .. هنا تبدل الحال بالنسبة لخالد فقد انقشع ضباب الشهوة ورأى سماح البنت اللاسعة التى تعمل لديه .. كيف وصل به الأمر معها الى هذا الحد.. قاما يرتديان صامتان ومضى باقى اليوم دون أن يتحدثا فى شئ انشغلت هى فى إكمال رص البضاعة ، وإنشغل هو فى مراجعة الفواتير وكل منهما يشعر بشئ تجاه الآخر .

فى اليوم التالى وصل خالد وجلس على المكتب لتسأل سماح السؤال الإستانبة التى تسأله أى فتاة حدث لها ما حدث لسماح مع خالد

- إحنا إيه اللى حصل بنا ده ؟.. أنا ما نمتش طول الليل !
- الحمد لله إنها جت على أد كده .. وانتى لسه بنت

جلست سماح ملاصقة له وقالت

- أنا عايزه أعرف أنا بالنسبة لك إيه ؟

إندفع خالد لأنه لم ينم هو الآخر طوال الليل يفكر فيما حدث بينه وبين سماح ، ويخشى أن تتصور بعقلها المريض أنها يمكن أن تكون زوجة له ، وما الذى يمنع أن يجد نفسه متورطا معها ، فهى مريضة نفسيا وربما تخبر أهلها بما حدث .. قطعا ستكون مشكلة كبيرة وتأكد له ذلك من سؤالها الأخير لذا دفق كلماته

- شوفى يا بنت الناس .. أنا مابعاملكيش معاملة صاحب محل لواحدة شغالة عنده .. اعتبرتك زميلة دراسة وأنا ما حصلش إنى وعدتك بحاجة ولا ضحكت عليكى .. اللى حصل بينا امبارح كان برضاكى .. انتى بالنسبة لى مش أكتر من واحدة شغالة معايا .. أى حاجة تانية دماغك اللاسعة تخليكى تتوهميها لأ

لم يبدو على وجهها أنه سمعته .. فرط الذهول الذى اعتراها من كلمات خالد على عكس ما ظلت تفكر فيه طوال الليل وإعتقادها أن ما حدث بينها وبين خالد هو بداية لحياة جديدة وقصة حب هى بطلتها وخالد بطلها .. وظل خيالها يعبث بها وينسج لها خيوط السعادة وكأنها فى حلم جميل أفاقت منه الآن بعد كلمات خالد لها .. سقطت دمعة وانسالت على وجهها الجامد ، ثم دمعة ثانية فثالثة وسرعان ما انهمرت دموعها وأجهشت فى بكاء حار .

عادت تهدأ وقال خالد

- خلاص عيطتى وهديتى .. لو عايزة تنسى اللى حصل وتفضلى فى الشغل أوكيه .. ولو شايفه إنك مش هتقدرى تكملى .. براحتك

قالها خالد منتظرا ردها ، إلا أنه وجدها تنهض وتمسك بالفوطة وتبدأ تنظيف الأرفف فى صمت .

مرت الأيام التالية وكل منهما لا يتحدث الى الآخر سوى فى أمور العمل .. ومع الوقت عادت سماح تفتح الحوارات عن الجنس ، إحتاج

خالد فترة ليعود إلى حيث إنتهيا من قبل .. إعتنت سماح بجسدها ووجهها كثيرا .. قامت بتزجيج حاجبيها وإستخدام مكياج أكثر إثارة وتصفيف شعرها بإنتظام .. وحلقت شعر عانتها وأصبحت تهتم بنظافة تلك المنطقة بين فخذيها .. كل ذلك من أجل خالد الذى إعتبرها وعاءا لإفراغ شهوته ، وتفننا سويا فى ممارسة الجنس مع الحفاظ على عذريتها .. لكن القدر بالطبع كما تتوقعون يأبى إلا أن يضع بصمته ، ففى أحد المرات داخل المحل لم يتمالك خالد نفسه من فرط الشبق وتملكت الغريزة منه بمساعدة سماح التى أمسكت بقضيبه ووجهت رأسه على فتحتها .. فإنزلق داخلا وتمزق غشاء بكارتها .

-٧-

بعد القضاء على جماعة التكفير والهجرة ، وجماعة الجهاد التى نشطت بعمليات القتل والعنف فى أوائل التسعينات تلك الجماعة التى تمتد جذورها الى مؤسسيها الأفغان .. وانتشرت مبادئها من أفغانستان الى باقى الدول الإسلامية

والعربية أولا ومن ثم باقى دول العالم .. وأسائت تلك الجماعة الى الدين الإسلامى بفهمها الخاطئ لمفهوم الجهاد فى الإسلام .. مما جعل العالم ينظر الى الإسلام على أنه دين الإرهاب وقتل الأبرياء .. وجائت الخاتمة بتفجير برجى التجارة العالميين فى أحداث ١١ سبتمبر ليأخذ العالم مسارا مختلفا .. ويعانى الإسلام والمسلمون أكثر مما كانوا يعانون .

الجماعات الإسلامية حاليا فى مصر ثلاثة جماعات وهى ، جماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة السلف ، وجماعة التبليغ والدعوة .. جميعهم جماعات سلمية لا تستخدم العنف على الإطلاق ، لكنك تجد تباينا كبيرا بينهم ليس فقط فى أمور الشريعة الإسلامية وإنما فيما يخص العقيدة .

فجماعة السلف ترى العلم هو الأساس .. ليس لهم أيه علاقة بالسياسة فقط حضور الدروس الدينية للمشايخ فى المساجد ، ولما دخلنا عصر الفضائيات إلتفوا حول القنوات الفضائية الدينية ، يسمعون نفس الكلام مكررا من أكثر من شيخ

بصيغة مختلفة .. العلم عندهم هو علم الدين من العقيدة والشريعة والتفسير والأحاديث .. على رأس الدعاة منهم الشيخ محمد حسين يعقوب والشيخ محمد حسان .. يلتفون فى المساجد فى حلقات العلم ، ومناظرة حامية الوطيس بين العقيدة الطحاوية وعقيدة أهل السنة .. هكذا تمضى حياتهم .. يمكنك تمييزهم بين الناس بسهولة ، حيث يرتدى الرجل جلبابا أبيض قصير لا يصل لعرقوب القدم لأن (ما تحت الكعبين فهو فى النار) .. وسواك طويل يبرز من جيب الجلباب على صدره ، وعلى رأسه طاقية بيضاء وبعضهم يمكن أن يستبدل اللون الأبيض بأى لون آخر لكن اللون الأبيض هو السنة عن النبى .. وطبعا اللحية الكثيفة المطلقة يمكن إزالة شعر اللحية من على الخدين وحف الشارب أما ماعدا ذلك فى شأن إعفاء اللحية فهو عند غالبيتهم مذنب وبعضهم قال (حالق اللحية كافر كفر غير مخرج من الملة) .. أما النساء فليس لهن سوى النقاب الأسود لا يمكنك أن ترى منها تنتوفة ولا حتى العينين .. فهى إما مختفية وراء قطعة قماش خفيفة ، وإما مختفية تماما

وراء النقاب ، وبالقطع لا يخرجن للعمل فالمرأة عندهم خلقت لبيتها.. يتشددون فى التمسك بنصوص الآيات والأحاديث دون فهم مغزاها .. فقط يمتثلون وينشغلون بتوافه الأمور والعالم من حولنا يسير .. إذا صادفك وأنت تصلى فى المسجد واحد منهم إلى جوارك تجده يلصق قدمه بقدمك الأصبع فى الأصبع والكعب فى الكعب وإذا ابتعدت أنت بقدمك جاهد هو لإلصاق قدمه مجددا بقدمك .. وطبعا فور انتهاء الصلاة سيقول لك

- يا أخى .. حثنا الرسول على ألا نترك فرجات للشيطان

كذلك يعطيك بعض النصائح إذا كان وضع يديك على صدرك فى الصلاة أو تحريك الأصبع فى التشهد لم يكن على السنة .

****

أما جماعة التبليغ والدعوة ، كان منشأها باكستانى الأصل على يد الشيخ يوسف الكاندهيلوى .. قامت تلك الجماعة بإختزال الدين

فى الدعوة .. الدعوة الى الله .. كل ما يتعلق بالدين يدور فى فلك الدعوة .. هل صادفت يوما فى مترو الأنفاق أو أى مكان عام رجلا ملتحيا يرتدى جلباب أبيض قصير وعلى رأسه طاقية حولها عمامة يتدلى طرفاها من خلف رأسه ويقف يدعو الى الهداية دون أن يعبأ بإن كان أحد يصغى اليه أم لا ؟ .. هل وجدت ذات يوم وأنت تفتح باب بيتك لترى من الطارق ؟ بعد المغرب .. لتجد مجموعة من خمسة أو سبعة أفراد بجلابيب قصيرة وعمامات ملفوفة وأطرافها متدلية خلف الرؤوس ، يتقدمهم واحد وإلى جواره آخر ومن خلفهم الباقين منهمكين فى التسبيح والإستغفار بالمسابح بين أصابعهم .. واللحى الطويلة الكثيفة تغطى الوجوه ، يبتسم فى وجهك من يتصدر طليعتهم ويقول

- إحنا إخوانك وجايين فى زيارة فى المسجد اللى جنبك هنا .. لأن الله عز وجل قال (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)

تلك هى الجملة الإستهلالية التى حتما ستسمعها فى البداية ثم يشرع بعدها فى فى استخدام الآيات

والأحاديث بشكل عبثى وعشوائى فى أغلب الأحيان ليختتم كلامه لك بدعوتك

- احنا بندعوك الى المسجد .. لتستمع الى كلام الله وزى النبى ما قال (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)

إذا أبديت عذرا ، فلن يلح عليك وسيتركك فى هدوء ، أما إذا أبديت استعدادا فسيصطحبك أحدهم الى المسجد .. لتجد هناك واحد منهم يجلس وحوله عدد من الناس يتحدث فى الدين .. دون أن يكون هناك موضوع محدد ، يستخدم الأحاديث القدسية فى معظم كلامه ويستدل بأمثال وتشبيهات بسيطة وسطحية ليعرفك على قدرة الله .. مثل الدجاجة التى تبيض والكتكوت الذى يخرج من البيضة .

انتهجت جماعة التبليغ والدعوة مبدأ الخروج فى سبيل الله وهو أن تخصص ثلاثة أيام كل شهر لتترك الدنيا وتخرج مع جماعة من منطقتك قوامها فى حدود خمسة عشر فردا .. يعتكفون

فى أحد المساجد الذى يعتنق أهلها هذا الفكر الدعوى من المناطق المجاورة .. وكل ستة أشهر تخرج فى سبيل الله أربعون يوما ، ولكن هذه المرة الى محافظات مصر المختلفة .. وغاية المنى هو الخروج ثلاثة أشهر وتكون خارج مصر معظمها الى باكستان وبعضهم يخرج الى السودان .. ليست لهذه الجماعة أية علاقات بمنظمات خارجية ولا يتلقون أية مساعدات وتمويل مادى .. كافة النفقات من أموالهم .. غالبيتهم من البسطاء لكن منهم أصحاب وظائف ومكانة إجتماعية مرموقة .. يقسمون مصر جغرافيا الى ما يسمونه حلقات .. والحلقات الى مناطق وكل منطقة ولها أمير أهم شروطه الأقدمية وكثرة الخروج فى سبيل الله .. وفوق أمراء المناطق أمير الحلقة ثم أمراء مصر الذى بلغ عددهم ستة أمراء .. لهم مركز تنطلق منه الجماعات للخروج فى سبيل الله .. هو مسجد كبير فى قرية (طموه) إحدى القرى التابعة للجيزة يمكنك الوصل اليه بسهوله ودخوله بيسر .. ويعلم عنهم جهاز أمن الدولة كل شئ .. لكن الجماعة ليست محظورة فهى لا تتطرق الى

السياسة وشئون الحكم وأحوال الناس فى مصر البتة .. حتى إذا حاولت فتح موضوع سياسى أو تحدثت فى شئ يخص أحوال البلد مع أحدهم سيتهرب ويغير مجال الحديث على الفور .. لذا فهم فى أمان بعيدا عن جهاز أمن الدولة الذى يراهم (ناس طيبين بتوع قال الله وقال الرسول) .. وإذا تعرضوا للإنتقاد من الإخوان المسلمين لإبتعادهم التام عن السياسة شب الجدال العقيم ليقول من ينتمى لجماعة التبليغ والدعوة

- احنا مالناش علاقة بالسياسة .. ودا مش عيب لان السفينة اللى سيدنا الخضر خرقها مع موسى ما كانتش معيوبة .. العيب كان مصطنع لتنجو السفينة من القوم الظالمين

ويرد من ينتمى للإخوان المسلمين محتدا

- الدين جاء من أجل الدنيا .. فلولا الدنيا ما جاء الدين ، فلا يجوز الفصل بين الدين وأحوالنا فى الدنيا

لم يقتصر الأمر على ذلك الخلاف بين جماعتى الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ والدعوة .. وإنما امتد الى خلاف عقائدى بين جماعة السلف وجماعة التبليغ ، فالسلف يرى أن منهج التبليغ

والدعوة بدعة حيث لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخرج هو والصحابة ويعتكفون فى المساجد ثلاثة أيام كل شهر ، وأربعون يوم كل ستة اشهر وكذلك قصر فهمهم لآيات الجهاد على الدعوة الكلامية ، وأفتى بعض من ينتمى للسلف بتكفير جماعة التبليغ والدعوة وأنهم أصحاب بدعة وضلالة .. بينما غالبية السلف يرون أن جماعة التبليغ والدعوة (ناس طيبين بس ما عندهمش علم) .

أما ماهية الخروج فى سبيل الله فهى حقا أمر غريب .. يشبه مبدأ التصوف ولكن بشكل جماعى .. حيث تعتكف الجماعة فى المسجد ، ويبدأ يومهم بالإستيقاظ قبيل الفجر لقيام الليل والدعاء وبعدها صلاة الفجر ويقوم أحدهم ويتحدث فى الدين أمام المصلين حتى ولو لم يكن له علم فى الدين .. ثم يتناولون الإفطار (فول وطعمية) .. ويجلسون فى حلقة العلم يقرأون من كتاب حياة الصحابة وكتاب رياض الصالحين فقط لاغير وتختتم الحلقة بتجويد ومراجعة حفظ العشر سور الأخيرة من القرآن .. وإذا سألت لماذا تلك السور تحديدا ، ستأتيك الإجابة : لأنها

الحد الأدنى الذى يجب أن يحفظه كل مسلم .. بعد الحلقة يتم جمع النفقات اليومية حيث يدفع كل واحد من الجماعة قدرا زهيدا من المال يتسلمه اثنين يتم اختيارهم تبادليا كل يوم من أجل الخدمة وتعنى قيام الإثنين بشراء الخضار وإعداد وجبات الجماعة (وخادم القوم هو سيدهم) .. ثم بعدها يتم اختيار من يتحدث الى الناس بعد كل صلاة من الصلوات الخمس .. فبعد الظهر قراءة فى كتاب رياض الصالحين وبعد العصر الصفات الستة التى اختذلوا فيها علوم الدين وبعد المغرب الحديث عن قصص الأنبياء وكيف عانوا لنشر الدين ثم يأتى الأهم وهو حديث ما بعد العشاء لكثرة عدد المصلين وفيه يتم التشكيل ويعنى ذلك حث الناس على الخروج فى سبيل الله ومن يوافق يلحق بالجماعة .. يتناولون الغداء من أرز وخضار بعد الظهر وينامون القيلولة حتى العصر .. وبعد صلاة العصر وحديث أحدهم للمصلين بعدها يخرجون من أجل الزيارات بمساعدة من ينتمى لتلك الجماعة من أهالى المنطقة التى خرجوا اليها حيث يتجهون الى منازل الناس ويجلسون اليهم

وفق آداب متفق عليها لعدم خدش حياء أهل المنزل .. يدعون الناس الى الهداية والخروج فى سبيل الله .. ويعودون على صلاة المغرب وبعد الحديث عن كفاح الأنبياء لنشر الدعوة الى الله ، يخرجون فى الجولة متشبهون بالأنبياء يدورون على المنازل والبيوت ومن يصادفهم فى الطرقات لدعوته الى المسجد وبعد العشاء يتم دعوة من حضر للخروج فى سبيل الله ثم يتناولون العشاء وينامون ليستيقظوا على صلاة الفجر وهكذا دواليك .

****

هكذا إعتنق الشيخ اسماعيل حسين مبدأ جماعة التبليغ والدعوة منذ صغره حتى صار أميرا لجماعة التبليغ والدعوة فى منطقة دار السلام ومركز الجماعة بالمنطقة هو مسجد النصر .. وحين يختفى الشيخ اسماعيل يدرك جميع المعارف والجيران أنه خارج فى سبيل الله ، وقد يمتد خروجه لما يتجاوز الثلاثة أشهر .. يدخر من مرتبه كموظف فى شركة سيارات النصر بحدائق حلوان ثم ينوى الخروج .. يترك ما يكفى

لأسرته المكونة من ابنائه فاطمة وعلى وحسن إلى جانب زوجته ويخرج هو فى سبيل الله لا يعلم عنهم شيئا ولا يعلمون عنه شيئا حتى يعود .. هكذا تعودت الأسرة وحتى المعارف والجيران يزورونهم ويطمأنون عليهم فى غياب رب الأسرة المجاهد لنشر الدعوة .

بعدما تزوج الشيخ الشاب اسماعيل حسين من عائشة الملتزمة دينيا المنقبة التى تحفظ القرآن وابنة الشيخ رضوان أمير جماعة التبليغ والدعوة فى دار السلام فى ذلك الوقت .. وقدم اسماعيل مهرا كبيرا للعروس حيث خرج فى سبيل الله ثلاثة أشهر الى باكستان ولم يكن يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر .. عاد بعدها ليتزوج من عائشة فى شقة أجيرة من غرفتين وصالة وتم تأثيثها بأرخص الأشياء ، فلم يكن الشيخ رضوان والد عائشة يشترط شيئا سوى أن يكون زوج ابنته رجل صاحب دين .. بدأت الحياة الزوجية السعيدة بين اسماعيل وعائشة التى ولدت فاطمة أثناء غياب اسماعيل الخارج فى سبيل الله مع والدها أربعون يوما فى

المنوفية والمنصورة .. ولما رجع اسماعيل فرح كثيرا بابنته فاطمة التى كانت وش السعد عليه حيث تم تثبيته فى وظيفته بشركة النصر بعدما كان يعمل بعقد عمل مؤقت .. مما سيسنح له ذلك فى الحصول على أجازات للخروج فى سبيل الله .. وتوفى الشيخ رضوان ليصبح اسماعيل هو أمير منطقة دار السلام رغم أنه شابا صغيرا لكن اختياره جاء على أساس كونه الأكثر نشاطا وخروجا فى سبيل الله .. ومرت الأيام ويُرزق اسماعيل بولدين توأم على وحسن وأصبح الشيخ اسماعيل الذى غطى الشيب لحيته الكثيفة الطويلة يحظى بشهرة واسعة فى دار السلام كلها .. يكن له الكبير والصغير كل الإحترام والتقدير

- دا راجل بركة
- مع إنى ما باحبش العالم أمات دقون دول بتوع قال الله وقال الرسول .. بس الراجل دا انا باحترمه

لم يكن ما جعل الشيخ اسماعيل يحظى بكل هذا الإحترام والتقدير فى المنطقة هو كونه رجلا تقيا فحسب .. ولكن لأنه يملك شخصية مرحة تجذبك الى الحديث معها .. دائما ما يطلبونه للتوسط

لإنهاء مشكلة بين زوجين على وشك الطلاق ويفعل .. يتوسط دائما للكثيرين من الشباب للعمل عند أصحاب الأعمال فى المنطقة .. حتى مع فاطمة ابنته لم يكن متزمتا حين حصلت على شهادة الثانوية العامة ، وأبدت رغبتها فى استكمال دراستها بالإلتحاق بالجامعة .
نشأت فاطمة على عالم لا يوجد فيه سوى القرآن والسنة وارتدت الخمار وهى بنت السادسة من العمر تذهب مع والديها لحضور الدروس الدينية فى مسجد الفتح بالمعادى .. وبالطبع ما أن وصلت للصف الأول الإعدادى حتى ارتدت النقاب .. وشهدت السنة الأخيرة فى الدراسة الثانوية تغيرا جذريا فى حياتها .. بعدما اقتنع والدها ودخل الدِش منزلهم لمواكبة تطور العصر ، حيث لم يعد الشيخ محمد حسان يأتى لمسجد النور فى العباسية ، وكذلك الشيخ محمد حسين يعقوب لم يعد يأتى لمسجد الفتح فى المعادى .. صاروا يظهرون فى التليفزيون فى القنوات الفضائية الدينية ، ولما رأى الشيخ اسماعيل أن الكثير من الأخوة استبدلوا حضور الدروس بمتابعة الشيوخ فى الفضائيات ، اقتنع

هو الآخر .. لم تكن تشاهد فاطمة خلال دراستها الجامعية فى كلية الحاسب الآلى فى التليفزيون سوى القنوات الدينية من قناة الناس وقناة الرحمة وقناة إقرأ وقنوات المجد وأمثالها .. وكان لذلك أكبر الأثر على فاطمة وجدت نفسها تشعر بشئ غريب تجاه ما تشاهده .. وتتسائل هل الدين هو ذلك فعلا كما يقولون ؟ .. دارت فى عقلها تساؤلات عديدة .. أى فكر هو الصواب ، هل الخروج فى سبيل الله أم العلم كما يفعل السلف أم فكر الإخوان المسلمين .. وهل حقا النقاب الذى ترتديه فريضة أم يكفى الحجاب ؟ .. ولأن فاطمة تحظى بذكاء فطرى وشخصية متزنة للغاية بدت لأبيها مختلفة ، فكان ينصت الى مناقشاتها له ويجيب على تساؤلاتها حسبما يعتقد هو .. نمت شخصية فاطمة بشكل متسارع خلال المرحلة الجامعية والسبب الرئيسى هو مجال دراستها ، فعالم الكمبيوتر والإنترنت كان بمثابة نافذة لها لترى الدنيا بعيدا عن حياتها التى عاشتها من قبل .. مرت بمرحلة إضطراب لا تعرف أين الحقيقة ؟ .. فيما يتعلق بالدين .. لكنها اهتدت أخيرا الى ما أراح بالها حيث تمرر ما تستقبله من أمور

الدين والحياة على عقلها وفطرتها ، ما تجد عقلها يستسيغه وفطرتها تقبله تسير ورائه ، وما تجده غير مقبولا لها تأباه .. خاضت فاطمة جدالا محموما استمر لأيام مع والدها الشيخ اسماعيل أمير جماعة التبليغ والدعوة بمنطقة دار السلام لإقناعه بدخول الكمبيوتر والإنترنت الى منزلهم .. فكيف تكون هى طالبة فى كلية الحاسب الآلى ولا تملك كمبيوتر ، ويرفض أبوها ذهابها عند زميلة لإستذكار دروسها على الكمبيوتر .. قالت له

- يا بابا المشكلة مش فى الكمبيوتر والانترنت .. العبرة بالمستخدم .. بالظبط زى الدش اللى انت جبته فى البيت احنا بنشوف عليه القنوات الدينية وغيرنا بيشوف حاجات تانية غيرها .. برضه الكمبيوتر طالما بتثق فيا وفى تربيتى .. خايف ليه ؟

كان الشيخ اسماعيل يشعر أن فاطمة مختلفة بعقليتها وشخصيتها ، واقتنع أخيرا ووافق واشترت فاطمة جهاز كمبيوتر من خلال مشروع كمبيوتر لكل بيت من الجامعة ويتم تقسيط ثمنه على أقساط صغيرة .. ودخل عالم

الإنترنت منزل الشيخ اسماعيل حسين أمير المنطقة ، وحرصت فاطمة على تحميل القرآن الكريم لجميع المرتلين ، وكذلك تحميل الحلقات الخاصة بالمشايخ الكبار التى فاتت والدها على المحطات الفضائية ، ليدرك أبوها أن الإنترنت مثل الدش يمكنك أن تجعله عالم دينى ولا شئ آخر .. نضجت فاطمة ووصلت للسنة الأخيرة فى كليتها ، ولاحظ والدها تغير سلوكياتها ، فذات مرة وجدها عائدة من الكلية وبمجرد دخولها صاح فيها كالرعد

- انتى سايبه عينك باينة من ورا النقاب ليه ؟ .. وفين الجوانتى سايبه ايدك عريانة ؟

ردت فاطمة بمنتهى الهدوء وهى تخلع النقاب عن وجهها الأبيض الجميل

- النقاب ما وردتش نص قرآنى بفرضيته .. بس أنا منقبة عشان ما أكونش مصدر فتنة للذى فى قلبه مرض .. مال عينيا اللى يدوبك ظاهرين عشان ما باشوفش كويس من ورا النقاب .. وكمان أنا مع الأراء الفقهية اللى بتقول ان كف المرأة وصوتها مش عورة

ابتسم الأب ثم ما لبث وضحك مداعبا لحيته وقام بهدوء متجها اليها ، وفجأة هوى على وجهها بصفعة قوية وجذبها من شعرها يصيح

- أنا من الأول قلت إن الشيطان الكمبيوتر ده هيزعزع إيمانك .. ولما وافقت على انك تكملى تعليمك كان ثقة منى فى التزامك وتدينك .. وكف المرأة اللى انتى مش شايفاه عورة قال عنه الرسول (ص) (لأن يُضرب أحدكم بمخيط من حديد فى رأسه خير له من أن تمس يده يد إمرأة لا يملكها)

قالها وهو يجذب فاطمة من شعرها الى غرفتها وهى تبكى وتقول

- دا فى مصافحة الرجل للمرأة .. أنا كف ايديا ظاهر بس ما باصافحش رجالة

مد الشيخ إسماعيل أصابعه يداعب لحيته البيضاء الكثيفة واضاق عينيه محدقا فى الفراغ وقال

- آه .. دا الموضوع خطير .. انتى بتجادلى كمان .. (ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا).. هه ؟ (إلا أن قالوا سمعنا وأطعنا)

وجه الأب نظراته الى ابنته وتابع
- مافيش تعليم .. مافيش خروج من البيت .. مافيش كمبيوتر الشيطان دا
قالها وهو يهوى بصفعة ثانية على وجه فاطمة التى سقطت أرضا من شدة الصفعة ، وجعل ذلك أمها تصرخ وتجرى لتمنع زوجها من أن يركل فاطمة بقدمه .

مر أسبوع لم تذهب فيه فاطمة الى الجامعة ولم تخرج حتى من المنزل .. وفشلت كل محاولاتها بمساعدة أمها فى إستجداء والدها للعفو عنها والسماح لها بالعودة للدراسة حتى لا يضيع تعب السنوات السابقة فى السنة الأخيرة .. وذات ليلة إستيقظت فاطمة كما المعتاد قبيل الفجر لتصلى قيام الليل .. صلت قيام الليل فى هذه الليلة ببكاء وخشوع ودعت الله كثيرا أن يجعل والدها يلين .. وسمعته يغادر لصلاة الفجر فى المسجد .. صلت هى الفجر وجلست تتمتم بأذكار الصباح حتى أشرقت الشمس وصلت ركعتى الضحى .. ولما سمعت صوت الباب يُفتح أسرعت تستقبل والدها وقالت

- عايزة أتكلم معاك يا بابا
على عكس ما توقعت قال الأب
- حاضر
قالها وهو يتجه الى غرفتها ويجلس على طرف السرير ، وتبادر فاطمة قائلة
- أنا زعلانة على مجهود سنين دراستى يضيع وأنا فى السنة الأخيرة .. وعيطت النهاردة كتير وأنا بأصلى ودعيت ربنا إن لو نزولى الجامعة فيه خير ليا يخلى قلبك يلين وتوافق .. ولو ما فيهوش خير ليا هتصر على رفضك .. عشان كده بأسألك وأقسم بالله ما هافتح الموضوع دا تانى .. أنا عايزه أشوف ربنا إختار لى إيه ؟
ضحك الشيخ اسماعيل وقال
- إنتى بتسألينى رأيى إيه ؟ .. ولا عايزة تعرفى نتيخة استخارتك لربنا
- ما هى نتيجة استخارتى لربنا هى قرارك انت
تنهد الأب وقال
- عارفه يا فاطمة .. طول عمرى حاسس انك بنت ذكية وعندك شخصية بس المشكلة انك بنت .. ربنا استجاب لدعاء استخارتك ،

ولقيت نفسى وأنا فى الأذكار بعد الفجر
عينى بتغفل وباسمع صوتك وإنت بتصلى
وبتعيطى .. تعالى يافاطمة
جلست فاطمة الى جوار أبيها على طرف السرير وأحتضنها بزراعه اليمنى ، فشعرت بشعر لحيته البيضاء يداعب خدها الأيسر وسمعته
- إرجعى لكليتك وكملى تعليمك ، وربنا يثبتك على الحق يا بنتى
قالها وهو يقبل جبين فاطمة ويربت على كتفها ثم يخرج من الغرفة ويتركها تبكى من فرحتها .. إتجهت فاطمة الى الحمام لتتوضأ من أجل صلاة ركعتى شكر لله قبل الذهاب الى الكلية ، وأرادت أن تنعم بحماما دافئا وكان إحساس السعادة بالعودة الى الدراسة يغمر قلبها ويدها تجرى بالليفة تدلك جسدها تحت الماء ، إرتعش جسدها فجأة .. إنتبهت لتدرك سبب الرعشة هو مداعبة الليفة لما بين فخذيها .. باعدت يدها بسرعة وخفق قلبها .. فعلت ذلك من قبل مرة واحدة وتابت وندمت .. لكن لماذا انتفض الآن هل لأنها تشعر بالسعادة فأدى ذلك إلى تحرك مكبوتها مع

حركة الليفة .. وسوس لها الشيطان (طب شوية بس كده خفيف) .. عادت يدها بالليفة تدلك خفيفا ما بين فخذيها وبدأت اللذة المختلسة تتملكها .. أوهمت نفسها أنها تنظف تلك المنطقة جيدا فالنظافة من الإيمان .. لكنها تدرك أنها تستحث اللذة المحرمة .. شعرت بشئ يتدفق من مهبلها وباطن فخذيها يرتعش .. فجأة توقفت ودمعت عيناها وسألت نفسها (أيكون ذلك هو جزاء الله ؟ بعدما جعل أبى يلين ويوافق على رجوعى للتعليم .. بدلا من ركعتى شكر ، أعصى الله وأفعل الحرام وأقترف الذنب) .. وسوس لها الشيطان (ليس حرام بل مكروه) .. ترددت وتوترت ورددت فى سرها (واللذين هم لفروجهم حافظون) .. أنهت حمامها بتوتر وعصبية ، وأول ما فعلت بعدما خرجت هو صلاة ركعتى توبة الى الله على ما اقترفته من إثم ، ثم صلت ركعتى شكر ، وارتدت العبائة السوداء والنقاب وإتجهت للكلية .

****

نجحت فاطمة وأصبح نجاحها مشكلة .. لأنها لم تنجح فقط بل نجحت بتقدير ومجموع يؤهلها لتصبح معيدة بالكلية .. كل ما فعلته بعدما وصلها خطاب الكلية بالتعيين معيدة ، هو أنها اتجهت بالخطاب لوالدها الجالس يستمع الى احد المشايخ فى قناة الناس ، ومدت يدها بالخطاب وقالت

- دا جواب الكلية بعتته عشان أشتغل معيدة فى الكلية .. وأنا عارفة رأيك فى عمل المرأة .. بس ليا عندك طلب

قالتها وإنتظرت صياح والدها لكنها فوجئت به يرنوا إليها مبتسما دون أن ينطق بشئ ، فتابعت هى

- عايزاك يا بابا تصلى استخارة واللى هيلهمك به ربنا أنا راضية به

إتسعت إبتسامة الأمير إسماعيل وقال بهدوء

- أنا موافق

لم تصدق فاطمة وهوت على وجه أبيها تقبله بإمتنان لكنها سمعته يقول

- بس بشرط

إنتظرت فاطمة ذلك الشرط وهى تتوجس خيفة ، وتابع هو
- أول ما يجى يطلبك رجل ملتزم صاحب دين .. مافيش شغل وتقعدى فى البيت

هكذا أصبحت فاطمة معيدة فى الجامعة ، بل أصبحت حديث الكلية بأسرها فهى المعيدة المنقبة الوحيدة فى الجامعة .. تشرح للطلبة فى فصول العملى على الأجهزة بصوتها المكتوم خلف النقاب ، وتسمع همساتهم وأحيانا ضحكاتهم الخافتة عليها .. وذات مرة إلتقطت أذنها حين دخلت الفصل جملة أحد الطلبة (الخيمة السودا جت أهى) .. لم تعبأ فاطمة بذلك .. وبدأت تشعر بالقلق ، ليس مما يعترض طريقها من مضايقات بسبب النقاب ولكن لشعورها بأنها يمكن أن تترك العمل الذى أحبته وشعرت فيه بذاتها فى حال تقدم لها أحد للزواج والذى حتما لن يكون سوى شيخ من معارف وأتباع أبيها من جماعة التبليغ والدعوة .. وخصوصا بعدما بدأت تحضير رسالة الماجيستير ، كونت فاطمة بعض الصداقات مع

طالبات محجبات ومنقبات يصغرونها بعامين وثلاثة .. وبدأت تسعد بحياتها وعملها غير عابئة بكونها معيدة جامعية منقبة ملفتة للنظر داخل الحرم الجامعى ، حتى جاء اليوم الذى كانت تخشاه .. وقال لها أبوها

- فى شاب ملتزم من الشباب ذات الدين كلمنى وعايز يتجوزك

بهتت فاطمة ولم تجد ما تقوله سوى

- اللى تشوفه يا بابا

- مش عايزه تعرفى أى حاجة عنه ؟

- اللى إنت شايفه فى مصلحتى إعمله

قالتها وهى تتجه الى غرفتها فى الوقت الذى شرد أبوها الشيخ إسماعيل ، فهو لا يدرى ماذا حدث له فى الآونة الأخيرة تجاه ابنته فاطمة .. لماذا وافق على عملها وهو يعلم أن ذلك صار حديث أتباعه من الجماعة ، يرددون كيف للأمير القدوة أن يترك ابنته تخرج للعمل، صحيح أنها منقبة لا يظهر منها شئ لكنها حتما تتحدث مع رجال وصوت المرأة عورة ، ورغم ذلك لم يبالى .. رآها ذات مرة عائدة من عملها وعينيها ظاهرة من النقاب وأسرعت هى تخفيها

فلم يصيح فى وجهها ويفعل ما فعله من قبل .. هل السبب هو تلك الأحلام وربما رؤى تلك التى يراها كثيرا وآخرها حين كان فى صحراء جرداء يلهث من الحر هائما على وجهه ، ثم رأى ابنته فاطمة كاشفة عن وجهها وتجرى نحوه تناوله الماء ليروى عطشه ، ثم تأخذ بيده الى شجرة ظليلة تحميه من الحر .. الشيخ اسماعيل نفسه غير مقتنع بالشاب الذى يريد أن يتزوج ابنته ، فهو حاصل على مؤهل متوسط ويعمل بائعا فى محل أقمشة صباحا ، ويبيع المصاحف والشرائط الدينية والسواك وخلافه على فرشة أمام المساجد مساءا .. يراه ليس كفؤا لابنته مهندسة الكمبيوتر ، لكنه يحفظ كتاب الله كاملا ، ملتزم فى الخروج فى سبيل الله .. وهذا هو شرط الزواج .. يتردد الشيخ اسماعيل ولم يتخذ قرارا ومع ذلك حدد موعدا للقاء .

****

جلست فاطمة بنقابها لا يظهر منه شئ تتحدث مع الشاب الملتحى بجلبابه البالى وعمامته ، فى حين جلس الأب على مقربة منهم حتى لا تكون هناك بينهما خلوة ، وابتعد قليلا عنهما تجاه أحد

الأركان ليتيح لهما المجال للحديث الذى لم يكن سوى إمتحان دينى من الشاب يصلح لطفل صغير

- إنتى حافظة أد إيه من القرآن ؟
- وحافظة الأربعين النووية ؟
- أنا عارف إنك معيدة فى الجامعة .. ودا غلط لإن المرأة خلقت لبيتها ورعاية زوجها وابنائها .. ودا مفتاح دخولها الجنة
- عايز أشوف وشك

توجهت فاطمة بنظرها لابيها الذى أومأ لها موافقا .. فرفعت الغطاء عن وجهها لثوانى معدودة ونظرت لوجه الشاب بنظرات زائغة ثم أسدلت الغطاء على وجهها والشاب محدقا من بعد ما رأى ذلك الوجه الملائكى الجميل الذى فتنه لأنه فى قلبه مرض .

وبمجرد إنصراف الشاب سأل الشيخ إسماعيل ابنته سؤالا واحدا

- لاقيتى القبول ناحيته ؟
- إنت شايف إيه يا بابا

قالتها فاطمة بنبرة مستسلمة مذعنة وسمعت أبيها يقول وقد علا صوته

- أنا بأسألك انتى حاسة بالقبول ناحيته
أجابت فاطمة بما تشعر به فعلا
- لأ
- خلاص يبقى لم يأذن الله بعد
قالها وهو ينصرف الى المسجد لصلاة العشاء .. بينما غمرت السعادة قلب فاطمة ، لكنها كانت سعادة منقوصة لأنه إن كان ذهب واحد فحتما سيأتى آخر .

أما الشاب فقد عاد الى بيته لا تفارق ناظريه صورة وجه فاطمة ، ولما تمدد لينام بعدما صلى الشفع والوتر وتلا أذكار النوم .. وجد وجهها يثير غريزته .. احتقن وجهه وانتصب قضيبه و ظل يتقلب على الفراش وكأنه على جمر من النار يهرش فى لحيته بتوتر شديد .. ونهض يسرع الى الحمام ودلك قضيبه متخيلا وجه فاطمة وسرعان ما قام خياله بتركيب جسد عارى على الوجه الجميل ، ولم يحتمل طويلا وأفرغ نطفة الكبت وإغتسل من الجنابة وعاد الى النوم .. هذا هو الذى فى قلبه مرض .. ولما سمع الشاب فى اليوم التالى من الأمير إسماعيل

- هى قالت إنها مش حاسة بالقبول .. ربنا ما جعلش بينكم نصيب .. أخلف الله عليك بزوجة صالحة يا ابنى

إغتاظ الشاب بشدة وصار بعدها هو أكثر من يتكلم عن ابنة الأمير القدوة التى فلت زمامها من يد أبيها وتخرج للعمل وسط الرجال ، فالشاب الذى اختار معتقداته على هذا النحو فى الحياة ويتولد لديه مجموعة من مشاعرالكبت على رأسها الكبت الجنسى ثم يشتهى فتاة لم يرى منها سوى وجهها ، ويطلق غريزته فى خياله عليها ثم يجدها ترفضه وتأباه .. قطعا سيصيبه ذلك بإضطراب .. لذا لم يتوقف الشاب عن ذكر بنت الشيخ الأمير إسماعيل حسين التى تفرض كلمتها على أبيها وأدى ذلك الى إهتزاز صورة الأمير بين أتباعه من الجماعة .

****

أنهت فاطمة الماجيستير وترقت فى عملها الجامعى .. وبدأ الجميع من حولها يعتادون عليها بنقابها الأسود .. فلم تعد فاطمة تشعر بالمضايقات بسبب نقابها إلا نادرا وسعدت بذلك .. وتبنت مع بعض زميلات وطالبات منقبات

تأسيس جروب على الفيس بوك بعنوان (أنا منقبة ولست إرهابية) وبدأت تدافع عن النقاب فى محاولة لتغيير فهم المجتمع للمنقبة ، ومن هنا تعرفت بخالد الذى كذب عليها بأنه منقبة من المعادى وخلعت النقاب وشاركته الجدال حول فرضية النقاب برسائل الايميل ثم الشات وتحدث اليها بصوت امرأة وعرفت أن اسمها ياسمين .. لم يكن ما جذب فاطمة الى الجدال مع منقبة المعادى سوى أنها هى نفسها رغم دفاعها عن النقاب إلا أنه بالنسبة لها موروثا ورثته عن عائلتها المنتمية لجماعة التبليغ والدعوة ، أكثر منه إقتناعا بفرضيته فى الإسلام بل كثيرا ما تجلس تفكر فى هذا الأمر وتمرره على عقلها وفطرتها فتجد نفسها ترفضه ، ورغم ذلك لا تستطيع خلع النقاب واستبداله بالحجاب ، فهو بالنسبة لها قدرا لا فكاك منه بحكم نشأتها وتربيتها وظروفها العائلية .. من أجل ذلك اندمجت فى الجدال مع منقبة المعادى حول فرضية النقاب فى الإسلام لأنها ترى فيما تقوله منقبة المعادى ياسمين ما يعتمل بسريرتها .. فى هذا اليوم خرجت فاطمة إلى مسجد الفتح

لحضور درس الشيخ أسامة العوضى بعد صلاة المغرب وكذلك مقابلة ياسمين التى أخبرتها أنها سترتدى حجاب أزرق لتتعرف عليها .. ولكن ياسمين لم تكن سوى خالد .

****

لا أدرى لماذا كلما تطرقت الى سماح ، أتذكر مقولة (سفوكليس) الشهيرة : الشخصية قدر .. حقا شخصية سماح هى قدرها فى الدنيا .. ماذا يكون رد فعل فتاة فقدت عذريتها قبل الزواج فى مجتمع شرقى إختزل شرف البنت وعفتها فى غشاء بكارتها .. ليس ذلك فحسب بل من منطقة شعبية كدار السلام قد يتسبب ذلك فيها الى سفك الدماء .. كل ما فعلته بعدما قام خالد من بين فخذيها ، أنها قامت وفتحت بكرة مناديل ورقية ومسحت الدم المنسال بين فخذيها ثم حشرت قطعة كبيرة ملفوفة من المناديل بين فخذيها وإرتدت ملابسها .. ثم نظفت البلاط من قطرات بسيطة من دم عذريتها ، وجلست على كرسيها فى الركن البعيد الهادئ .

فى الوقت الذى كان خالد جالسا على المكتب يدخن السيجارة وراء الأخرى ويده ترتعش بعصبيه ، وشرد ذهنه فى تبعات ما حدث .. مشكلة كبيرة فها هو الآن مسئول عن عذرية سماح التى ضاعت .. ماذا يفعل ؟ .. بل ماذا هى تنوى فعله ، هل تطلب الزواج ؟ ، أمعقول أن يكون هو الشاب الوسيم الثرى سليل الأسرة الأرستقراطية يتزوج من البنت اللاسعة سماح سليلة البيئة القذرة .. وإذا رفض هل تخبر أهلها ويقاضوه لإجباره على الزواج منها .. أفاق من شروده على صوت ضحكة عالية من سماح التى قالت بنبرة من يخفى بكائه وراء ضحكاته

- أنا عارفة إنت سرحان فى إيه ؟ .. ما تخافش أنا السبب .. أنا اللى مسكته بإيدى ودخلته فيا

صمتت برهة تنظر الى الفراغ وتابعت تهز كتفيها فى لامبالاة

- عادى

قالتها وهى تنهض لترتدى الحجاب وتحمل حقيبة يدها وتنصرف قائلة

- أنا هامشى النهاردة بدرى .. حاسة بحرقان وعايزة أتشطف

قالتها وإنصرفت دون أن تتلقى ردا من خالد الذى يحاول فهم رد فعلها ذلك تجاه ما حدث .

ولكى تفهم سبب رد فعل سماح اللامبالى بفقد عذريتها فى ذلك اليوم .. يجب أن تراجع تطور علاقتها بخالد وفقا لظروفها وطبيعة شخصيتها .. فهى فى البداية اتخذت الجنس وسيلة للتقرب لخالد ، بعدما وجدت الحديث عن الجنس هو ما يجذب خالد لكى يصغى اليها ويشاركها الحوار .. ثم ما لبثت أن تحولت الوسيلة الى غاية حين وجدت غريزتها وشهوتها تنطلق من عقالها بعد تطور الى الأمر الى مشاهدة الأفلام الإباحية مع خالد .. فلم تعد تنظر للأمر على أنه شيئا يصنع حوارا وتجاوبا بينها وبين الشخص الوحيد الموجود فى حياتها ، بل وجدت فيه شيئا لذيذا ممتعا جعلها تستسلم له ، وأستمتعت بعلاقاتها الجنسية الغير مكتملة مع خالد بعد ما سمعت منه ما أغلق كل السبل فى وجهها بعد المرة الأولى التى ظنت فيها أنها يمكن أن تصل بعلاقتها مع

خالد الى منحنى آخر .. وأصبحت أمام أحد أمرين ، إما أن تصبح مجرد بائعة فى محل خالد وإما تستمر على ما وجدته يصنع تقاربا بينها وبينه ، فأختارت أن تصبح وعاءا لخالد يفرغ فيه شهوته ، ووجدت نفسها هى الأخرى تستمتع وتنسى بالجنس مع خالد ظروفها وأحوالها وتركت المركب يسير تتقاذفه الأمواج .. لذا تعاملت مع فقدان عذريتها كأنه شيئا غير ذا بال .. صحيح أنها شعرت بما تشعر به أيه أنثى شرقية تفقد عذريتها قبل الزواج وظلت تبكى على سريرها فى هذه الليلة حتى غالبها النوم ، لكنها استيقظت فى الصباح وكأن شيئا لم يحدث .. لقد توارى كل شئ لديها خلف احساس الراحة الذى تشعر به حين تترك نفسها ريشة فى هواء الدنيا يطير بها حيث يشاء .. ولما لا ؟ .. فلم يضمن التعليم والشهادة لها حياة أفضل .. على الأقل عملها ووجودها الى جوار خالد حتى وإن كان بهذا الشكل فهو أفضل .

فى اليوم التالى كان خالد شاردا قليلا وأرادت سماح أن تثبت له أن شيئا لم يتغير .. فتعمدت

الإحتكاك به وإثارته ، ورغم حالة خالد بعد فضه لبكارة سماح بالأمس المتوترة إلا أن تفكيره فى أنه الآن يمكنه أن يحظى بممارسة جنسية كاملة معها أثاره وجعله يستجيب لها ويمارس معها الجنس بشكل كامل ، فقد أولج قضيبه فى مهبلها .

مرت الأيام التالية وتعددت أشكال وأوضاع الممارسات الجنسية بين خالد وسماح فى المحل .. وفترا بعدها تدريجيا بعدما تشبعت غريزة كل منهما ، فقلت عدد الممارسات وتباعدت .. وعاد خالد يندمج فى تقمص شخصياته بداخل غرف الشات ، وتعرف على فاطمة منقبة دار السلام ، واليوم هو الموعد بينه وبينها .. يبدو أنها النهاية إذن ؟ .. نهاية تلك الشخصية .. ضحك حين صور له خياله أنه يمكنه أن يرتدى عباءة ونقاب أسود ويذهب لمقابلتها أمام مسجد الفتح ، واتخذ قراره أخيرا وذهب لمقابلتها .

****

أمام مسجد الفتح بالمعادى ركن خالد سيارته وظل جالسا يرقب باب دخول النساء .. ولما

وجد منقبة تقف أمام الباب تتلفت حولها وكأنها تبحث عن شئ ، أدرك أنها هى .. ضحك حين بحث عن إجابة للسؤال ؟ ، هل ينزل من السيارة ويتجه إليها ويقول

- أنا ياسمين منقبة المعادى

شعر بالخجل من نفسه وإختفت هى من أمامه بعدما دخلت المسجد ، وردد بينه وبين نفسه (أنا جيت ليه ؟ .. الظاهر إنى نسيت نفسى) ..

بالفعل كان خالد قد نسى نفسه واقعا تحت تأثير تقمصه لشخصية منقبة المعادى ياسمين ..

ضحك كثيرا وشعر بأنه فارغ من الداخل .. بالونة مملوءة بالهواء .. تنهد وسمع صدى أذان المغرب يرن فى أذنيه ، أصغى الى الأذان وكأنه يسمعه لأول مرة فى حياته ، وجد قلبه ينبض بقوه مع صوت المؤذن الجميل وهو يردد (أشهد أن لا إله إلا الله) .. سمع كل نبضة من قلبه تهمس له (الله .. الله .. الله) .. وجد الاسم يملأ الفراغ والخواء بداخله ، ولما انتهى الأذان شعر بسكينة عجيبة وإطمئنان غامض .. نزل من سيارته ودخل المسجد ليجد سريرته تطمئن .. وتوضأ ووقف فى صف المصلين .. كان صوت

الإمام عذبا ومؤثرا وهو يتلو القرآن .. ووسط حالة الخشوع وجد صور وأشكال غير واضحة تغزو عقله من بنات الكلية وأبويه وسماح ووليد .. كابد ليهرب من مشهد جنسى يجمعه بسماح وأصغى الى الآيات ، وبعدما انتهى من الصلاة هم ليغادر فوجد الشيخ يجلس على كرسى بجوار المنبر ويبدأ الدرس .. جلس خالد مستندا بظهره الى عمود بوسط المسجد ، وجاء الدرس الدينى وكأنه موجه له هو ، فقد كان موضوع الدرس هو (حلاوة الإيمان) .. والذى بدأه الشيخ بقوله - قال رسول الله (ص) ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان،أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف فى النار)) .. نعم ان للإيمان حلاوة لا يذوقها الا المؤمن وليس المسلم .

هكذا بدأ الشيخ الدرس وأصغى خالد للدرس بكل حواسه .. نعم إنه الآن يشعر بحلاوة الايمان تلك التى غزت قلبه حين سمع الأذان .. تبددت فى تلك الساعة التى قضاها مصغيا

للدرس كل إحاسيس الخواء والفراغ بداخله وحل محلها هدف ، ذلك الهدف الذى يردده الشيخ طوال حديثه (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .. فأنت مخلوق لتعبد الله ، ولكن أين أنت من الله .. هكذا كان الشيخ يسأل وخالد يصغى وسط الحاضرين .. انتهى الدرس وصلى خالد العشاء بخشوع شديد بعدما تأثر كثيرا بالدرس الدينى ، وأسرع بعد الصلاة يشترى شريط الدرس حيث يقوم القائمون على المسجد بتسجيل الدرس ويمكنك شراء الشريط .. وضع الشريط فى جيبه سعيدا ، ولمح وهو يخرج ورقة معلقة بجوار الباب عليها مواعيد الدروس وأسماء الشيوخ .. قام بتصويرها بكاميرا الموبايل فقد عزم على تكرار الحضور والنهل من هذه السكينة والحلاوة التى غزت قلبه .. وبداخل سيارته عائدا للبيت وجد نفسه يستعيد بعض ما سمعه

- من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإيمان
- ألا بذكر الله تطمئن القلوب

هكذا شعر خالد أن الله يشرح صدره للهدف الذى سيجعله ينال الدنيا والآخرة .. الهدف هو الله .

-٨-

فى صالة شقة وليد نور الدين فى المعادى ، جلس الشيخ أحمد عبد القادر المعالج الروحانى بالقرآن .. يرتدى جلباب أبيض مكوى أنيق ، أكمامه مغلقة على رسغيه بأزرار ذهبية اللون .. وينتعل حذاءا أسود لامعا ، وعلى رأسه طاقية بيضاء من القطيفة .. وجهه مستدير وشاربه محفوف ولحيته رغم طولها إلا أنها من النوع الخفيف ، فالشعر فيها ناعم وغير ملتف ، ويبدو أنها مهندمة بعناية .. تشعر براحة حين تنظر فى وجهه المبتسم على الدوام .. ما إن جلس الشيخ أحمد حتى قالت مدام مريم والدة ميار

- تشرب إيه يا شيخ أحمد ؟

- لأ مافيش داعى

قالها وهو يدير وجهه إلى وليد وقال

- عاوز أتكلم معاك على إنفراد يا عريس

هكذا استنتج الشيخ أحمد أن ذلك الشاب هو العريس .. وقام ممسكا حقيبته الجلدية السوداء

خلف وليد الى إحدى الغرف ، وبعدما جلسا قال الشيخ أحمد

- إيه اللى حصل ؟

لم يرد وليد المتجهم وتنهد تنهيدة عميقة دون أن يرد ، ليبتسم الشيخ أحمد ويرجع برأسه للخلف فى حركة تنم عن اندهاشه ويتابع

- يااااااااه .. وعلى كده الموضوع دا حصل معاك قبل كده

غضب وليد من طريقة الشيخ أحمد التى تحمل السخرية ، فقال محتدا بغضب

- بص يا شيخ .. أنا ما بآمنش بلبس الجن والربط والكلام الفاضى دا

إندهش وليد حين سمع الشيخ أحمد يقول

- ولا أنا

قالها وهو يخرج من حقيبته أجندة ويتناول القلم من جيبه يقول

- كان ليك علاقات جنسية قبل الجواز ؟

قام وليد بإخراج سيجارة وإكتشف أنها من العلبة المحشية بالحشيش ، فأخرج العلبة الثانية السادة وهم ليشعل سيجارة إلا أنه فوجئ بالشيخ أحمد يمد يده ويتناول العلبة المحشية بالحشيش قائلا

- ما تكترش من الحشيش عشان ده ممكن
يكون سبب للعجز اللى عندك
قالها الشيخ أحمد وهو يخرج خمس سجائر حشيش ويضعها فى جيبه وسط دهشة وليد الذى رد معترضا على لفظة (العجز)
- بس أنا مش عاجز .. مارست الجنس عادى
قبل كده
- إمتى آخر مرة عملت فيها ؟
تردد وليد قليلا ثم قال
- إمبارح
قطب الشيخ أحمد حاجبيه وقال بدهشة
- مش برضه إمبارح دى ليلة دخلتك
- أصل أنا متجوز واحدة تانية فى السر .. ولما
لقيت نفسى فى ليلة إمبارح مش مظبوط ،
رحت عندها وكنت طبيعى جدا معاها ..
اكتر من الطبيعى كمان
لم ينظر الشيخ أحمد الى وليد وبدا منهمكا فى تدوين ملاحظات فى أجندته ثم أغلقها وقال
- طيب مراتك التانية دى .. إيه ظروفها ؟
- إزاى يعنى ؟
- يعنى زوجة عادية ولا الحتة الطرية بتاعتك

إرتسمت ابتسامة واسعة على وجه وليد من جملة الشيخ أحمد الاخيرة وقال هو ينفث دخان السيجارة

- إنت شيخ برضه ولا إيه بالظبط ؟

ضحك الشيخ أحمد وقال

- زى ما انت ظابط .. أنا شيخ وجاى أحل مشكلتك

حكى وليد للشيخ أحمد علاقاته قبل الزواج وعلاقته بشهد ، وكيف لا يشعر بإثارة ناحية ميار زوجته و علق الشيخ أحمد قائلا

- أفهم من كده ان انت ليك طلبات خاصة فى الجنس عشان تقدر تمارسه ؟

- لأ عادى

تنهد الشيخ أحمد وقال مبتسما

- شوف .. إنت عندك صراع نفسى جواك .. اتعودت على ممارسة الجنس مع الستات الخبيرة فى الجنس .. جهازك العصبى اتعود على الإستجابة الجنسية بالمص واللحس وعنف الممارسة والحاجات دى .. ولما مالقيتش دا مع مراتك ، مالقيتش معاها إثارة

رد وليد ببعض السخرية
- والتحليل ده بقى على أساس إنك دكتور نفسانى !
- مش عشان انت ظابط هتقعد كل شوية تعدل على شغلى .. عاوز مشكلتك تتحل ولا هتقعد تقاوح معايا ؟
قالها الشيخ أحمد بنبرة ثقة جعلت وليد يصغى بإهتمام له
- ربنا بيقول (نسائكم حرث لكم .. فأتوا حرثكم أنى شئتم) .. مافيش مشكلة إنك تعلم مراتك وتتطلب منها اللى إنت عاوزه عشان تثيرك بس مشكلتك إن الحاجات اللى إنت عاوزها دى إرتبطتت فى عقلك بصورة المومسات وبنات الليل اللى إنت عرفتهم .. ودا إنت رافضه لمراتك الشرعية اللى بتحمل إسمك و دا سـ...
قاطعة وليد محتدا يقول
- إنت فلسفت الموضوع أوى
- ما تعاندش إنت معايا .. وخليك مقتنع باللى بأقولهولك .. لإن ده اللى هيحل مشكلتك .. الموضوع بسيط إنت هتقدر تمارس الجنس

مع زوجتك بس بالمنشطات الجنسية .. ومش هتكون مستمتع أوى بس هتكون طبيعى .. مع الوقت لما تتعود عليها وتوجهها للى إنت عاوزه هتبدأ تستمتع معاها

ضحك وليد وهو يرى الشيخ أحمد يفتح حقيبته الجلدية الممتلئة بكافة أنواع المنشطات الجنسية من الفياجرا ومثيلاتها وكذلك أكياس الأعشاب وبرطمانات العسل والدهانات .. وقال

- طب مش جايز يكون فى حاجة غريبة ؟ إن يكون فعلا فى ربط

وضع الشيخ أحمد يده على رأس وليد وتمتم ببعض الآيات ثم قال

- لأ .. مافيش عليك حاجة

قالها وهو يناول وليد برطمان عسل وعلبة فياجرا وقطعة حجرية صغيرة ، ورد وليد

- معايا فياجرا
- خدتها وما ظبطتش معاك
- لأ ما خدتش منها
- بص كل اللى مطلوب منك .. إنك هتاخد قرص وتستنى ساعة .. وبعدها تاخد حجر

النار ده وتدلك به أسفل القضيب وبعد عشر دقايق تشطفه بالماء والصابون .. وتبدأ مع مراتك هتلاقى الإنتصاب كويس .. هاتنجز المهمة الأولى وكله هيبقى تمام .. مسألة بقى إستمتاعك دى زى أنا ما حكيتلك كده ، يا إما هتيجى مع الوقت لما تتعود على مراتك .. يا إما تعلمها اللى غيرها بيعملوهولك ..

مبروك يا عريس وعقبال الإنجال

هكذا قال الشيخ أحمد ثم نهض يمد يده بكارت قائلا

- ده الكارت بتاعى .. اتصل بيا لو احتجت اى حاجة .. وعايز كارت ليك

أحضر وليد كارت وتناوله الشيخ أحمد الذى قال

- إنت فى قسم دار السلام عندنا هناك ..

كويس يبقى هادوشك كل شوية

رد وليد

- لو عوزت منى حاجة اتصل بيا

قال وليد ذلك لأن الشيخ أحمد سلب إعجابه ، وغير مفهومه عن تلك النوعية من الشيوخ حيث كان يعتقد أنه سيتلوا عليه القرآن ويثقب أصبع قدمه الكبير بإبرة ليخرج الجن من جسده .. إلا

أنه فوجئ بشخص مرح على دراية بأمور لا يعلمها هو .. لذا ودعه على الباب بإبتسامه ودودة وأعطاه ظرفا به خمسائة جنية ..

****

عاد وليد يجلس بين الجميع فى الصالة اللذين لاحظوا تبدل تعبيرات وجهه من التجهم الى الإنبساط وعقب والده اللواء نور الدين قائلا

- الظاهر ان الشيخ ده سره باتع

رد وليد مبتسما

- آه .. هو شخصية لذيذة

ضحك الجميع وأستأذنوا فى الإنصراف لينفرد العريس بعروسه .. أول ما فعله وليد هو أنه إزدرد حبة الفياجرا وأمضى ساعة مع ميار فى مشاهدة التليفزيون ثم قام الى الحمام ودلك قضيبه بقطعة الحجر الصغيرة التى أعطاها الشيخ أحمد له ، ليشعر بحرقان شديد ، لم يحتمله سوى خمسة دقائق وغسله بالماء والصابون .

جلس وليد على الاريكة فى الصالة ملاصقا لميار وإحتضنها بزراعه اليمنى فى حين تركت

هى رأسها تستقر على صدره .. مد وليد أصابعه يداعب شعرها ثم زحف حتى أمسك بثديها بيده يدلكه .. الغريب فى الامر أن وليد شعر بما بين فخذيه يتحرك ولا يزال أثر الحرقان فيه .. إبتسم متذكرا الشيخ أحمد الذى يبدوا أن كلامه صحيحا ، فها هو قضيبه يبدأ فى الإنتصاب رغم أنه لا يشعر بإثارة كبيرة .. إهتاجت ميار من تدليك ثديها فدارت بجسدها وأمسكت بقضيب زوجها من فوق بنطلون البيجامة ووجدته يتمدد .. فدست يدها خلف البنطلون لتقبض عليه كما فعلت فى الحمام .. دلكته ووجدته منتصبا على آخرة ، نظرت الى عيني وليد وضحكت .. قاما سويا الى غرفة النوم .. تعرت ميار تماما بعدما كابدت احساس الخجل ، فهذه هى المرة الثانية التى يراها وليد عارية تماما .. وضعت مخدة صغيرة أسفل مؤخرتها ، ونزع وليد بيجامته ليصبح عاريا منتصبا .. لكنه يشعر بالقلق خوفا من أن يفقد انتصابه كما حدث سابقا .. لذا أسرع بلا مقدمات يدفع به فى موطن عفة زوجته بعدما صار ممدا بين فخذيها .. عبرت الرأس وجزء من عضوه بداخلها .. تنهد وليد مطمئنا .. فلم

يسبق له أن ولجها على هذا القدر من قبل .. لم ينتبه وليد لوجه زوجته الذى صار محتقنا على آخره تجز على شفتيها من فرط الألم .. لأن ترقب فض بكارتها لم يمنحها الإثارة الكافية لتفرز مرطبات الأنثى الطبيعية من المهبل .. كما أن ضيق مهبلها لكونها لم تحظى بأى تجربة جنسية حتى مداعبة نفسها .. أدى ذلك لشعورها بشئ هائل فظيع يخترقها .. ونزل وليد بثقل جسده متعجلا إنهاء الأمر وفض بكارة زوجته ، ونجح أخيرا .. لكنه نجاحا صوريا لأنه لم يفض بكارة زوجته بطريقة صحيحة ، فلم يتمزق غشاء بكارتها بل إنقطع ممزقا جزءا من جدار المهبل ليحدث ذلك جرحا نازفا ومؤلما جعل ميار تشهق وتجحظ عيناها وتصرخ

- أهههههههههههههههه .. مش قادرة مش قادرة

قالتها وهى تدفع بحركة غريزية وليد عنها ، الذى قام مسرعا يقول

- إيه فى إيه لدا كله ؟!

تصرخ ميار باكية وهى تضم فخذيها واضعة يدها على فرجها .. لا يدرى وليد ماذا حدث ؟ ،

وإزدادت دهشته حين رأى الدم ينسال من أسفل زوجته وصنع دائرة كبيرة على السرير .. ورغم شخصية وليد الجامدة التى لا تنفعل كثيرا مع ما حولها .. إلا أن الموقف مع صراخ ميار ومنظر الدم جعله مضطرب الحواس لا يدرى ماذا يفعل ؟ .. إستجاب مسرعا حين رآها تمد يدها له وساعدها على النهوض للحمام وقطرات الدم تتساقط على الأرض .. جلست ميار فى الحمام على حافة البانيو وأمسكت بالدش وفتحت الماء البارد ، وألصقت الدش على فتحة مهبلها .. كان للماء البارد تأثيرا ملطفا للألم لأن الأعصاب الحسية فى تلك المنطقة إنشغلت بالإحساس ببرودة الماء عن الإحساس بالإلم .. بدأت حمرة الماء بسبب الدم تقل ، وظننت ميار أن الدم قد توقف .. ظلت على ذلك الوضع عشرة دقائق ووليد واقفا على باب الحمام يتابعها مستغربا وقال

- إيه اللى حصل ؟ .. بيوجع أوى كده
- مش عارفة يا وليد .. حسيت بألم رهيب .. بس دلوقتى أحسن

قالتها ميار وهى تغلق الماء ، ولكن سرعان ما بدأ الألم يعاودها تدريجيا ، وعادت تبكى .. ولم يكن سبب بكاؤها هو الألم فلم يكن مثلما بدأ .. لكن السبب كان ذلك الدم الذى عاد يتساقط متقطرا من مهبلها وقالت وسط صوت بكاؤها

- الدم مش عايز يقف يا وليد .. مش عايز يقف

تنهد وليد وابتلع ريقه وقال

- طب هاكلم ماما تيجى نروح لدكتور
- بس هاتلى ألويز الأول

إتجه وليد حيث باب الشقة وضغط على زر الإنتركوم وأتاه صوت البواب

- ألأمر يا وليد باشا
- روح هات ألويز بسرعة
- كبير ولا صغير ؟

رد وليد بزهق

- أى حاجة .. هات كبير

أتاه صوت البواب متسائلا من جديد

- طب أجيبه عادى ولا بالأجنحة ؟

صاح وليد بمنتهى العصبية

- أى حاجة يا زفت .. أى حاجة يا غبى .. بس بسرعة

أمسك وليد بالموبايل يتصل بوالدته مدام شريفة ، إلا أنه لمح كارت الشيخ أحمد عبد القادر .. تقافز الى ذهنه أن يكون ذلك الحجر الذى دللك به قضيبه له علاقة بما حدث .. فإتصل بالشيخ أحمد وأخبره ليقول له

- إنت كده شرمتها
- يعنى إيه ؟

قالها وليد لأنه لا يفهم معنى الكلمة فعلا ، وأجابه الشيخ محمد

- غشاء البكارة ما تقطعش من النص .. اتقطع من جدار المهبل وعمل جرح بينزف .. بس ما تقلقش بسيطة .. فى دكتور نساء عندك فى المعادى اسمه دكتور عماد مراد فى ميدان الحرية .. خد مراتك وروح له والموضوع هيخلص على طول

إرتدت ميار ملابسها تتحمل الألم وأحكمت وضع حفاضة الألويز لتمتص الدماء .. وعلى الباب كان وليد يتصل بوالدته لتلحق بهم عند دكتور عماد .

****

بداخل بهو العيادة المزدحمة بالنساء جلست ميار وسط أمها ومدام شريفة حماتها .. دخلت ميار بصحبة أمها وحماتها .. وساعدتها الممرضة لتتهيأ للكشف فى الوقت الذى كانت مدام شريفة جالسة على المكتب أمام عماد تقول

- عروسة وبعد دخلتها الدم بينزف .. مش عارفين إيه اللى حصل ؟

كست وجه عماد ابتسامة واسعة بسبب الطريقة التى تتحدث بها مدام شريفة حيث كانت تومئ برأسها للأسفل ونظراتها تلمع ونبرة صوتها خفيضة مبحوحة .. ورغم أنه عرف ما حدث لها لكنه أراد أن يستبين شخصية شريفة وسأل

- وده حصل من أول مرة ولا الدم زاد مع أكثر من ممارسة ؟

ردت شريفة على الفور

- مش عارفة

قالتها وهى توجه نظرها تجاه البارافان المختفية خلفه ميار مع أمها والممرضة تهيأها للكشف ثم تتابع مسرعة

- ميار .. إنتو عملتوا كتير ولا دا من أول مرة ؟

هكذا سألت مدام شريفة دون أن يطرف لها جفن حياءا .. فى حين امتقع وجه مدام مريم من بجاحة شريفة أمام الدكتور داخل غرفة الكشف .. وجائت إجابة ميار بصوت خفيض خجل

- من أول مرة

إستكفى الدكتور عماد بذلك ووجه إبتسامة ذات مغزى فهمتها شريفة .. وإتجه بعدها يفحص مهبل ميار فرأى جرحا صغيرا وبقايا غشاء بكارتها .. أزال بقايا الغشاء وسط الدم النازف .. ثم أحضر قطعة من القطن وقام بإفرغ خمسة أمبولات إبينيفرين عليها ، ودس القطنة بداخل مهبل ميار قائلا

- هتستنى بره نص ساعة وبعدين نكمل

عاد الى مكتبه أمام مدام شريفة وقال

- فى جرح صغير بينزف .. واضح ان عملية فض الغشاء كانت عنيفة شوية وهنحتاج نكوى الجرح ده عشان الدم يقف

تركت مدام شريفة كل الكلمات التى قالها دكتور عماد وسألت فيما شغل بالها

- عنيفة إزاى يعنى ؟

تدخلت مدام مريم فى الحوار لتقطع على شريفة حوارها الشيق بالنسبة لها وقالت لدكتور عماد

- طب وبعد كى الجرح ده الدم هيقف ؟

رد الدكتور عماد

- دى حاجة بسيطة والدم هيوقف بعدها علطول .. هاندهلكم بعد نص ساعة

هكذا انهى عماد الكشف وخرجوا.

****

غادر هو حجرة الكشف من الباب الخلفى لغرفة المعيشة وقام بتشغيل جهاز اليوفى لتتبعث مساحة الضوء البنفسجى .. تمتم بالقسم السليمانى يستدعى يورجانة التى ظهرت له على الفور ترتدى بالطو أبيض ونظارة طبية ويحمل وجهها علامات الجدية .. هكذا وصلها كيف يفكر عماد فيها فى تلك اللحظة فظهرت له فى هذه الهيئة .. وبدأ التخاطر الذهنى بالأفكار المحمولة كموجات بينه وبينها

- عاوزك تكوى جرح واحدة قاعدة بره عندها نزيف .. الجرح صغير .. زى ما علمتك هتلمى طرفى الجرح على بعضهم وتقتلى خلايا الأنسجة والأوردة والشرايين الصغيرة اللى بتنزف

- ما تخافش عليا أنا تلميذتك

قالتها وإختفت من أمامه لتفعل ما طلبه عماد الذى عاد يتابع الكشف على النساء حتى إنقضت النصف ساعة .. وطلب ميار لتدخل وتتهيأ للكشف وسألها وهو يفحص مهبلها

- هه إيه الأخبار دلوقتى ؟
- لأ الوجع راح خالص

إبتسم عماد فرحا حين رأى الدم قد توقف بعدما أخرج القطنة .. وتشاغل مدة دقائق وكأنه يكوى الجرح ثم قال

- خلاص كده

عاد يجلس على المكتب تاركا ميار ترتدى بنطلونها بمساعدة أمها والممرضة ، لتبادره مدام شريفة سائلة

- خلاص كده تقدر تكون مع جوزها عادى ؟

- لأ .. مافيش جماع لمدة اسبوع عشان الجرح ما يفتحش وينزف تانى

قالها عماد وهو يكتب روشتة بها مضاد حيوى ومطهر مهبلى ، وسمع شريفة تواصل

- ولو حصل حاجة قبل الأسبوع .. هيرجع ال

قاطعها عماد قائلا

- تاخد المضاد الحيوى ده مرتين فى اليوم بعد الأكل .. وتستخدم التشطيف مرتين

قالها وهو يناول الروشتة لمدام شريفة ثم تناول كارت للعيادة وكتب على ظهره رقم الموبايل ومد يده به لمدام شريفة مصوبا نظرة ذات مغزى لعينيها الجريئة وقال

- ألف سلامة للعروسة

تناولت شريفة الكارت بسرعة ودسته فى حقيبتها قبلما يلحظ أحد وقالت وهى تلوك العلكة بدلال مثير

- ميرسى أوى يا دكتور

دفع وليد التكاليف الإضافية فوق ثمن الكشف ، وغادر مع أمه وحماته وزوجته ميار التى لم تعد تشعر بأيه آلام من أسفلها .

عاد وليد وميار الى شقتهما .. وأوصلت شريفة بسيارتها القطة الملفتة للنظر مريم الى بيتها ، وفى طريقها للعودة الى الفيلا .. وجدت نفسها تشعر برغبة للمغامرة .. فعلى ما يبدوا أن ما حدث بعدما ولج ابنها زوجته ميار وما دار بينها وبين عماد فى العيادة جعلها تطلب المغامرة .. المغامرة وليس الجنس .. أوقفت السيارة جانبا وأمسكت الموبايل واتصلت

- يعنى إيه مش مصدق نفسك إن أنا أخيرا اتصلت بيك .. احنا بقالنا سنة مع بعض يا حبيبى
- ....
- خلاص يا فوفو أنا هاحن عليك .. بكره نتقابل فى الفندق
- ....
- دلوقتى ايه يا مجنون ؟ .. ده احنا بقينا نص الليل
- ....

شهقت شريفة وقالت بنبرة مثيرة

- إنت بتغير من جوزى .. اتخيلنى جنبك واحضنى وصبر نفسك لحد ما أقابلك بكره الساعة اتنين الظهر
- ....
- أوكيه .. امووووووووووووه .. باى يا فوفو

****

أنهى دكتور عماد العمل وقبل أن يخرج من غرفة الكشف تلقى اتصال الشيخ أحمد يدعوه إلى العشاء بالخارج .. نزل وإستقل سيارته الى دار السلام وإصطحب الشيخ أحمد إلى كبابجى فى السيدة زينب إعتادا أن يأكلا هناك منذ أن عرفا بعضهما وفى السيارة قال الشيخ أحمد
- جالك عروسة عندها نزيف ؟
- فى واحدة آه
- أنا اللى بعتهالك

حكى الشيخ أحمد لدكتور عماد حكاية وليد الذى يمارس الجنس طبيعيا ، ويعجز عنه مع زوجته

.. وتبادلا الأراء حول ذلك .. وصلا الى المطعم وأثناء تناول العشاء وقال عماد

- يورجانة هى اللى عملت الكى للعروسة اللى انت بعتها

- مين دى ؟

مش أنا حكيت لك عن أبحاثى عن التواصل مع الجن

- آه .. وأنا قلت لك إنك مش هاتوصل لحاجة

- لأ وصلت

لم يبدو على الشيخ أحمد أنه سمعه وواصل تناول الكباب .. وتابع عماد الذى أنهى طعامه وأشعل سيجارة

- وصلت لواحدة من الجن بتواصل معاها

فجأة إنطلقت ضحكات الشيخ أحمد وبدت نواجذه ، وبالكاد تمكن من كبت جماح ضحكاته وقال لعماد الهادئ يرقب ضحكاته

- أنا قولت لك أشوفلك عروسة بدل عيشتك لوحدك اللى هتاكل دماغك دى .. بس واضح إنى ما لحقتكش

رد عماد بمنتهى الهدوء وقال بثقة

- بس أنا فعلا بتواصل مع واحدة من الجن .. وقدرت أعلمها حاجات فى الطب .. وهى اللى عملت كى الجرح بتاع العروسة اللى انت بعتها

عاد الشيخ أحمد يضحك وقال

- التواصل مع عالم الجن بأى شكل من الأشكال ماكنش غير لسيدنا سليمان ولا هيكون لحد من بعده .. وسيبك بأه من موضوع أنهم كانوا مسخرين إنما انت هتتواصل معاهم بمزاجهم .. وأنا بحكم شغلى باقولك مافيش علاقة بين الجن والإنس نهائيا .. ماعدا وسوسة الشياطين

أشعل عماد سيجارة ثانية وقال

- وتفسر بإيه يورجانة اللى أنا باتواصل معاها

- هى كمان اسمها يورجانة ؟.. لا دا كده الموضوع كبر أوى وما يتسكتش عليك

قالها الشيخ أحمد بنبرة ساخرة قبل أن يتابع

- يورجانة دى مالهاش وجود غير فى خيالك .. الظاهر ان كتر تفكيرك فى الجن والتواصل مع الانس مع وحدتك جابولك وسواس قهرى وهلاوس

تنهد عماد وقال بهدوء

- تعالى معايا وأنا أخليك تشوفها
- آجى معاك فين دلوقتى .. الساعة عدت اتنين بعد نص الليل .. خليها وقت تانى
- لأ تعالى دلوقتى

تنهد الشيخ محركا رأسه يمينا ويسارا .. فصداقته بعماد تجعله يعلم أنه إذا أصر على شئ فلابد منه ، لذا قال

- طيب هى إيه ظروفها ؟ .. مزة وحتة تستاهل المشوار دلوقتى .. ولا شكلها أشكيف وهتخلينى أروح الشغل الصبح من غير ما أنام ع الفاضى

ضحك عماد ضحكة خافتة وهو يمد يده يمسح فتات الطعام من على لحية الشيخ أحمد ويقول

- شغل إيه إنت لسه موظف فى الشركة دى .. ما انت خلاص بقيت مشهور وشغل الجن والعفاريت بيدخلك فلوس كتير .. إستقيل بأه من الوظيفة دى
- كلها سنتين وهاساوى معاشى عشان أطلع بقرشين كويسين

بداخل السيارة يتنفس الشيخ أحمد عبد القادر بصعوبة بالغة من كثرة الضحك ، حيث كان عماد يحكى له كيف تظهر له يورجانة على الشكل الذى يفكر فيه .. وكيف يتخاطب معها ذهنيا

- وأنا اللى فاكرك واحدانى وصعبان عليا .. أتاريك قاعد مهيص نفسك مع ميرفت أمين وليلى علوى وشويكار .. وكمان ممثلات أجانب

هكذا قال الشيخ أحمد وسط ضحكاته ساخرا ، ورد عماد

- إتريق براحتك إتريق .. كلها ربع ساعة وتشوف بعينك
- أشوف إيه بس ربنا يهديك يا دكتور

****

أمعن الشيخ أحمد وابتسامة ساخرة تغطى وجهه فى الضوء البنفسجى وسط الحجرة المظلمة ، ولما لم يرى شيئا قال ساخرا

- يا ابن اللذين .. بقى هى دى .. إيه الحلاوة دى ؟

لم يرد عماد المنهمك فى تمتماته وتابع الشيخ أحمد

- ياللا قوم بأه عرفنى ع المزة دى

قالها و هو يضحك بشدة ، وفجأة إنحبس صوته وجحظت عيناه وفغر فاه حين رأى جسدا غير واضح المعالم يرتسم ويتشكل بداخل الضوء البنفسجى .. إبتلع ريقه وزفر زفرة طويلة ورجع بظهره يستند على الكرسى .. ورأى صورة شبحية لإمرأة جميلة ترنو إلى عماد الذى ينظر لها مبتسما .. أفاق الشيخ أحمد على صوت عماد يقول

- أنا بتحاور معاها بالأفكار ؟ .. هى دلوقتى بتقرا أفكارك

- هه

كان هذا هو كل ما استطاع الشيخ أحمد أن يتفوه به .. وسمع عماد يقول

- هى بتقول لى إنك خايف

نظرة لا مبالاة رآها عماد فى عيون الشيخ أحمد وتابع ضاحكا بصوت هامس

- بتقول إن انت نفسك فيها .. وعايز الـ
قطع عماد كلماته ضاحكا وهو يتابع الشيخ أحمد الذى لا تنزل عيناه عن يورجانة التى تتلفت حولها كما لو كان معها أحد غير مرئى .. فزع الشيخ أحمد حين أحس بيد على كتفه .. ونظر مسرعا ليجد عماد واقفا بجواره يقول

- يورجانة بتقول لى إن فى جيبك ده ظرف فيه ٥٠٠ جنيه

قالها عماد وهو يخرج من جيب الشيخ أحمد الظرف الذى أخبرته به يورجانة .. ضحك عماد وقال وهى يوقف جهاز اليوفى ويشعل الضوء فى الحجرة

- صدقتنى بأه ؟

خلع الشيخ محمد طاقيته القطيفة وهرش برأسه يقول

- حكاية غريبة .. بس إيه هدفك ؟
- زى ما قلت لك قبل كده .. التواصل بين الجن والانس هيغير شكل الحياة كلها على الكرة الأرضية

لازالت علامات الذهول تكسى وجه الشيخ أحمد الغير مصدق حتى هذه اللحظة

- وانت عن طريق يورجانة دى هتقدر تصنع التواصل دا

- وليه لأ ؟

- هى فعلا اللى عالجت العروسة اللى كان عندها نزيف

- فعلا هى

قالها عماد وقد بدأ يشرح للشيخ أحمد آخر ما وصل إليه مع يورجانة .. وكيف تمكنت من إختراق جسد ميار لكونها ذبذبات تخترق الجماد ، وتمكنت من أن تفعل ما طلبه عماد .. ظلا يتحدثان فى هذا الشأن حتى أشرق الصباح وذهب الشيخ أحمد مباشرة من عند عماد إلى عمله محاسب فى شركة النشا والجلوكوز ، بينما خلد عماد الى النوم بمساعدة أمبولة الفاليوم .

****

فى الغد كان فوفو إلى جوار مدام شريفة أمام موظف استقبال فندق سوفيتيل المعادى .. تملأ مدام شريفة استمارة طلب غرفة ، وبالقطع لم يطلب موظف الاستقبال أن يرى بطاقة فوفو وإكتفى ببطاقة شريفة.. الأمر واضح أم بصحبة

ابنها يبدو أنهم يأتون من مكان بعيد لزيارة أحد فى المعادى ويستريحان قليلا فى الفندق ثم يذهبان .. لذا ضغط الجرس وسرعان ما حضر شخص مبتسما يقود شريفة وفادى الى الغرفة .

لم تكن مدام شريفة إمرأة شهوانية فى الخمسين من عمرها كما يعتقد بعضكم .. تبحث عن الجنس غير عابئة بسنها ومكانتها كأم لضابط شرطة وطالبة فى كلية الطب ، فبحكم السن لم يكن الجنس بالنسبة لها هو الغاية .. فقد كان يكفيها ما تحظى به مع زوجها اللواء نور الدين من ممارسات حتى وإن كانت قليلة ومتباعدة .. فالسن له حكمه .. إنما مشكلتها هى طبيعتها الأنثوية التى تكونت منذ صغرها على أن تكون مرغوبة ، فقط هى تدمن ذلك الإحساس .. إحساس أنثى مرغوبة .. عندما تسمع كلمات غزل من أية رجل كانت تشعر بمتعة ونشوة وتحس بالرضا بداخلها .. ولا تشعر بهذه الأحاسيس فى الممارسة الجنسية حتى أيام كانت فتاة صغيرة متأججة الشهوة .. لم تكن تريد

الجنس لذاته بل تريده شعورا بأن رجل يرغبها ويشهيها
وبدأ ذلك منذ كانت طالبة فاتنة ترتدى الملابس المكشوفة وتسير مع زميلتها مريم .. كانت شريفة تستمتع بمغازالات الطلبة من خلفها وهى سعيدة وتتمنى المزيد ، ومن هنا بدأت طبيعتها الأنثوية تتكون .. وأصبحت تلك الطبيعة مشكلة حين تمت خطبتها على الظابط الشاب الصارم الثرى نور الدين .. قطعت علاقاتها الغرامية التى لم تتعدى سوى التنزه مع الشباب وتبادل الخطابات والمكالمات الغرامية .. لكنها لم تجد لدى نور الدين مبتغاها فلم يكن يشعرها بأنوثتها بأية مغازالات .. وتأكد لها ذلك بعد الزواج ، فعلى الرغم من فحولته الجنسية التى قد تصل الى تعدد الممارسات اليومية .. إلا أنها لم تكن تشعر بالمتعة التى تحتاجها لأنه لا يدللها ويغازلها ويناغشها ويشعرها بأنها مرغوبة عنده ولا يقدر على فراقها .. ووجدت ذلك عند أحد أصدقاء زوجها الذى أغدق عليها بكل ما تريد من حلو الكلام بينما هى تتدلل متمنعة كأمرأة متزوجة شريفة .. فى حين ترغب هى فى المزيد

بل تستحثه على ذلك بأنها تترك دائما الباب مواربا ، لا هى أغلقت الباب متعففة ولا هى فتحته لعلاقة موافقة .. لذا كان الطريق الى عقل وجسد شريفة هو أن تسمعها كلمات الغزل العفيف وحتى الأبيح وتجعلها تشعر أنك تلهث ورائها ولا تقدر على فراقها .. اتركها تتدلل عليك وأمعن فى التوسل إليها ستحظى فى النهاية بها .. خاضت شريفة مغامرتها الزانية دون أن تعبأ بزوجها الذى صار أكثر لينا بعدما ترقى فى العمل .. لكنها استعذبت تلك المغامرات وانغمست فيها .. ذات مرة قررت إنهاء ذلك لما رأت ابنها وليد وابنتها يارا يكبران أمام عينها .. لكنها لم تطق صبرا حيث كانت مع زوجها فى إحدى حفلات زوجها بمناسبة ترقيته الى رتبة عقيد .. ولما رآها العميد حسام الذى يرأس زوجها فى العمل أعجب بها وجعلها تشعر بنظراته التى تتفحص جسدها خلف الملابس المكشوفة المثيرة وهى تنفث دخان سيجارتها ، قال لها

- إسمحيلى أعبر عن إعجابى بذوقك فى اللبس
- ميرسى يا سيادة العميد

قالتها بنبرة دلال مثيرة وفى عينيها نظرات تستحثه للمزيد .. فتجاوب على الفور
- الحقيقة جمالك باهر وتسريحة شعرك هايلة يا مدام شريفة
- بلاش مدام دى يا سيادة العميد .. تقدر تقول لى شريفة
- يبقى كمان بلاش سيادة العميد دى تقدرى تقولى لى حسام
- إنت لطيف خالص يا حسام
قالتها بنظرات متدلهه تلمع برغبة أنثى وهى تلوك علكتها بشكل أكسبها جاذبية لا تقاوم ، مما دفع حسام ليواصل
- أنا اللى معجب بجمالك الفاتن ده .. وياريت نكون على اتصال .. دا الكارت بتاعى
حدقت شريفة فى وجه حسام بنظرة جريئة وقد علا حاجبها فى فتنة مثيرة وردت بهمس
- أكيد هانكون على اتصال
مرت المراحل الثلاثة بنجاح .. أغدق عليها حسام وسكب من كلمات الغزل والغرام ثم تركها تتدلل عليه وهو يلهث ورائها .. ثم توسل اليها فنالها على السرير أخيرا .. وعندما تصل شريفة

الى الجنس فى آخر المراحل الثلاث لا تستمتع به مثلما تسمتع بما قبله .. فالهدف ليس الجنس فى حد ذاته وإنما أن تشعر أنها أنثى مرغوبة يشتهيها ذكر .. مرت سنواتها على هذا المنوال لا يعلم أحد عن علاقاتها شيئا سوى مدام مريم صديقة عمرها .. عندما وصلت شريفة الى عامها الخمسين ، انتهت علاقاتها تقريبا لأن من تعرفهم من الرجال كبروا فى السن ولم يعودوا قادرين على مجاراتها .. وذات مرة كانت تسير بسيارتها القطة من أمام مدرسة المعادى الثانوية بنين .. وتذكرت مغازالات الطلبة لها على الكوبرى ، تنهدت مبتسمة وإذا بها تسمع أحد الطلبة المارين

- أول مرة أشوف قطة سايقه قطة

ضحكت شريفة وتوقفت بسيارتها ، وأشارت الى الطالب الذى إقترب يقدم رجلا ويؤخر الأخرى .. ولولا خشيته من معايرة باقى الطلبة له أنه جبان ، لما توجه إليها وسمعها

- أروح نادى المعادى منين ؟

إطمأن الطالب الذى لا يعلم أنها ولدت وتربت وتحفظ المعادى شبرا شبرا وقال بحماس شديد

- بصى حضرتك .. زى ما انتى ماشية كده على طول ، وبعدين تاخدى شمال لحد شارع ٧٧ وهناك هتلاقى النادى
- ميرسى .. انت طريقك كده أوصلك معايا
رد الطالب فوريرة
- أنا من أرض البصرى جنب النادى على طول
- طب تعالى أوصلك
ركض الطالب وبعدما استقر داخل السيارة بجوار شريفة .. إنطلقت صحيات باقى الطلبة من زملائه
- هنيالك يا فادى يا ابن المحظوظة
- عقبالنا يارب
- خدنى معاك ياض
ضحكت شريفة وهى تنطلق مبتعدة بالسيارة ، وقالت
- إنت اسمك فادى ؟
- آه
- اسمك جميل
- وحضرتك ؟
ضحكت شريفة من كلمة (حضرتك) وأجابت
- حضرتى اسمى شريفة .. وانت فى سنة كام ؟

- أولى ثانوى
- وشاطر ولا بليد ؟
- نص نص
- شكلك واد شقى
- يعنى

قالها فادى وهو يهز رأسه سعيدا .. ولما وصلا الى نادى المعادى نزلت شريفة تسأل وهى تتوقع الإجابة

- تحب تشرب حاجة معايا فى النادى ؟ ولا عندك مذاكرة

أسرع فادى يرد كالصاروخ

- لأ ما عنديش حاجة خالص

إمرأة فى الخمسين وإن لم يبدو عليها السن لإعتنائها الشديد بجمالها وجسدها تجلس مع فادى صاحب الخمسة عشر عاما ويحتسيان العصير .. ويتجاذبان الحديث وتبادلا أرقام الهواتف على أمل اللقاء .. فهم فادى ما تحتاجه شريفة وعبر المراحل الثلاث بنجاح ، وها هما الآن فى إحدى غرف الفندق وحدهما خلف الجدران .

ما إن انغلق باب الغرفة عليهما حتى أسرع فادى يحتضن شريفة ويقبلها بعشوائية غريزة بكر ، فهذه هى المرة الأولى له .. نهرته شريفه ودفعته بعيدا

- إيه ده .. إيه اللى بتهببه ده ؟

- أصل انتى جميلة أوى يا شيرى ومش قادر أمسك نفسى

أعجب الرد شريفة ، فضحكت وقالت

- طب بعد الغداء

- ما نخليها قبل الغدا وبعد الغدا

- يااااااااه .. دا أنت شقى خالص

- لأ ده أنا أعجبك أوى

غضبت شريفة من جملته وأضاقت عينيها وقالت

- ما تتكلمش بالطريقة دى

تنهد فادى وقال

- سورى يا شيرى .. أصل أنا من ساعة ماعرفتك وأنا مش عارف ايه اللى حصل لى .. انت أجمل واحدة شوفتها فى حياتى .. لدرجة انى ما بقيتش أروح أعاكس بنات .. باقعد اتخيلك ليل ونهار ومش عارف أذاكر وأول ما خلصت

الامتحانات مش عارف أخرج مع اصحابى .. أنا عاوز ابقى معاكى علطول
تخدرت شريفة وتركت نفسها لفادى .. الذى تعرى بسرعة وخلع عن شريفة ملابسها ، ودون أية مقدمات كان بين فخذيها يدفع بقضيبه فى مهبلها وأتى شهوته قوية عنيفة .. ثم ألقى بنفسه الى جوارها على السرير وسمعها تقول
- إيه ده أنا مالحقتش أحس بحاجة
- بعد الغدا هيكون أطول
بعد الغداء .. دخلا فى نوبة ثانية جائت أطول .. لكن شريفة كانت مستمتعة بكلمات فادى عن جمالها أكثر من استمتاعها بقضيبه الذى لم يهدأ إلا بعد أربع ممارسات فى خمس ساعات ..
وبعدما إغتسلت شريفة تستعد للمغادرة ، قال لها فادى
- ممكن مرة كمان قبل ما نمشى
- إيه ده أنت ما تشبعش !!
- حد يشبع من أحلا جسم فى الدنيا .. أنا عمرى ما شفت جسم بحلاوة جسمك يا شيرى
إستسلمت شريفة لتوسلات فادى .. وأعطته الممارسة الخامسة التى بالطبع جائت طويلة فى

مدتها .. مما جعل شريفة تشعر بمهبلها متسعا للغاية ومترهلا .. وفقدت شريفة الإستمتاع بالجنس بعد الممارسة الثانية لها مع فادى .. هى كانت تدفع له الثمن .. ثمن إشعارها بأنوثتها ورغبته فيها وتوسله اليها ، بأن تترك له جسدها يفعل فيه ما يشاء .. إنتهت مغامرة شريفة وغادرت مع فادى الفندق .. أوصلته قريبا من منزله وعادت هى الى الفيلا .

-٩-

جماعة الإخوان المسلمين هى الأقوى والأوسع انتشارا .. نالت فى السنوات الأخيرة بعض الحرية فى التعبير عن نفسها بعدما كانت تتوارى خلف اسم التيار الإسلامى فى المساجد والمدارس والجامعات ، ولأنها جماعة محظورة لذا تعمل فى الخفاء ، لكن جهاز أمن الدولة لها بالمرصاد .. لماذا ؟ .. لأن هدفهم الحكم بكتاب الله .. سيطروا تماما على النقابات وعلى رأسها نقابات المهن الطبية وغيرها ، وللحق صارت

هذه النقابات أفضل من مؤسسات كبرى فى الدولة من حيث التنظيم والعمل الجاد بعيدا عن فساد مؤسسات الدولة .. لكنهم فشلوا فى الوصول الى المحليات ويتمنى الكثيرون أن يصلوا ، ليس اقتناعا بمبادئهم بقدر إقتناعا أن الفساد المستشرى فى المحليات سيزول كما حدث فى النقابات .. لا يوجد صلة بين قيادات الجماعة والنشئ التابع من الشباب .. بعض منهم اتحد مع المعارضين للسلطة من الأدباء والفنانين والكتاب وخرجت ما يسمى بحركة كفاية .. يمكنك تمييز الإخوانجى دون سائر الناس بسهولة .. يرتدى الملابس العادية كسائر الناس يحلق لحيته أو يتركها محفوفة مهندمة فى رمضان ، فالإسلام ليس لحية .. لا تسمعه يقول شكرا بل جزاء الله خيرا أو جزيت خيرا .. لا يفارق المصحف الصغير جيبه وأحيانا يمسكه الطلبة منهم فى أياديهم .. يحرص على الصلوات الخمس فى جماعة لكن لا بأس إذا إضطرته الظروف للصلاة فى البيت .. مترادفات ثابتة مشتركة بين غالبيتهم فى أحاديثهم مع الإستدلال الدائم بالقرآن والأحاديث .. إذا كان لك زميلا

منهم فستصلك رسائل الإس إم إس على الموبايل يوم الإنتخابات لحثك على الإدلاء بصوتك لمرشحهم .. إما إذا كان صديقا فسيأتى ليصطحبك بنفسه للإدلاء بصوتك لمرشحهم .. لديهم قدرة عجيبة على التجمهر والإحتشاد فى فترة زمنية قصيرة تدهشك .. كما لو كانوا سربا منظما من النمل يتواصلون بسرعة فائقة .. لذا هم الأكثر تأثيرا فى الشارع المصرى ليس لأنهم غالبية .. ولكنهم الأكثر إيجابية ويعملون متآخون لوجه الله دون بحث عن مصالح شخصية.

****

دوى صوت دقات الشاكوش على قطعة صاج لسيارة متهالكة .. حيث كان حسن السمكرى فى ورشته بدار السلام فى ملاصقة قطعة أرض فضاء وقد اصطفت السيارات المتهشمة فيها .. يجلس حسن على الأرض وينهال بالشاكوش لسمكرة باب السيارة المعوج فيصير ناعما أملس ، يظل حسن السمكرى يتحسسه بيده ليتأكد أنه أصبح أملسا كالزجاج ، ثم سرعان ما يبتسم محركا رأسه فى زهو بعدما أنجز عمله بإتقان

فنان .. جائه الخبر بأن زوجته وضعت مولوده الأول ، أغلق الورشة وهرع الى المنزل ولما رآه جاره الشيخ اسماعيل حسين على عجل من أمره ، ذهب معه لما علم منه النبأ السعيد .. التقط حسن السمكرى وليده على زراعيه يقبله سعيدا ثم تناوله منه الشيخ اسماعيل قائلا

- ماشاء الله .. ماشاء الله .. جعلك الله من المكتوبين سعداء وباعد بينك وبين الأشقياء

طبع الشيخ اسماعيل قبلة على الوليد ثم أذن فى أذنه ودعا له بالنشأة الصالحة .. كان ذلك هو ما جعل الأسطى حسن يعتقد أن هشام ابنه شب مختلفا عن أقرانه وأخوته ، بسبب دعاء وآذان الشيخ اسماعيل الرجل المبارك الذى صار الآن أكبر شيخ فى المنطقة ويناديه أتباعه بالأمير ، ولم يكن الشيخ اسماعيل أقل سعادة من الأسطى حسن بإلتحاق هشام بكلية الطب .. كلما تقابل هشام مع الشيخ إسماعيل فى المسجد تعانقا كحميمين على الرغم أن هشام لم يكن يخرج فى سبيل الله استجابة لدعوات الشيخ اسماعيل .. فقد سار هشام فى دربٍ آخر منذ صغره ، بدأ ذلك فى المدرسة الإعدادية حيث صاحب كريم أبو

سمرة زميل التختة ، وكثيرا ما يستذكران دروسهما معا فى بيت أحدهما .. وفى الليلة الأخيرة لامتحانات الصف الأول الإعدادى .. انكب هشام فى بيت صديقه كريم على المراجعة يحفز كل منهما الآخر ، وأثناء ذلك دخل عليهما المهندس وائل أبو سمرة وقال

- بكره آخر يوم لكم فى الإمتحانات .. تخلصوا الامتحان وتيجوا ع المسجد بعد صلاة العصر عشان نبدأ التحفيظ

وائل أبو سمرة مهندس بترول فى شركة انبى .. أكثر أعضاء التيار الإسلامى نشاطا فى منطقة دار السلام ، ومعه عدد من الموظفين والمدرسين ، يظهر نشاطهم بين الناس فى أوقات الإنتخابات .. يحثون الناس من المعارف والأقارب على انتخاب مرشح التيار الاسلامى ، وفى الأحوال العادية يقتصر النشاط على الاجتماع الاسبوعى فى شقة المهندس وائل ، يتدارسون الأمور الدينية ، والتحدث فى السياسة دون فكر ولا تخطيط محدد ، وفى الاجازة الصيفية للمدارس ، يتناوبون على تحفيظ أبناء أهالى المنطقة الصغار القرآن الكريم والأحاديث

الدينية .. انتظم هشام فى حفظ القرآن وتعلم الأحاديث وكان يجمع أصدقائه للحفظ معه ، أما كريم فلم يكن منتظما فى الحفظ ولا حتى فى الصلاة .. كان مشغولا بلعب كرة القدم فى الساحة الخالية تحت الكوبرى الذى يمر من فوق خط المترو ، لم يقتصر الأمر على ذلك ، بل كان يجلس أحيانا على مقهى بعيد عن شارعه حتى لا يراه أحد يعرفه ويلعب الطاولة مع بعض اصحابه ، وفى المرحلة الثانوية صار هشام ناشطا يحظى فى هذ السن الصغيرة بثقة المهندس وائل أبو سمرة واتباعه من التيار الاسلامى ، وتشرب بأفكارهم وعاداتهم ، تباعدت علاقة هشام وكريم وأصبح كل منهما فى فصل بعيد عن الآخر حيث كان يتم الترتيب هجائيا ، ففى الوقت الذى كان هشام محافظا على الصلاة فى مواقيتها ، كان كريم يحضر صلاة ويفوت صلاة ، حاول معه هشام كثيرا فى حثه على الصلاة فى المسجد باستمرار

- يا أخى أنا مش فاهم انت ازاى أخوك الكبير يكون كده وانت كده .. لو حتى مش عايز

تبقى زيه .. طب الصلاة دى أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة

- إنت خلاص عملتنى تارك للصلاة !

- أمال انت ايه ؟

- هو الصلاة فى البيت باطلة يعنى ؟

تململ كريم وهو يسمع هشام يخطب عن فضل الصلاة فى المسجد ، وكيف تفوق صلاة المنزل بسبع وعشرين درجة .. واربد وجهه وعلا صوته وهو يحكى الحديث الشريف ، عن الرجل الذى جاء النبى يطلب رخصة الصلاة فى المسجد ، فأمره النبى أن يأتى للمسجد ولو حبوا .. يصغى كريم بزهق ثم يقول

- حاضر يا هشام هاجى اصلى فى المسجد الخمس الصلوات

يبتسم هشام ويمر اليوم ولا يرى كريم فى أية صلاة فى المسجد .. لم يكن كريم غير ملتزما دينيا على الإطلاق ، بل كان ملتزما فى أمرين من أمور التيار الاسلامى فى المنطقة ، الذى يتزعمه أخوه وائل وينشط فيه صديقه هشام : اليوم الرياضى والرحلات الإسلامية .. فقد كان كريم هو أول المبادرين للإستيقاظ لصلاة الفجر

فى المسجد صباح الجمعة من كل أسبوع .. ويجلس مع أخيه وهشام وبعض المنتمين للتيار الاسلامى يقرأون سورة الكهف بالتناوب حتى تطلع الشمس .. يهرع كريم لإحضار الكرة ويوقظ الاصدقاء والشباب ويتجمعون تحت الكوبرى فى الأرض الخلاء .. ينتظر كريم المراسم التى حفظها عن ظهر قلب حيث يقف أخوه وائل منتصبا ويقول

- المسلم القوى خير وأحب عند الله من المسلم الضعيف .. وكلمة القوى معناها انه يكون قوى فى كل حاجة فى دينه وفى شخصيته وكمان جسمه .. ده اللى علمه لنا الرسول الكريم (ص) .. وكمان ان لبدنك عليك حقا .. عشان كده احنا مش بنيجى نلعب كورة وخلاص .. احنا بنتوجه بالنية ان لعبنا ده رياضة بتقوى جسمنا امتثالا للحديث الشريف ، وبكده احنا بناخد اجر عند الله

يقف هشام مصغيا رغم انه سمع ذلك من قبل مرات ومرات بينما كريم مضيقا عينيه فى انتظار انتهاء المراسم .. والباقون بين مصغى وشارد ، ويواصل وائل

- لما تتقطع من حد كورة يقول قدر الله
وماشاء فعل .. ولما حد يلعب لعبة كويسة او
يجيب جول يقول الحمد لله .. عايزين يا
اخونا الوقت ما يضيعش مننا من غير ثواب
.. لازم يبقى لسانا رطب بذكر الله باستمرار
عشان عداد الحسنات يفضل شغال واحنا
بنلعب

تبدأ المباراة وكالعادة كريم فى فريق وهشام فى الفريق المنافس .. بالطبع هشام هو اكثر من يردد أثناء اللعب الحمد والحسبنة .. وبعد انتهاء المباراة تأتى فقرات ترفيهية من سباقات جرى ، وأسئلة ثقافية.. ثم يأتى الختام قبل صلاة الجمعة ويجلس وائل ويلتف من حوله الجميع ، يقدم وائل دعوة دينية على شكل مبادرة .. تارة عن الصلاة حيث يشرح ويتحدث عن كيفية الالتزام بالصلاة ويتعاهد الجميع على ذلك ومراقبة بعضهم البعض ، فمثلا يتم تكليف هشام بمتابعة صلاة كريم ، وتكليف كريم بمتابعة صلاة أحمد ، وتكليف أحمد بمتابعة صلاة هشام .. إذا رأى أحد تقصيرا من الآخر ، وقف الى جواره وذكَّره وشد من أزره لأن الذكرى تنفع المؤمنين

.. الفكرة تعتمد على تحويل العبادة الى تفاعل ايجابى بين الأفراد للمآذرة التى يدلل عليها وائل بمثل الذئب والخراف ، فالذئب هو الشيطان الذى يتملك ممن يخرج عن القطيع .. وتارة تكون المبادرة من أجل الصوم ، صوم تاسعواء وعاشوراء والأيام الوسطى من الشهر الهجرى .. أما المبادرة الأهم التى تنال القسط الأكبر من الاهتمام فهى المبادرة فى الانتخاب ، حيث يتحمس وائل متحدثا فى نهاية اليوم الرياضى

- الرسول (ص) قال (لا تكن إمعة) .. والإمعة هو الشخص السلبى اللى مالوش فكر ومنهج وشخصية .. عشان كده من أهم صفات المسلم انه انسان ايجابى .. فى انتخابات مجلس الشعب ، ما ينفعش يقول وأنا مالى .. لازم يقول صوته ويعبر عن رأيه .. لان ربنا هيسألك عن ده .. عشان كده كلنا هنكون ايجابيين يوم الإنتخابات وهنتجمع فى المسجد ، وكل واحد يقدر يجيب معاه حد من قرايبه أو معارفه يكون خير وبركة ، ونتحرك مع بعضنا بمشيئة المولى تعالى ونروح ندلى بأصواتنا للأخ

عبد الفتاح مؤمن مرشح التيار الاسلامى عن دايرتنا ..عشان نبقى عملنا اللى علينا ويوم ما نتسأل قدام ربنا نعرف نجاوب

بالفعل يمتثل الجميع ويذهبون للإدلاء بأصواتهم .. يتكرر ذلك فى الرحلات الإسلامية حيث يخرج الجمع الى أحد الحدائق العامة ولعب الكرة طوال اليوم ، وكذلك الفقرات الترفيهية .. حيث يجلبون زجاجات فارغة ويتسابقون فى وضع الأقلام المتدلية بخيوط من أفواهم لتعبر عنق الزجاجة .. كذلك الأسئلة الثقافية (من أول من استشهد فى الاسلام؟ .. من الذى اخترع القلم ؟ .. من اول سفير فى الاسلام ؟ .. من مخترع التليفون ؟ .. من هو الذى غسلته الملائكة ؟ ..) تلاحظ دائما عنصرا مشتركا وهو المزج بين الدين والدنيا .. أو بمعن أدق تطويع الأمور الدنيوية لخدمة الدين كما يراه التيار الإسلامى .. حين ينظر أحد من عوام الناس الى هذا الجمع لا يدرك أن الدين هو المحور المشترك بينهم ، فجميعهم يبدون كما الناس ، يرتدون قمصان وبنطلونات وفانلات ، وجميعهم حليقى اللحية .. ترى بالفعل مجموعة من الطلبة والشباب فى

رحلة ترفيهية .. وكالعادة فى نهاية اليوم تأتى المبادرة الدينية من أجل التوحد والتآذر على الطاعة ولكن هذه المرة يتخللها عبارة خاطفة عن (الدولة الإسلامية الكبرى) التى تشمل العالم ، لكن لكى نصل اليها يشرح وائل ذلك بإمعان

- كل واحد مننا عنده دولته .. نفسك هى دولتك ، لما تحول دولتك دى لدولة اسلامية بإنك تبتعد عن هوى النفس والشيطان وتكون مسلم ملتزم ، يبقى أنت أقمت دولتك الاسلامية على نفسك .. وأسرتك هى دولتك لما زوجتك تكون مسلمة ملتزمة وأبنائك مسلمين ملتزمين يبقى أنت أقمت دولتك الاسلامية على اسرتك .. ولما تبدأ تعمل ده مع معارفك ، أصدقائك جيرانك بأنك تدعوهم الى الصلاة وتهاديهم بالشرائط والكتيبات الإسلامية.. يبقى الحلقة هتفضل توسع لحد ما نوصل للدولة الاسلامية الكبرى .. لكن اهم حاجة نفسك لازم نبدأ بنفسنا

الجميع يصغى بعناية لوائل متهللى الوجوه ، لأن فلسفة الأمر على هذا النحو لاقى فى نفوسهم شاطئ الإقتناع ، ويواصل وائل

- إن تنصروا الله ينصركم .. وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ده اللى ربنا قاله لنا وصدق الله العظيم

هكذا كان فكر ومنهج التيار الاسلامى .. لكنهم فى الحقيقة الاخوان المسلمين يتاورون خلف شعار التيار الاسلامى لأنهم جماعة محظورة تتعقبهم أجهزة الأمن التى لم تكن تعبأ بهذه المراحل الاولى فى التدرج ، وذلك لأن العدد يتقلص تدريجيا فهناك من يظل معهم خلال المرحلة الاعدادية وينفصل فى الثانوية وهناك من يستمر حتى الجامعة وينفصل تحت وطأة مشاغل الحياة .. ويكون نشاطه هو قراءة بعض الآيات القرآنية قبل الحصة الأولى من اليوم الدراسى .. وإعداد مجلات الحائط وحشوها بالمجازر التى تحدث للمسلمين حول العالم .. حفظ وتجويد القرآن وتعلم الآحاديث فى مسجد المدرسة .. وذلك هو سبب تأثير الجماعة فى الشارع المصرى .. فمن كان معهم فى يوم

رياضى أو رحلة اسلامية أو فى المسجد لبضع مرات قليلة ثم لم يعد معهم ، تظل لديه النزعة الداخلية التى تجعله يستجيب للخروج معهم فى المظاهرات ، وكذلك الإدلاء بصوته لمرشحهم فى الانتخابات .. أما اجهزة الأمن فهى تبدأ عملها فى المراحل المتقدمة والتى وصل اليها هشام .

الآن هشام وكريم طالبان فى السنة النهائية فى كلية الطب .. ورغم تباعد أواصر الحميمية بين هشام وكريم إلا أنهما ظلا متقاربين ، فهما جيران وزميلان فى كلية واحدة ، لكن كل منهما سلك طريق مختلفا عن الآخر .. يذهبان الى الكلية معا فى غالب الأيام بالمترو، ويقف كريم مبتسما وهو يرقب هشام يخرج من حقيبته الملصقات كلما سنحت له الفرصة ويلصقها بداخل المترو ، فهذه صورة لإمرأة ترتدى الحجاب الذى يغطى الصدر ومكتوب تحت الصورة (الحجاب قبل الحساب) ، وتلك صورة ليد تقبض على سيف وأسفلها (خيبر خيبر يا يهود .. جيش محمد سوف يعود) ..

وصورة أخرى للمسجد الأقصى وقد استقر فوق قبته عين دامعة بدمعة دموية ، ومكتوب تحت الصورة (قاطع المنتجات الأمريكية اليهودية تنقذ مسلما) ، ومكتوب بعض أسماء تلك المنتجات .. وملصقات أخرى (قاطعوا المنتجات الدانماركية .. فداك نفسى يا رسول الله) .. وبعدما يفرغ هشام من لصق الصور يعود ليقف إلى جوار كريم الذى يقول له

- بس انت كده باصص للموضوع من زاوية واحدة .. العاملين فى شركات المنتجات دى مصريين ، ولما تقفل الشركات دى البطالة هتزيد ، وكمان الشركات دى بتدفع ضرايب للدولة

عند هذا الحد ، لم يتمكن كريم من التعبير عن رأيه على إثر زغرة ثاقبة من عيني هشام أسكتته قبل أن يندفع هشام فى لوم وعتاب بل وتوبيخ كريم على ما قاله ، ثم البدء فى إيضاح الرأى السليم والذى هو رأى التيار الإسلامى ، ولم ينقذ كريم من براثن هشام سوى وصول المترو إلى محطة السيدة زينب لينطلقا الى الكلية.. كان كريم بالنسبة لهشام أمرا مدهشا

يجعله يتأمل الآية القرآنية (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .. كريم من أسرة ملتزمة وإن لم يكن التزامهم على نفس قدر المهندس وائل ولكن كريم نشأ غير ملتزما ، رآه هشام ذات مرة يدخن سيجارة وحاول نصحه ، ذلك بخلاف وقوفه فى الكلية بإستمرار مع البنات ، لا يراه كثيرا فى المسجد يصلى .. ليس ذلك فحسب بل يجادل فى أمور تخص الدين يراها هشام من المسلمات .. ولماذا ينظر هشام الى مفارقة كريم ، أليس هو نفسه تنطبق عليه الآية ، ألم يهده الله ولا أحد من أسرته يصلى بل لا يعرف أى منهم عن الإسلام سوى أنه وجد نفسه مسلما .. كابد مع أبويه وإخوته ، بدأ الأب يصلى ثم ما لبس أن جرفه عمله بعيدا عن الصلاة .. إزداد نشاط هشام وصار يحضر مع المهندس وائل إجتماعات تجمع قيادات الإخوان على نطاق واسع ، وكان هو أصغرهم فلا يزال طالبا بعد ، لكنه لفت أنظار الجميع بحماسته ونشاطه ، وفى أحد هذه الإجتماعات السرية بوسط البلد ، تم إعداد هشام ليقود مع إخوته فى الكلية من المنتمين للتيار الإسلامى مظاهرة لما

شغل الرأى العام بشأن حادثة كوكاكولا وفانتا ، وبالطبع الى جانب ما يحدث فى فلسطين .. تم أخذ موافقة الأمن على المظاهرة السلمية وتخصيص أحد القاعات الكبيرة ، وتم مراجعة ما سيقال للطلبة فى القاعة وخط السير حيث سيخرجون من القاعة ويدورون فى أنحاء الكلية وفق خط سير محدد .. ولكن لم يمضى الأمر كذلك .

****

فى اليوم المحدد للمظاهرة ، وفى الساعة العاشرة كان هشام يدور كنحلة فى الكلية لوضع اللمسات الأخيرة للتظاهر وقابل كريم الذى كعادته يتجاذب الحوار مع فتاة .. إقترب هشام منهما وغض بصره عن الفتاة موجها وجهه تجاه كريم يقول

- مش هتيجى معانا المظاهرة ؟

رد كريم بدهشة

- هو فى مظاهرة ؟ .. عشان إيه ؟
- انت ماسمعتش عن كوكاكولا وفانتا ؟

- آه .. سمعت .. بس ياعم هشام العالم دى لو بتفكر فى الكلام ده ما كانوش بقوا كده وإحنا كده .. دى صدفة وانتو واهمين نفسكم

ضرب هشام كفا بكف وصاح محتدا

- إنت فعلا اللى ربنا قال فيه (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) .. أنا مش عارف إزاى تكون كده وانت متربى معانا .. مشكلتك إنك عارف طريق الحق بس خليت هواك يبقى إلهك .. ربنا يهديك يا كريم

كان كريم مصغيا كعادته متململا ، فلم تكن المرة الأولى ولن تكون الأخيرة التى يعبر عن رأيه ثم يسمع خطبة من صديقه هشام الذى هم بالإنصراف من أمام كريم متحسرا على حال صديقه .. لكن يبدو أن كلمات هشام لكريم استفزت الفتاة الواقفة مع كريم ، وصاحت

- وإيه دليلك على إن انت اللى صح وهو اللى غلط ؟!.. ما تحجرش على رأى غيرك

ولازم تتقبل الرأى الآخر حتى لو كان غير رأيك

قالتها الفتاة بعيون متنمرة ، ووجها الجميل مربد ، لم يرى ذلك هشام الغاضض بصره عنها ولم يكن يود الرد وكاد يمضى فى طريقه ، لكن جملتها الأخيرة نخرت صدره ، فرد عليها قائلا

- أعتقد إنى كنت باكلم كريم وهو يقدر يرد

لم تشعر الفتاة بالحرج ، لكنها شعرت بالإهانة وصاحت بصوت جرئ متحفز تكاد نظراتها المتنمرة تلتهم هشام الذى لم يدر وجهه إليها

- انت وقح وقليل الذوق

تدخل كريم على الفور يهدئها قائلا

- خلاص يا يارا

ولكن من أين ليارا بالخلاص ، وهى تسمع هشام يقول

- الله يسامحك

قالها وهو يختلس النظرات إلى وجهها السافر وشعرها العارى وملابسها المكشوفة التى ترسم مفاتن جسدها ، وارتسمت على وجهه علامات الإزدراء كما لو كان رأى شيئا قذرا مقززا ، مما أشعرها ذلك بمزيد من الإهانة ، وسيطر عليها

الغيظ حين رأته يخرج من حقيبته كتيبا صغيرا ويمد يده قائلا

- خدى ده يا أختى .. عسى الله أن يهديكى به

لما رأت يارا عنوان الكتيب (الفتاة المسلمة) وهى ترد على كلمات هشام بإستفهام تحقيرى

- أختك ؟!!

لم تدرى بنفسها وهى تتناول الكتيب وتقذف به على صدره صائحة بنبرة تحدى

- ده تديه لأختك

حال بينهما كريم يدفع بهشام الذى كان على وشك الصياح فى وجهها

- يا للا يا هشام .. إلحق المظاهرة بتاعتك

قالها كريم وهو يحث هشام بيديه على الابتعاد ، وابتعد هشام يردد

- اللهم اهدى كل عاصى

****

عانى هشام ورفاقه للدخول إلى المدرج الذى وافق عليه الأمن ولما أذن الظهر دون جدوى من أن يلتزم أمن الكلية بإتفاقه معهم على المظاهرة السلمية .. تجمهروا أمام المدرج وصلوا الظهر على الأرض ، وإعتلا هشام

كرسيا يرتدى قميصا أزرق خارجا فوق بنطلون أسود ، يقف ممسكا بمايكروفون يدوى كبوق صغير يصيح

- أخوانى لقد تكالب أعداء الإسلام على المسلمين كما قال النبى (ص) (ستتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها) .. وها هم المجرمين من أعداء الإسلام من اليهود الكفرة اللذين يريدون القضاء على المسلمين

صمت هشام ومال يلتقط من أحد رفاقة صورة كبيرة لزجاجة كوكاكولا أمام مرآة ، وتابع هشام

- إنظروا يا إخوانى ستقرأون كلمة كوكاكولا معكوسة (لا محمد لا مكة) .. هكذا رسمها أعداء الإسلام وجعلوها على هذا الشكل لتقرأ من اليمين كوكاكولا وتقرأ معكوسة من اليسار لا محمد لا مكة

صمت هشام يلتقط صورة أخرى لزجاجة فانتا وقد تم تكبير المركب الشراعى الصغير المرسوم على الزجاجة تحت الإسم ، وتابع هشام

- وإذا نظرتم إلى هذا المركب الصغير ستقرأونه (لا إله)

هنا حاولت يارا الواقفة بصحبة كريم أن تلفت الإنتباه لأنها قرأت تكذيبا من شركة فانتا وأنهم سيقومون برفع هذه الصورة من على الزجاجة ، وظلت يارا ترفع يدها تصيح من آخر الحشد المتجمهر

- لأ لأ .. انتو شايفين الصورة غلط

لم يسمعها أحد وسط الصخب وقال كريم ضاحكا

- ما انتى والدك لواء فى أمن الدولة وأخوكى ضابط .. اشخطى فيهم ولا يهمك

تعالت صيحات هشام وهو يرفع صورا للشهداء الفلسطينين على أيدى اليهود .. ظل هشام يصيح على مدى ساعة ثم قال

- هذه قائمة بكافة منتجاتهم .. فنحن نستطيع أن نغير المنكر بإيدينا إذا قاطعنا منتجاتهم .. لن تذهب أمولنا لقتل اخواننا المسلمين .. هل تعلمون يا إخوانى أن كلمة pepsi على المنتج اليهودى هى اختصار ل pay eny penny saving israel.. إدفع أية قرش لتنقذ اسرائيل .

بعد ذلك شرع هشام ورفاقه يدمدمون بأقدامهم الأرض وقاموا بفتح المصاحف الصغيرة والتلويح بها عاليا .. وسرعان ما تبعهم فى ذلك عدد كبير من المحتشدين غالبيتهم حليقى اللحية مثل هشام ورفاقة بفانلات وقمصان وبنطلونات ، وقليل من ذوى اللحية الطويلة ، وقام أحدهم بحمل كاسيت ضخم وانبعث صوت النشيد وهو يسيرون مدمدمين شاهرين المصاحف

- سنخوض معاركنا معهم وسنمضى جموعا نردعهم
ونعيد الحق المغتصب وبكل القوة ندفعهم
تعالت الصيحات الله أكبر .. الله أكبر ،
وأمتزجت الصيحات بكلمات النشيد
بسلاح الحق البتار سنحرر أرض الأحرار
ونعيد الطهر الى القدس من بعد الذل وذا العار

بدأ أمن الكلية فى التدخل للحيلولة دون أن يتحول الحماس الطاغى إلى أعمال عنف ، ويتواصل النشيد

وسنمضى ندك معاقلهم بدوى دام يقلقهم
وسنمحو العار بإيدينا وبكل القوة نردعهم

وصلت قوة أمن صغيرة ، وأفسح أمن الكلية المجال لتنهال عصوات عساكر الأمن المركزى وبدأ الاشتباك وسقط الكاسيت الضخم ، ولكن الصوت لا زال ينبعث

لن نرضى بجزء محتل ، لن نترك شبرا للذل
ستمور الأرض وتحرقهم فى الأرض براكين تغلى

إنتهت المظاهرة وتم فض الإشتباك بعد القبض على هشام ورفاقه ، حيث تم إلباسهم أقنعة قماشية سوداء عطنة أخفت رؤوسهم تماما ، وتم تقييد أيديهم خلف ظهورهم ، وإلقائهم كدجاجات بداخل سيارة الأمن الكبيرة الحديدية المصفحة التى إنطلقت الى مبنى أمن الدولة .

****

يارا نور الدين ليست كأى فتاة فى مثل سنها أو ظروف نشأتها تربت على يد أبيها منذ نعومة أظافرها بعدما تفرغت أمها للإهتمام بأخيها الأكبر وليد ، ولم تكن يارا بالطبع تعلم أو تحس بأن أمها شريفة يذهب الجزء الأكبر من وقتها فى محاورة العشاق والتدلل عليهم حتى ينالوا منها على السرير .. ورثت عن أمها جمالها الفاتن المثير ، الجسد الممشوق الذى يثير شهوة الرجال والشباب ، وحتى زميلة لها فى المرحلة الثانوية ذات مرة صرحت لها أنها معجبة بجسدها ، ودعتها الى بيتها ، وقامت بتشغيل جهاز الكمبيوتر ليشاهدا معا فيلما أجنبيا رومانسيا ، سرعان ما أغلقته صديقتها قائلة

- مش عاجبنى الفيلم ده .. عايزه أوريكى حاجة

قالتها وهى تقوم بتشغيل فيلما اباحيا لفتاتين عاريتين يتبادلان العبث بجسديهما ، ورغم إندماج يارا وشعورها بالإثارة تجتاحها إلا أنها نهرت صديقتها التى وضعت يدها على بداية مؤخرتها تتحسسها قائلة

- انتى جسمك حلو اوى يا يارا .. ما تيجى نعمل زى الفيلم

رفضت يارا لأن ذلك لا يستهويها ، وتقبلت صديقتها رفضها قائلة

- أوكيه يارا .. أنا آسفة

شرعت الصديقة تحكى بعدها مغامرات مع فتيات زميلات لهما فى المدرسة .. واندهشت يارا مما تسمع ، وعادت الى الفيلا وأول ما فعلته انها اتجهت مسرعة الى غرفتها فى الأعلى .. نزعت ملابسها ووقفت عارية أمام المرآة تتفحص تقاسيم جسدها بعناية .. وأمسكت ثدييها الكبيرين تختبر مدى طرواتهم وتحسست بأناملها حلماتها الوردية النافرة .. عانت وهى تتفحص مؤخرتها بسبب التفاف رأسها للخلف .. وكانت النتيجة أنها لا تفهم ما معنى ذلك .. إذا كان معناه أنها فاتنة مثيرة كما قالت صديقتها فليكن .. ارتدت ملابسها وجلست أمام الكمبيوتر وابتدأ فى هذه اللحظة عالمها مع الجنس .

أما شخصية يارا فقد جمعت بين دلال أمها المثير وصرامة أبيها وقوة شخصيته فى نفس الوقت ، فتكونت لديها طبيعة جريئة للغاية ،

نادرا ما تشعر بالحياء من شئ ، وليس معنى
ذلك أنها وقحة ، لعلك تفهم ذلك حين تعرف أن
يارا فى أولى سنواتها الجامعية ، كانت ترتدى
مايوها من قطعتين وتقف على حافة حمام سباحة
نادى المعادى نهارا ، وكافة العيون تحملق فيها
رغم وجود كثيرات غيرها حول حمام السباحة ،
والسبب ليس جمالها المثير للشهوة فحسب ،
أضف الى ذلك المايوه الذى ترتديه .. مشد
الصدر أبرز صدرها المكتنز والمجرى بينها
جليا للعيون ، وعن قرب يمكنك رؤية حلمتيها
كحبتين عنب خلف القماش الرقيق .. أما القطعة
السفلية فكانت عبارة عن شبر من القماش يدارى
ما بين فخذيها ومن الخلف قطعة طولية رفيعة
انحشرت بين فلقتيها المتماوجة الرجراجة ..
بدت للجميع أنها لا تعبأ بشئ .. لكن الحقيقة غير
ذلك فهى ليست غير عابئة ، إنما غير مدركة ..
لا تدرك حالة الذكور المتعطشة تلهث وأنظارهم
تتبعها أينما اتجهت .. مدت يارا يدها تخرج
قطعة القماش المنحشرة بين فلقتيها وتعدل
وضعها .. ليس لأنها أرادت لا سمح الله أن
تدارى مؤخرتها العارية ولكن لأنها شعرت بعدم

الأريحية من انحشار القماش .. فى هذه اللحظة لم يحتمل أحد الشباب اللاهث من فرط اثارته وأطلق صافرة إعجاب جعلت يارا تلتفت له ، ولما رأت هى نظرته الشهوانية .. نظرت له نظرة احتقار بوجه ممتعض .. لم تشعر بالحياء كأى فتاة فى سنها أدركت أنها فى موقف كهذا ، بل كانت تشعر بأنها حرة تفعل ما تشاء والعيب ليس فيها ، إنما فى ذلك المتلصص على جسدها ، لماذا ينظر هو إليها ؟ .. وجدت مشرف حمام السباحة يقترب منها ويقول

- بعد إذنك يا آنسة .. أنا آسف لإنى ألفت نظرك لتغيير المايوه
- ليه ؟

هكذا سألت يارا بجرأة وتحفز جعلت المشرف يتنهد وينظر لها وكأنها فتاة ساقطة وقال

- فى أعضاء قاعدين هناك بيعتبروا لبسك ده غير مناسب

نظرت يارا حيث أشار المشرف لترى مجموعة من النساء المحجبات بصحبة أزواجهن على ما يبدو .. وابتسمت بسخرية فحتما لم تستطع تلك النساء حجب أنظار رجالهن عنها فسعين لحجب

وجودها هى .. ولذلك تغلبت طبيعة يارا المتحدية الجريئة وقالت بحدة

- أنا حرة .. روح قول لهم يخلوا رجالتهم المراهقين ما يبصوش عليا

قالتها وهى تبتعد عن المشرف وتصوب نظراتها المستهزئة تجاه النسوة المحجبات مما دفع إحداهن تصيح لتسمعها يارا

- إيه البنت البجحة قليلة الأدب دى ؟!!

ولحق المشرف بيارا يقول

- أنا آسف يا آنسة .. مضطر أمنع حضرتك لان المايوه بتاعك مخالف لقواعد النادى

لم ترد يارا واتجهت تلف منشفة تتدلى من حول وسطها ، وابتعدت ومن خلفها صافرات الشباب تسمعها .. اتجهت بغضب وحشى الى مكتب مدير عام النادى تعترض على منعها عن حمام السباحة .. كان المدير مندهشا بعدما استدعى المشرف وسمع منه وقال

- حضرتك هنا عضوة زى باقى أعضاء النادى .. وعشان اختلاف عادتنا وتقاليدنا ، النادى بيحط قواعد وسط لإرضاء الجميع .. مش شايف

فيها مشكلة لو كان زى السباحة بتاع حضرتك مناسب أكتر

وقبل أن يكمل كلامه نهضت يارا وغادرت وهى فى قمة غضبها ، واتصلت بوالدها الذى لم تجده متحمسا لنصرتها وقال

- يا يارا يا حبيبتى الشباب المراهق كتير .. وانتى لازم تاخدى بالك .. ع العموم ما تزعليش يا حبيبتى .. أول ما تخلصى امتحانات الكلية هاخدك ونروح شرم فى الشالية بتاعنا والشاطئ هناك كله ملكك وتكونى على راحتك مع السائحات الأجانب .. هناك ماعندهمش القواعد بتاعة النادى هنا

هكذا شبت يارا بطبيعة غجرية متوارية خلف تربية ثرية مدللة فى أسرة عصرية متحررة .. ولم تعبأ بالشباب المتساقط حول قدميها ساعيا للوصول إليها ، لم تكن تعبأ سوى أن تستمتع بحياتها ، حياة منعمة مترفة ، سيارة فارهة ، صديقات تثرثر معهن فى النادى .. حوارتها

الهاتفية مع زملائها فى الكلية حيادية تماما .. دائما ما تعيش اللحظة ولا تفكر فى أى شئ يتعلق بالمستقبل .. حتى بعد التحاقها بكلية الطب التى كان أبوها رافضا لها ويريد الحاقها بالجامعة الأمريكية فهى من الصفوة ، ولا يجب أن تخالط غير الصفوة ممن يلتحقون بالتعليم الجامعى الحكومى .. لكن طبيعتها الغجرية جعلت أبيها يوافق على ما أرادته هى .. وإمتدت تلك الطبيعة بداخلها ليصير شكلها عجيبا ومثيرا على كافة الاصعدة .. عيون واسعة جريئة لا تطرف خجلا ولا حياءا ، ورموش هدباء طويلة كأشواك تنغز قلبك حين ترنوا اليها ، ووجه فاتن مثيربجسد متناسق يبعث على الشهوة ، وأكثر ما يلفت النظر هو ذلك الشعر التى أختارت له يارا تصفيفة لا تغيرها فيبدو شعرها طويلا وحشيا مبعثرا .. ولم يكن ذلك فحسب هو ما يجعلك تستشعر طبيعتها الغجرية ، وإنما تلك الحلقة المعدنية الدقيقة التى تثبتها بين الحين والآخر فى فتحة أنفها ، وكذلك بعض الترتر الملصق حول إحدى عينيها ، والحسنة الحمراء التى ترسمها الى جوار فمها .. وكانت أكثر علاقة جمعتها

بشاب هى فى تلك الليلة التى أكثرت فيها من شرب الويسكى وانطلقت ترقص بجنون بداخل الديسكو وتتلوى بالبادى الضيق المثير والبنطلون الجينز المنحشر فيها ، مما دفع أحد الشباب معروفا فى الديسكو بقدرته الفائقة على تأدية الرقصات الصعبة ليتبارى مع يارا فى الرقص .. أمسك الشاب بيدها وجذبها برشاقة وأدارها فى الهواء بخفة لتستقر على الأرض .. سرعان ما التف حولهم الشباب من الجنسين يصفقون مشجعون .. أرادت يارا أن تتحدى الشاب بحركة استعراضية .. قفزت بخفة وأحاطت رقبته قابضة عليها بساقيها ثم قفزت بجسدها للخلف ودارت فى الهواء دورة كاملة قبل أن تستقر على قدميها وسط تصفيق الجميع مبهورين .. صفق لها الشاب المتحدى نفسه على هذه الحركة ، ثم فجأة أمسك بوسطها وأدارها وهو يرفعها ليصير ظهرها أمام وجهه ، وبحركة ماجنة جعل مؤخرتها تستقر على موضع قضيبه تماما ، وظل يحكها فى حركات راقصة ، ثم باعد بين ساقيه وحررها لينفرد جسدها زاحفا على الأرض مستقرا بين ساقيه

والإيقاع الصاخب للموسيقى يدوى فى الآذان .. صفق الجميع وعلت أصوات الصفير تحت الأضواء الليزرية الملونة المجنونة ، وتوقع البعض منها أنها ستعاقبه على هذه الحركة الماجنة ، فكانت المفاجأة حين نهضت يارا التى أعجبتها الحركة السابقة وشعرت بالإثارة ودارت حول نفسها قبل أن تقفز لتجعل إحدى رجليها على كتفه ، بينما إلتقط هو الرجل الأخرى بزراعه، وصار ما بين فخذيها ملاصقا لقضيبه الذى بدا منتصبا خلف البنطلون ، يحتكان فى حركات راقصة ماجنة .. بعدها رأت يارا أحد المشرفين على الديسكو يقترب ويهمس فى أذن الشاب .. بذكائها استنتجت أنه يلفت نظره أنهما تجاوزا الحدود ، فدفعها ذلك وسط سكر الخمر والنشوة المتملكين منها فى أن تخلع البادى ويصير نصفها العلوى عاريا ويظهر ثدييها عاريان أمام الجميع اللذين صفقوا بإعجاب شديد .. لم يكن الشاب يريد أن يظهر بأنه أقل جرأة منها فخلع فانلته على الفور والتحما سويا فى أكثر الحركات الراقصة مجونا ، والتى جعلت يارا بشكلها الغجرى أن تلقم فم

الشاب تقبله بتمحن ومجون جعل الإثارة تغمر المكان .. ومع وصول مدير الديسكو نفسه ليمنع حدوث المزيد انتهى العرض .

لا يفهم أحدكم أن يارا (بنت مسترجلة) ، لم تكن كذلك على الإطلاق ، فهى أنثى بمعنى الكلمة ، وطبيعتها الغجرية الوحشية تجعلك تشعر بأنوثتها بشكل أكبر .. كل ما فى الأمر أنها تفعل ما تحس برغبة فى فعلة دون أن تلقى بالا لأية موانع أو قيود .. تستشعر اللحظة وتغض الطرف عن الآتى .. لدرجة أن ادمانها للعادة السرية أصبح أمرا آليا بحتا تلقائيا .. تشاهد الأفلام الإباحية كل حين لتبدد بعض مللها ، ووجدت نفسها مع أول فيلم تشاهده يوم عادت من عند صديقتها فى المدرسة الثانوية والتى أبدت إعجابها بجسد يارا .. داعبت يارا نفسها وعرفت طريق اللذة لأول مرة .. وحين داهمها الأرق بعدها بأيام .. مدت يدها تحت كيلوتها وعبثت حتى واتاها الأورجازم .. فاسترخى جسدها وهدأت وراحت فى سبات عميق .. حتى صارت كل ليلة تقريبا تنام بعدما تفرغ شهوتها

وتنال اللذة .. تماما مثل قيادة السيارة ، فحين تتعلم القيادة تجد نفسك تقود بكامل حواسك وتنظر فى المرايا تباعا تريد أن ترى عجلات السيارة الأربع ، وبعدها تجد قيادة السيارة وقد تحولت الى عمل آلى تلقائى بترابط عصبى جسمانى ، حتى انك يمكن أن يشرد ذهنك وأنت تقود السيارة ولا تشعر بالمسافة التى قطعتها .. هكذا صارت يارا حين تستلقى على فراشها بملابس النوم ، تمتد يدها وتحصل على الأورجازم الشبق والعنيف كوظيفة آلية اعتادت عليها.

حين التحقت يارا بكلية الطب ومرت بها السنوات ، تغير شكلها كثيرا ، لم تعد تبدو بالشكل الأنثوى الوحشى ، هذبت تصفيفة شعرها لتبدو أكثر هدوئا ، وتوقفت عن الماكياج الصارخ واستبدلته بماكياج هادئ ، ولم تعد تلصق الترتر ولا الحلقة المعدنية ، فقد نضج عقلها وتخطت مرحلة المراهقة ، إلا أنها ظلت على طبيعتها الغجرية والوحشية فقط حين يستفزها شئ .. تماما كما حدث اليوم بينها وبين

هشام .. ولما عادت من الكلية وجدت نفسها تتخيل منظر هشام وعساكر الأمن ينهالون عليه ضربا .. تتسائل ما الذى يدفعه الى أن يعتقد أنه على الصواب ؟ .. ليتحمل أى شئ حتى ولو كان ضياع مستقبله فى سبيل معتقداته .. صحيح أنها لم تصادف نموذجا من هؤلاء من قبل لكنها تعلم كيف يفكرون .. لكنها لا تعلم كيف ينخدعون ؟ .. ولماذا يعتقد أنه على الصواب وغيره على باطل ؟ يمكنه أن يؤمن ويعتقد بما يريد ، لكن عليه أن يحترم الرأى الآخر ويتقبل وجوده ؟ .. أفاقت من شرودها على باب غرفتها ينفتح وتدخل أمها شريفة التى كانت عائدة من لقائها فى الفندق مع فوفو .. جلست شريفة بجوار ابنتها وقالت

- اخبارك ايه يا يور ؟

قالتها وهى تقبل ابنتها على جبينها .. كان ذلك السؤال هو ما تسمعه يارا من أمها كل يومين أو ثلاثة ، وحوار قصير بينهما تحكى فيه يارا بكلمات قليلة عن أحوال دراستها .. ثم تنصرف الأم التى قالت

- أخوكى وليد وميار جايين يزورونا ،
وقاعدين تحت ؟
- طيب أنا جايه معاكى أسلم عليهم

****

يمضى وليد ذلك الأسبوع بعيدا عن مضاجعة ميار امتثالا لتعليمات الدكتور عماد .. ولذلك ساد الهدوء حياتهما وبدأ وليد يعتاد وجود ميار الى جواره والتى لا تفتأ تتحدث معه فيما يحتاجه للوصول الى التفاهم التام بينهما ، وشعرت ميار خلال الثلاثة أيام الماضية بالسعادة من تجاوب وليد معها حتى أنها لم تخجل فى أن تبادر هى بإثارته وإمتاعه .. حيث مسدت جسده ودلكت أجزائه مستمتعة .. وقامت بتدليك قضيبه بيدها وغمرتها السعادة حين قذف ، رغم الإشمئزاز الذى بدا على وجهها من تلوث يدها بإحليله .. كذلك حاول وليد أثناء ذلك فى مداعبتها والعبث بمفاتن جسدها .. ولكى لا يشعرا بالملل بالجلوس طوال اليوم بداخل شقتهما ، ذهبا لزيارة الأهل .
بدا التفاهم واضحا بين وليد وميار أمام أمه وأبيه الذى قال

- أنا شايف دلوقتى أنكم عرسان صحيح
ابتسم وليد وتشاغل بالحديث الى أخته يارا
- سمعت إن كان فيه مظاهرة عندكم فى الكلية النهاردة
- أنا اتفرجت على المظاهرة .. مش عارفه هما عايزين ايه ؟
هكذا قالت ميار ليجيب اللواء نور الدين
- عايزين يحكموا البلد
ردت يارا
- بس دول مجرد شباب متحمس ، ورغم ان المظاهرة سلمية بس الأمن ضربهم وقبض عليهم وما ارتكبش حد منهم اعمال عنف
- هو احنا هنستنا لما يرتكبوا اعمال عنف .. دول شباب بيلعب بيهم قيادات الاخوان للتأثير على الرأى العام ، ودى كانت مظاهرة صغيرة .. عشان كده أنا ما بعتش قوة كبيرة وسيبت القوة الصغيرة اللى بره الكلية تتدخل أول ما حماسهم يوصل لمرحلة حرجة .. العيال اللى عاملين فيها زعماء بنعمل لهم ملفات وبنتابعهم

رن موبايل وليد الذى وجد الشيخ أحمد عبد القادر يتصل به ، للتوسط من أجل هشام حسن المقبوض عليه فى أمن الدولة .. قال وليد

- طيب لما أهله ناس غلابة أوى كده .. ايه اللى بيخليه يمشى فى المظاهرة .. ع العموم هاشوف

التفت وليد الى والده وقال

- فى واد من دار السلام ابوه سمكرى واهله ناس على قد حالهم اتقبض عليه ، والشيخ أحمد كان بـ

قاطعه الأب محتدا

- وانت مالك بحاجة زى دى .. الظابط ما يديش فرصة لحد من الناس دول انه يتصل بيه كده .. ومين يطلع الشيخ ده وجاب رقمك منين ؟

قالها الأب لأنه لم يكن يدرك أن ابنه وليد يشعر فى داخله ببعض الامتنان للشيخ أحمد عبد القادر الذى أنقذ مشكلته وأفاده بأمور لم يكن يعلمها .. ليس ذلك فقط وإنما أعجب بشخصيته التى غيرت مفهومه عن الشيوخ المعالجين .. لذا رد وليد

- أنا اديته كارت ليا يوم ما كان عندنا من تلات ايام .. وهو عشمان فـ...
قاطعه الأب بغضب وتعجب
- عشمان ؟ !!
تنهد ثم أردف بنبرة آمرة
- أنت ضابط .. والضابط لازم يكون بينه وبين عامة الناس فاصل ما يقدروش يتخطوه
تدخلت يارا وقالت
- هشام ده اللى كان بيخطب فى المظاهرة النهاردة
رد نور الدين مسرعا
- اتفضل يا حضرة الضابط .. ده كمان طلع الزعيم بتاعهم
تداركت يارا مسرعة
- بس هو شاب متحمس وما عملش اى تخريب
- احنا بنقرص ودن العيال اللى بتمشى وراهم .. انما اللى بيحركوهم دول ليهم وضع تانى
- يعنى هيتسجن ؟
هكذا سألت يارا ، ليجيب والدها

- البلد فيها قانون .. بس برضه فيها قانون طوارئ ، واحنا رغم كده ما بنضيعش مستقبل حد من العيال المتحمسين لأنهم مش من القيادات الكبيرة فيهم .. هنشدهم شوية ونسيبهم

****

كان الأسطى حسن السمكرى فخورا بابنه هشام الى أبعد الحدود ، يشعر بالزهو والفخر كلما قابله أحد وسأله

- والدكتور هشام عامل ايه ؟ .. ربنا يباركلك فيه

صار الأسطى حسن ابو الدكتور مصدر دهشة الجيران .. فكلما عنف أب ابنه على فشله فى الدراسة يصيح

- وانت ناقصك ايد ولا رجل .. ما هشام ابن حسن السمكرى اللى ابوه على قد حاله أهو هيبقى دكتور .. وانت ليل ونهار دروس ومش فايدة

كلما رأى حسن ابنه هشام يروح ويغدو من المسجد ، محافظا على الصلوات ملتزما .. يتمتم داعيا له

- ربنا يحرسك يا ابنى ويخليك زينة الشباب

ويتذكر الأسطى حسن حينها يوم ولد هشام وتلقفه الشيخ اسماعيل بالدعاء والآذان ، فيتمنى لو حدث ذلك مع باقى اخوته علهم صاروا مثله .. وعندما حصل هشام على مجموع كبير فى الثانوية العامة ، وألتحق بكلية الطب التى يسمع حسن أن مصاريفها كثيرة .. أخذ عهدا على نفسه أن يعمل ليل نهار حتى يدفع ما يحتاجه هشام ليصبح طبيبا .. ولما وجد المال الذى يرزقه الله به لم يكن يكفى مصاريف دراسة هشام ونفقات البيت .. أقلع عن التدخين ليوفر ثمن السجائر من أجل هشام .. واستيقظ مبكرا ذات صباح واستقل المترو الى حلوان ليقف فى طابور طويل بداخل بنك التنمية للحرفيين ، ليطلب قرضا بضمان ورشته ، والذى لم يتجاوز سوى ثلاثة آلاف من الجنيهات حرص على الحفاظ عليها من أجل هشام .. لا تمتد يده الى هذه النقود تحت طيات ملابسه فى الدولاب

المتهالك الكالح ، إلا من أجل اعطاء هشام ما يحتاجه لشراء الكتب وما يلزمه .. وتحمل جاهدا سداد القرض بفائدة كبيرة من دخل ورشته .. كلما عاد منهكا من العمل ورأى هشام جالسا على كرسيه أمام المنضدة يستذكر دروسه والبالطو الأبيض المعلق على الحائط والسماعة على الترابيزة ، ذاب تعبه على الفور وهو يربت على كتفه ويدعوا له .. ولكن الأسطى حسن فى الآونة الأخيرة بدأ يراوده بعض القلق والخوف على هشام .. فكثيرا ما يراه باستمرار مع المهندس وائل وزملائه ، والملصقات التى غطت حوائط حجرته (الاسلام هو الحل) وصور للمسجد الأقصى وغيرها .. دخل عليه أبوه ذات ليلة وقال

- ربنا يحميك يا ابنى وينجح مقاصدك .. بس انا شايفك كده بقالك فترة ماشى مع الجماعة اللى بيقولوا عليهم بتوع سياسة .. خليك يا بنى فى كليتك والمسجد والبيت مالكش دعوى بيهم أنا خايف عليك

ابتسم هشام بحنو وقال بنبرة مطمئنة

- ما تخافش يا آبا .. كلها السنة دى وابقى طبيب امتياز
- ربنا يعديها لك على خير

فى هذه الليلة وأثناء قيام حسن السمكرى مع صبيانه بغلق الورشة بعد يوم مضنى ، شعر بإنقباض فى صدره ، وعاد الى بيته لتستقبله زوجته متلهفة
- هشام اتأخر النهاردة واخواته بيتصلوا بيه تليفونه مقفول

رد حسن بجزع
- أنا صدرى النهاردة مقبوض وعينى بترف .. استر يا رب

هكذا قال حسن وهو يستدير بجسده القصير النحيف وشعره الأشعث ويديه السوداء من شحم السيارات ، خارجا من البيت يقول
- هاروح أسأل صاحبه كريم اشوفه أتأخر ليه ؟

ولم يكد الأسطى حسن يقترب من الباب ، حتى فزع على صوت طرقات عنيفة مدوية جعلت

قلبه يرتعد وفتح الباب ليداهمه ثلاثة رجال أشداء يتقدمهم شابا ثلاثينيا يصيح

- ابنك عامل فيها زعيم

لم يفهم حسن ما يحدث حوله والرجال يندفعون لتفتيش البيت .. ثم تجمعوا فى غرفة هشام يجمعون دون أن يكلف بالطبع أحدهم نفسه بالإجابة على تساؤلات حسن الذى أدرك أن الأمر خطير .. قاموا ببعثرة كافة محتويات الغرفة ، وتفحصوا الشرائط الدينية التى كان معظمها للأستاذ وجدى غنيم والأستاذ عمرو خالد .. لكنهم أخذوا الشرائط المكتوب عليها (إصحى يا نايم لسيد قطب) .. وكذلك كتاب الإسلام هو الحل لحسن البنا وكتب أخرى للغزالى ويوسف القرضاوى مع الكثير من الملصقات التى تحمل شعارات تندد باليهود ومنشورات مقاطعة المنتجات الصهيونية ، وفى طريق خروجهم دفع الضابط الشاب بالأسطى حسن من طريقه ليسقط أرضا ويتخطاه الضابط والمخبرون الثلاثة خارجون .. نهض حسن متمالكا نفسه وهرع خلفهم يسأل متضرعا يكاد يقبل أياديهم

- طب هشام ابنى فين ؟ .. قولوا لى بس هو فين ؟

ركبوا جميعا السيارة (البوكس) الزرقاء وانطلقوا ، فى الوقت الذى التف فيه الجيران على حسن يؤازرونه وفى طليعتهم الشيخ اسماعيل حسين وسعيد الفران وعم شكرى العجوز المكوجى و حسين النوبى السباك ، وبادر الشيخ اسماعيل بالإجابة على تساؤلات الأسطى حسن

- ده شغل أمن دولة

ووصل الشيخ أحمد عبد القادر الذى اتصل بالملازم اول وليد نور الدين ، علهم يهتدون الى طريق هشام .. وانطلقوا جميعا منتصف الليل الى مبنى أمن الدول

لو كان هشام ليس ابنا لسمكرى فى دار السلام .. لما وصل الأمر الى هذا الحد فالقبض على هشام ورفاقه لم يكن قانونيا .. معهم تصريح بالتظاهر السلمى .. وبالفعل لم يرتكب أحدهم ما يؤدى الى القبض عليهم .. كان سيتم تسريحه من مبنى أمن الدولة بعد بضعة لطمات وربما ركلة أو ركلتين ، لكنه ليس من ذوى النفوذ فعليه أن يدفع الثمن

.. لم يتطلب تفتيش بيته أى اجرائات قانونية .. هل يحتاج تفتيش بيت سمكرى فى دار السلام لإذن من النيابة مثلا ؟ .. هكذا يتم الأمر بسهولة ويسر .. أما هشام فهو الآن بين أيديهم لأول مرة فى حياته .

-١٠-

عاد خالد الى بيته شارد فى نور الهداية الذى أنار بصيرته بعد درس الشيخ أسامة العوضى فى مسجد الفتح .. لدرجة أنه لم يلحظ والده المهندس مجدى الجالس على الأريكة الى جوار والدته مدام سناء يشاهدان التليفزيون ، وأفاق من شروده على صوت والده

- أخبار شغلك ايه يا خالد ؟

توجه خالد ناحيتهما وجلس امامهما يجيب

- أهو زى المعتاد

- محتاج أى فلوس تزود بضاعة المحل ؟

هكذا سأل الأب ليجيب خالد

- لأ .. الدخل اللى بيجى كويس

- بس انت مش فاتح المحل غير نص او تلتين يوم

- هابقى هاشوف حد يشتغل بالليل

قالها خالد وهو يرنوا الى والدته ، واستنتج أنها فى حالة عصبية .. حيث كانت سناء من ذلك النوع الذى يجيد إخفاء مشاعره .. وذلك لكونها مديرة العلاقات العامة فى شركة استيراد وتصدير ، فبحكم عملها اكتسبت القدرة على ألا يبدو عليها ما يعتمل بسريرتها .. تقابلك بوجهها الذى لم يفارقه أثر جمال شهوانى قديم بابتسامة مرحة تبدو صافية رغم أنها من الممكن أن تكون فى قمة غضبها من أمر ما .. إلا أنك حين تعرفها عن قرب يمكنك قراءة بعض سريرتها ، لتدرك أنها ليست هادئة صافية كما تبدو حين تلحظ زمة خاطفة من شفتيها الملساء المطلية أو من حركة طفيفة لحاجبيها المزججين بعناية .. أما إذا افلت منها زمام نفسها فكل ما ستراه هزات متتابعة لساقها .. هكذا رآها خالد حين قالت

- تحب تتعشى إيه ؟

قالتها بنبرة هادئة لا تنم عن شعور الضيق الذى يقرأه خالد عليها .. وقال

- لأ .. مش جعان .. أنا هاطلع أنام

* * *

صعد خالد الى غرفته وأول ما فعله بعد تبديل ملابسه وارتداء بيجامة قرمزية من الحرير الناعم ، أن تمدد على السرير ممسكا (الوكمان) الصغير ماركة سونى ، ودس بالسماعات (الإستريو) فى أذنيه وقام بتشغيل شريط الدرس الذى سمعه اليوم بعد المغرب .. أصغى لكل كلمة باهتمام بالغ .. وكان للمؤثرات الصوتية للسماعات الصغيرة الاستريو أثرا كبيرا فى ازدياد تأثير الآيات التى يرتلها الشيخ بصوته العذب الخاشع .. وبعدما سمع خالد الحديث الشريف (عينان لا تمسهما النار أبدا .. عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله) .. هنا وجد خالد عينيه تدمع .. وتقطرت الدموع والشيخ يتسائل .. يا من أنت بعيد عن الله إذا جائك ملك الموت يقبض روحك ، ماذا تقول له .. هل تكون ممن قال الله فيهم (

يوم يأتيهم العذاب فيقول اللذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) ، ولكن هيهات (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .. هنا تخيل خالد نفسه فى مشهد الحشر وتسائل هل يكون من أصحاب الجنة أم من أصحاب النار ؟ .. لأول مرة يشعر خالد وهو فى غيابات النوم أنه ليس خاويا بل صار له هدف .. وراح فى النوم بينما صوت الشيخ يصدح فى أذنه.

*****

فى هذا الوقت كانت سناء تلتصق بمجدى الذى قال

- ابننا خالد مش عاجبنى .. ما كانش كده وهو صغير .. حاسس انه بقى ماعندوش طموح بعد ما خلص الكلية

ابتسمت سناء وهى تشعل سيجارة ، ووجهت نظرة خبيثة الى زوجها ، وكأنها تريد أن تخبره بتلك النظرة ألا يتشاغل بالحديث عن خالد

ليضيع الليل ، فقد مضت فترة ولم يعطيها حقها فى الفراش ، وقالت

- أى شاب فى سن خالد بيلاقى حياة سهلة من غير ما يتعب بيكون كده

تنهدت وهى تنفث دخان سيجارتها بعصبية واضحة عكس عادتها وقالت بنبرة آمرة

- عاوزاك يا مجدى

قالتها وهى تتجه بخطوات مسرعة الى غرفة نومها .. بينما قام مجدى وصنع لنفسه كأسا وجلس يدخن وهو يرتشف منها ، فهو قد مل من تلك الحكاية .

وبدأت الحكاية منذ سنوات مجدى وسناء الأولى فى الزواج ينهلان من المتعة على الدوام .. يظل كل منهما فى عمله نهارا يتشوق الآخر ، حتى يجمعهما الفراش مساءا ، فيطفئان نار الشوق بالمتعة العارمة واللذة الفائقة .. لا يتحرجان فى مشاهدة القنوات الاباحية معا ويتفنن كل منهما فى الإتيان بالجديد للآخر .. التحما الجسدان عاريان على كافة الأوضاع والأشكال حتى مع قدوم خالد لم تهدأ جذوة النار المشتعلة بداخلهما ، ومرت السنوات وفجأة بلا مقدمات يعجز مجدى

الذى لجأ الى ما يسعفه من منشطات ولم تكن النتيجة على مايرام بالكاد يؤدى واجبه تجاه زوجته سناء .. والسبب فى ذلك أن عجزه لم يكن عضويا بل كان نفسيا .. وجد نفسه زاهدا فى الجنس فعلى ما يبدو أن كثرة وقوة ممارساته مع زوجته سناء جعلت طاقته تنفذ عندما تجاوز الخامسة والخمسين من العمر ، فى الوقت الذى لاتزال هى راغبة وإن لم يكن على نفس القدر كما الأيام الخوالى ..

((منذ عامين)) خرجت سناء من الحمام ترتدى الروب الحريرى الأحمر على لحمها البض الخمرى ، واتجهت الى مجدى وفتحت الروب ليرى صدرها وجسدها من الأمام عاريا يناديه .. جذبته الى السرير وهى فى قمة الرغبة فقد مرت فترة دون أن تنعم به بين فخذيها .. وبعد ما اعتادا عليه من التمهيد والمداعبات المتبادله ، فشل مجدى فى اختراقها ولما وجد الحزن يكسو عينيها بعدما بتر شهوتها .. أكمل هو مداعبة ما بين فخذيها بيده حتى قضت وطرها .. اعتراها بعض الرضا مؤقتا حتى يعود زوجها الذى

تعرفه .. ساندته فى المرات التالية بحث اثارته بامتصاص عنقوده .. يفلح نادرا ويفشل كثيرا ووجدت نفسها تستسلم لطريقته .. والحق أن مجدى لم يكن يتوانى عن اشباع زوجته بطريقة بديلة حيث يدلك جسدها برقة ونعومة ويتحسسها فيما يؤجج شهوتها .. ويهوى بلسانه عبثا وقضما بين فخذيها ، دافعا أصبعيه بداخلها ، حتى تنتشى ويخبو جسدها ويسترخى وسط تأوهات اللذة التى تصرخ سناء بها ، مما جعل مجدى يتأكد من جدوى طريقته البديلة ومضى عامان على ذلك .

لكن سناء لا تعرف ماذا حدث لها فى الآونة الأخيرة .. لماذا لم تعد ترضى بذلك ولماذا تأصل لديها احساسا بأنها تمارس مع زوجها الجنس المنقوص .. تسائلت بعد نوبة حب بنفس الطريقة لماذا رفض أن تفعل له مثلما يفعل معها لعله يستمتع ، لكنها أدركت أنه لا يريد .. إذن هل زهد فيها .. هل لم تعد تثيره .. تأملت جسدها عاريا ذات مرة أمام المرآة .. صحيح أنه ترهل بعض الشئ لكنها لا تزال كالوردة يظل عطرها فيها حتى لو بدأت تزبل .. لإنها تتدرك أنه ليس

عاجزا عضويا بل نفسيا ، وتخشى ما تظنه ، وحين تفكر تدرك أنه ليس ظن وإنما حقيقة راسخة .. لم تعد تستمتع بهذه الطريقة التى ينتهجها مجدى معها .. فقط هى تقذف بها عبئا يخفف من احتقان جسدها .. لكن ما الفرق بين ذلك وبين عبثها بنفسها حين كانت بنتا مراهقة ؟ .. لا ترى الآن فرقا .. جنس من طرف واحد .. كل هذه التساؤلات لأنها تحاول أن تهرب من الحقيقة التى تتعمد نسيانها طوال ما يقترب من سبعة وعشرون عاما هى عمر خالد .

دخل مجدى الى غرفة النوم ليجد سناء تجلس عارية على السرير تضم ساقيها بزراعيها الى صدرها ممعنة فى مشاهدة قناة اباحية والتأوهات تغرق الغرفة .. أطرق مجدى برأسه وأربد وجهه .. لم يكن ذلك لأن زوجته تشاهد فيلما اباحيا ، فذلك بالنسبة لهما عادى ، ولكن للطريقة التى تنظر بها اليه .. إنها تريد إشعاره بعجزه .. صنع كأسين وناولها واحدا .. أغلق التليفزيون وخلع ملابسه .. جرعت هى الكأس جرعة واحدة وناولته له فارغا .. بدأ كما المعتاد فى

تدليك جسدها .. أمعنت هى النظر الى وجهه الممتعض وكأنه يؤدى عملا على مضض .. كان قد وصل بفمه يقضم عانتها فضمت فخذيها وقالت بعصبية

- خلاص يا مجدى

قالتها وهى تنهض لإرتداء الروب الحريرى الأبيض ولما سمعته يسأل

- حاسس إنك بقالك فترة متغيرة

اندفعت سناء وكأنها كانت تنتظر أية كلمة منه لتسكب ما لديها وصاحت بغضب

- أنا زهقت .. انت لازم تفهم ان الجنس مشاركة بين اتنين .. أنا مش بالومك على حاجة مالكش يد فيها .. انا بالومك لانك ما سعتش تتعالج وأنا متأكدة ان عجزك نفسى .. بدليل انك ما كملتش العلاج رغم انك بدأت تتحسن .. انت عايز تكون كده

تنهد مجدى وقال بصوت حاول أن يكون هادئا

- انت عارفه شغلى قد ايه واخد كل وقتى .. وأنا بحاول أعوضك

قاطعته سناء محتدة باستنكار

- تعوضنى ؟! .. أنت بتفكرنى بأيام المراهقة بتاعتى .. إن كان ده تعويضك ليا مش عايزاه .. بسيطة أوى أنا أقدر أعوض نفسى بنفسى

أشعلت سيجارة بيد مرتعشة تنفث الدخان بعصبية ، ويقول مجدى

- انت عارفة أنا قد ايه بحبك ؟

صاحت زوجته بتحدى

- انت ما بتحبش غير نفسك .. تقدر تقول لى كل الفلوس اللى انت بتعملها دى لمين .. ده لا انا ولا خالد نعرف عنها حاجة .. انت انسان انانى

هنا شعر مجدى بأنه يخضع لهجوم عنيف من زوجته .. وشعر بمدى اقتناعها التام بما تقوله والذى يبدو أنه ليس وليد لحظة غضب .. وكان لابد أن يدافع عن نفسه أمامها فعلا صوته الأجش وصاح

- بس بس .. انا اللى فيا كل حاجة وحشة ، وانتى ياهانم نموذج المرأة العملية .. انتى عمرك ما عرفتى الحب اللى بتتكلمى عنه .. انتى حسبتيها صح من سبعة عشرين سنة يوم ما اتقدمت لك ..

حسبتيها بالورقة والقلم بعد ما اطلقتى من جوزك الأولانى اللى ما كانش قادر يعيشك فى المستوى اللى انتى عايزاه

اقتربت سناء منه بخطوات بطيئة وعلى وجهها ابتسامة شاحبة وقالت
- ياااااه .. ده اللى أنا كنت مستنياه منك .. حيث كده تعالى نحسبها من الأول .. انت مش رفضتك بنات كتير عشان العقم الوراثى اللى فى عيلتك .. واللى انت اكتشفت انك ما نجتش منه من صغرك .. ويوم ما عرفت وأنا فى شهور العدة انى حامل رفضت ان انزل الجنين .. وألحيت عليا ان خالد يتكتب باسمك

رد مجدى متلعثما
- انتى عارفة انى ما حسيتش ناحية خالد غير انه ابنى
- أنا عرفت بعد أول خمس سنين من جوازنا ليه ربنا خلاك عقيم .. لانك ما ينفعش تكون أب (قالتها بصيحة كالرعد).. أنا وخالد

عندك ديكور اجتماعى .. انما شغلك وجمع الفلوس هو ده هدفك فى الحياة

صمتت تشعل سيجارة جديدة ، بينما مجدى مطرق الرأس ورآها تقترب بوجهها من وجهه وتتسع ابتسامتها الشاحبة لتواصل بصوت هادئ

- يا حبيبى احنا فاهمين بعض من أول يوم عرفنا بعض فيه .. بس بنمثل على بعض .. أنا وانت طول خمسة وعشرين سنة بنلهى بعض بالجنس عشان ما حدش فينا يشوف التانى على حقيقته ، ولما مابقاش زى الأول فى آخر سنتين ، بدأ كل واحد يشوف التانى

بالفعل لم يكن الجنس العارم الذى يجمع بين مجدى وسناء سوى وسيلة لجعل الرغبة والشهوة تغطى على حقيقة كل منهما بالنسبة للآخر .. ولما انقشع ضباب الشهوة واتحضت الرؤيا التى يريد كل منهما غض البصر عنها .. فمجدى الانانى الذى لا يهمه سوى جمع المال الذى لا تعلم عنه زوجته سناء شيئا .. لم يكن يريد سوى زوجة تقبل رجلا لا ينجب من عائلة ينجب فيها

واحدا من عشرة .. وسعد كثيرا بعدما تمكن من اقناعها بعدم إجهاض حملها الذى أخفته عن زوجها الأول الذى سافر الى الخليج ، لأنها لم تكن تريد شيئا يربطها بزواجها الأول .. ووافقت على أن يكون خالد ابنا مزيفا لمجدى الثرى الذى سيضمن له حياة رغدة ، لكن تأنيب الضمير ظل يوخزها ويؤرق لياليها كلما رأت خالد يكبر أمام عينها .. وكانت وسيلتها الوحيدة للهروب من ذلك هو اخفائه تحت غطاء الشهوة المستعرة بينها وبين مجدى .. لكن الآن تغيرت الأمور .. مالت تهمس لزوجها

- أوكيه .. عايز ننسى كل اللى قلناه ونرجع نمارس حياتنا مافيش مشكلة عندى .. عندك رأى تانى يا ريت أسمعه من فضلك

نهض مجدى وارتدى ملابسه الأنيقة وقال وهو يغادر

- أنا رايح شقتى اللى فى الزمالك لو احتاجتى حاجة اتصلى بيا

ضحكت سناء وقالت بدهشة مصطنعة ساخرة

- إيه ده ؟ .. انت عندك شقة فى الزمالك ؟

تذكر مجدى أنه لم يخبرها بأنه يملك شقة فى الزمالك ، فتنهد وغادر دون أن يرد .

****

حيا خالد سماح حين دخل المحل ، وأول ما فعله أنه توضأ وصلى الظهر وسط دهشة سماح التى حاولت الثرثرة بعد ذلك عن الدين والصلاة ، إلا أن خالد كان مشغولا عنها بمتابعة المواقع الإسلامية أثناء سماعه للقرآن الكريم بصوت الشيخ مشارى راشد ومحمد جبريل .. الشئ الذى كان يضايقه هو السجائر ، يرى العلبة على المكتب أمامه وكأنها فاتنة تغويه بعدما عزم على الإقلاع عن التدخين .. كان يشعر بدوخة وإحساس بالضيق ، فلم يعتد أن يظل تلك الساعات منذ الاستيقاظ بلا سيجارة .. دس العلبة فى الدرج بعدما فكر فى إلقائها بعيدا لكنه تراجع .. صلى العصر وعاد يتابع موضوعا شيقا عن قيمة العمل فى الاسلام ، قرأ الكثير وقام بتحميل دروس دينية لمشايخ عديدة .. وحان وقت التطبيق العملى .. أمسك بورقة كبيرة وكتب عليها بالقلم (الماركر) : مطلوب بائع للمحل

فترة مسائية .. لم يمضى يومان حتى عمل بالمحل الأستاذ بكر ذلك الرجل الأربعينى الوقور الذى يعمل بائعا فى المحلات منذ خمسة عشر عاما واستقر فى أحد المحلات بجراند مول المعادى نهارا ، ويعمل مساءا بمحل آخر ، لكنه تركه وعمل لدى خالد فى محل خوليو لتوفير ما يدفعه فى المواصلات .. رأى خالد فى الأستاذ بكر نموذجا يجسد القناعة والرضا ، فالرجل يعول زوجة وطفلين ويعمل اثنى عشر ساعة يوميا ، ومع ذلك لا تفارق وجهه النحيف المثلث علامات الرضا والقناعة .. بالفعل تضاعفت أرباح المحل فى اسبوع واحد ، ليس لأن المحل صار يفتح فى العاشرة صباحا ويغلق فى الحادية عشر مساءا بانتظام ، ولكن لأن الأستاذ بكر (بياع شاطر) .. يمكنه اقناع الزبون بأى سلعة يريد بيعها ، وعكف على عمل الطلبيات واعادة تنسيق المحل .. كان رجلا مجتهدا بحق .. دوما يطلب منه خالد أن يستريح قليلا فهو إما مشغول مع الزبائن أو يعد طلبية أو يرتب الأرفف ..
حتى سماح تعلمت منه فى اسبوع واحد الكثير فى فنون البيع والتسويق .. لم يدع الأستاذ بكر

سماح تشعر في الساعتين التى تجمعهما قبل مغادرتها للمحل أنها ثرثارة وأحاديثها مملة ، بل كان يتجاوب معها فى أى موضوع تتحدث فيه ، وتشعر سماح بعدها أنها تعلمت منه كثيرا .. جعل ذلك خالد يدرك حقا أن (القناعة كنز لا يفنى) .. وسعادة الاستاذ بكر فى حياته هو هدفه الذى يسعى الى تحقيقه ، ألا وهو تربية طفليه ورعاية زوجته ، وطالما ينجح فى ذلك بالمال القليل الذى يكسبه من عمله نصف يوم كامل ولا يحظى سوى بيوم الجمعة أجازة ، لا يهمه أى شئ آخر فى الحياة .. ولكن الهدف الذى وضعه خالد لنفسه وهو الله ، لم يعد متحمسا له بعد أسبوع .. صحيح أنه يصلى الصلوات الخمس غالبا فى المحل أو البيت وقليلا فى المسجد ، يستمع ويقرأ القرآن إلا أن حماسه يفتر وعزيمته تخور مع الوقت .. لا يدرى هو لماذا ؟ .. هل لأنه اعتاد على الأمر ففقد حلاوته التى شعر بها فى البداية .. كان جالسا يستمع للدرس بعد صلاة المغرب فى مسجد الفتح ، ووجد الآيات و الأحاديث لم تعد بنفس التأثير على قلبه .. كل ذلك فى أسبوع واحد ، ولكى تستشعر ما مر به

خالد ، عد بذاكرتك للوراء حين أشترى لك والدك (أتارى) أو (بلاى ستيشن) أو عرفت طريق (الجيمز) لتجد نفسك قابعا أمامه ليل نهار ثم نهار بلا ليل ثم نصف نهار حتى تبدأ الشعور بالملل .. مع الفرق فخالد لم يصل الى مرحلة الملل ، لأنه وجد شيئا لم يدرى كنهه من قبل ، ظل مواظبا على الصلاة ولكنه استبدل قراءة القرآن بالإستماع فقط .. لم يعد يحضر الدروس فى مسجد الفتح ، لكنه استبدل ذلك بالدروس التى يقوم بتحميلها من على الانترنت وشراء الشرائط الدينية ، ومر أسبوع ثانى ووجد خالد نفسه تفتر أكثر .. نسى فى الصباح صلاة الصبح فجمع بينها وبين الظهر بعدما وصل للمحل .. تكاسل عن صلاة العصر وصلاها قبيل المغرب ونام دون أن يصلى العشاء .. لم تعد به رغبة لسماع الشرائط الدينية .. وفى أحد الأيام بعد ثلاثة أسابيع من صلاته الأولى فى مسجد الفتح ، قال لسماح

- معلش يا سماح بعد اذنك عاوز علبة سجاير

سعدت سماح كثيرا بهذا الطلب واسرعت على الفور تشترى السجائر ، فخالد الذى تعرفه

سيعود ولسوف تستعيد اللذة المحرمة معه .. فى الوقت الذى كان خالد يفتح الإميل لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع يتصفح الرسائل وفى يده السيجارة وقبل أن يهم لإشعالها ، لمح اسمها (فاطمة) .. ووجد رسالة منها بتاريخ اليوم التالى ليوم اللقاء الموعود تقول (انتظرتك يا ياسمين حسب الموعد .. عل المانع يكون خيرا) .. ضحك خالد وترك السيجارة من يده وانشغلت أصابعه فى كتابة رسالة الى فاطمة بدأها بـ (اسمى خالد وعمرى ٢٧ سنة و..........) .. كتب اعتذارا مستفيضا فى البداية ثم شرع يحكى كل ما حدث له منذ ذهب الى مسجد الفتح ورآها ، وكيف كانت سببا لهدايته ، وحكى لها كيف فترت عزيمته فى الآونة الأخيرة لكنه عازم على ألا يعود كما كان ، على الأقل سيواظب على الصلاة .. خرجت رسالته كمذكرات شخصية لكنها كانت مؤثرة لأنه كتبها بصدق .

****

جماعة من حلوان جائت الى دار السلام خارجة فى سبيل الله الثلاثة أيام الشهرية والتى دائما ما تكون أيام الجمعة والسبت والأحد ، وبالطبع أحسن الشيخ اسماعيل حسين أمير جماعة التبليغ والدعوة بمنطقة دار السلام حسن استقبالهم فى مسجد النصر مقر الجماعة بالمنطقة .. يرشدهم الى من يحب زيارات الاخوة من الجماعة له من أهالى المنطقة بعد العصر ، ويسير بهم فى الجولة بعد المغرب لدعوة الناس الى الهداية .. ولم يكن ذلك فحسب بل كان عشاء الجماعة المكونة من خمسة عشر رجلا خلال تلك الأيام الثلاثة يأتى من بيت الشيخ اسماعيل : صوانى الباشميل وصوانى البطاطس والطبيخ والأرز ، ولم يكن الحال يسمح سوى بربع دجاجة لكل رجل .. يدور الشيخ اسماعيل بوجهه الصبوح يداعب الجميع بدعاباته المرحة التى لا تخلو من الرصانة .. يوزع الشيخ اسماعيل أفراد الجماعة بعد العصر كل اثنين أو ثلاثة ، دائما ما يحظى عم شكرى المكوجى بزيارات الإخوة .. ما إن يرى عم شكرى وهو منهمك بزراعه اليسرى فى كى قميص منشى اثنين من ذوى اللحية

الطويلة والعمامة المتدلية أطرافها خلف الرأس والجلابيب القصيرة ، حتى يدرك أنهم جائوا لزيارته ، يهلل قائلا

- يا أهلا وسهلا بالناس الطيبين .. اتفضلوا اتفضلوا

يسرع عم شكرى الذى يناهز عمره السبعين ويصنع الشاى بركن من أركان الدكان العتيق كصاحبه ، ويجلس ليستمع الى كلام الدين من الاخوة كلما سمع آيه قال (صدق الله العظيم) ، وكلما سمع منهم حديث قال (صلى الله عليه وسلم) .. يصغى باهتمام لأنه يشعر منذ شهر بقرب الختام .. لذا واظب على الصلاة فى الآونة الأخيرة ، وكعادته إذا سنحت له الفرصة للكلام .. يقول نفس الكلام

- أنا خلاص حاسس انى هاموت .. اتجوزت زمان وما حصلش نصيب عشان ما باخلفش .. لفيت على دكاترة ياما وأدينى أهو ماليش غير أخت بتطل عليا كل فين وفين .. حتى اصحابى ماتوا وسابونى فى الدنيا لوحدى .. باروح التأمين الصحى بيدونى حقن الروماتويد اللى أكل ايديا ومش عارف

أشتغل .. الناس مابقتش تجيب هدومها
أكويها زى الأول عشان بتروح لهم تانى يوم
.. ما بقتش قادر ع الشغل وكل ما جيب
صبى واعلمه يسيبنى ويمشى .. الناس
دلوقتى ما بقتش تحب بعضها زى زمان ..
والنبى ادعوا لى .. انتو ناس بركة .. ادعوا
ربنا يغفر لى ويرحمنى .. انا عشت طول
عمرى غلبان وفى حالى

انطلقت دعوات الإخوة لعم شكرى و غادر بصحبتهم لصلاة المغرب .. وفى هذه الليلة شعر عم شكرى بالتعب وجلس يستريح وسرى فى جسده البرد .. أغلق باب الدكان حتى نصفه ، وعاد يجلس ..

فى الصباح حضر سعيد الفران وقبل أن يفتح الفرن الملاصق لدكان شيكو كلين ، رأى الباب نصف المفتوح ، ولاحظ الإضائة التى يبدو أنها مضائة منذ ليلة الأمس .. رفع الباب ليجد عم شكرى جالسا على الكرسى ورأسه متدليه على صدره وقد فارق الحياة .. ردد سعيد الفران

- إنا لله وإنا اليه راجعون

تعاون أهل الخير على التكفل بنفقات دفن عم شكرى ، الذى سار فى جنازته أقل من عشرة رجال ، وكان فى صدارة المشيعين الشيخ اسماعيل حسين والذى حمل جثة عم شكرى الضئيلة على يديه ونزل به القبر .. أرقده على جنبه تجاه القبله ، وكشف الكفن عن وجهه ويديه وساقيه .. دعا له كثيرا ، وأهالوا التراب عليه .. ولم يكن عم شكرى لديه من يقيم له سرادق عزاء .

*   *   *

بالطبع بعد العصر حظى الأسطى حسن بزيارة من اثنين من التبليغ والدعوة ومعهم الشيخ اسماعيل حسين .. ظلوا يواسونه ويشدون من أزره وهو يقول

- تلات أيام وأنا رايح جاى بين أمن الدولة والقسم .. مش عارف هشام جراله إيه ؟

قالها بصوت مهموم حزين ، ليسمع بعده الشيخ اسماعيل يقول

- المؤمن مصاب .. إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه .. اصبر يا اسطى حسن على البلاء ،

وطالما دى أول مرة لهشام .. كلها يوم
كمان أو الليلادى ممكن تلاقيه داخل عليك

انصرفوا وخلا الأسطى حسن بنفسه .. وللحق لم يكن الأسطى حسن وحيدا خلال تلك الأيام الثلاثة العصيبة ، فزيارت المهندس وائل وأتباعه من المنتمين للتيار الإسلامى لا تنقطع عنه ، على الرغم من تجهمه فى وجوههم إلا أنهم ظلوا يواسونه .. كان ذلك أشبه بمبدأ ثابت للتيار الإسلامى ، إذا تم القبض على أحدهم هرعوا يواسون أهله ويصبرونهم .. تسمع منهم حينها قصص عن زملاء خاضوا نفس التجربة وبعد يومين أو ثلاثة تم الإفراج عنهم .. لكن الأسطى حسن يشعر تجاههم بإتهام ضمنى فهم السبب فى ما وصل اليه هشام الآن .
ليس ذلك فحسب ، ولكن أيضا يتهم نفسه بالتقصير فى تربية هشام .. لم يفتح الورشة على مدار ثلاثة أيام وعكف على التذلل الى عساكر القسم وعساكر أمن الدولة عله يهتدى الى ابنه هشام ، فلا يجد سوى نهرهم له ودفعه بعيدا .. حتى حينما دفع لهم المال لم يصل لشئ .

فى الليل يجلس الأسطى حسن فى غرفته وحيدا يبكى كالأطفال .. يتسائل لماذا لم يستخدم سلطة الأب لمنع هشام من الإختلاط بهذه الجماعة من البداية .. يرى أنه أب فاشل ترك ابنه الكبير تتقاذفه أمواج التيار الاسلامى حتى صار له ما صار .. ثم يردد بينه وبين نفسه (بس هو يرجع بالسلامة) .. ويقسم على نفسه بأغلظ الأيمان ليمنعن هشام من السير فى هذا الطريق .. رأى زوجته تدخل عليه بصينية الطعام .. أسرع يمسح دموعه بظهر يديه حتى لا ترى ضعفه وقلة حيلته أمام العثور على ابنه الغائب .. وسمعها

- أنت على لحم بطنك من لقمة امبارح .. لازم تاكل ياحسن .. أنا قلبى حاسس إن هشام هيدخل علينا الليلادى

ينظر الأسطى حسن فى ساعته وينهض قائلا

- ماليش نفس .. أنا رايح أدور على هشام

*   *   *   *

لماذا هو بالذات ؟ .. هل لأن الغموض الذى يكسى الحكاية برمتها هو ما جعلها تفكر فيه ؟ .. أم أنها كانت سببا لهدايته كما يقول .. هكذا كانت فاطمة جالسة أمام الكمبيوتر تفكر وتتسائل بعدما قرأت رسالة خالد لها ثلاثة مرات .. وجدت الفضول يعتريها تجاهه ، وهل هى ساذجة الى الحد الذى يجعلها تنخدع فيه وتصدق أنه ياسمين .. أم أنها ليست بهذه السذاجة ، هى التى انساقت وراء الجدال معه راغبة وكأنها تكمل ما يعترى صدرها بشأن النقاب قى الاسلام .. وجدت كلمة النقاب يتردد صداها بداخلها ، ذلك القدر بالنسبة لها .. لكنها هى نفسها لو كان لها الخيرة فى أمرها : هل تخلع النقاب وتكتفى بالحجاب أم تختار النقاب الذى لم تعرف سواه طوال خمسة وعشرون عاما هى عمرها ؟ .. وجدت نفسها لا تملك إجابة .. وفجأة قفز الى ذهنها خاطر جعلها تبتسم ؟ .. هل رسالته هذه (اشتغالة جديدة) .. تنهدت متعجبة لماذا تشغل بالها به ؟ هل لأنها لم تحادث شابا من قبل ، حتى ولو كان اليكترونيا .. ربما فضولها تجاه هذا الغامض ، وربما أيضا روتين حياتها كمعيدة فى كلية الحاسب الآلى ..

باتت ساعات يومها على نفس المنوال .. تشرح الدروس للطلبة فى فصول العملى على الأجهزة ثم تعود الى بيتها وتظل فيه بين الكمبيوتر والقنوات الدينية ، قليلا ما تخرج .. تستيقظ لقيام الليل وصلاة الفجر وأذكار الصباح وتذهب للجامعة .. دائرة مغلقة وجدت نفسها فيها ، بعدما كانت تحلق فى سماء السعادة حين وافق أبوها الشيخ اسماعيل حسين على عملها فى الجامعة .. تبددت تلك السعادة وحل محلها الملل والضجر من روتين الحياة اليومى .. ثم أنها فى أية لحظة ممكن أن تنتقل من حياتها هذه الى حياة أخرى : إذا جائها صاحب دين يطلبها للزواج : فهذا هو شرط أبيها ، عليها إذن أن تتحول الى زوجة لشيخ من التبليغ والدعوة كالذى تقدم لها من قبل .. ستصير مجرد وعاء لإفراغ شهوته من جهة ، وخادمة له تقوم على شؤونه من جهة أخرى ، وأما لأطفال يسيرون على نفس الدرب التى سارت هى فيه .. يالها من حياة .. شعرت ببعض الحزن من كل هذه التساؤلات .. والسبب أنها دائما لا تجد اجابة .

دخل أبوها الشيخ اسماعيل عليها ليقطع حبل تساؤلاتها قائلا

- عاملة ايه يا فاطمة فى شغلك ؟
- الحمد لله يا بابا

جلس الأب على حافة السرير بجلبابه الأبيض ولحيته البيضاء الكثيفة ، وتبعته فاطمة تجلس الى جواره وسمعته يقول

- ايه أخبار زملائك من المعيدين ؟

لم تفهم فاطمة مغزى السؤال ، وأجابت

- من ناحية إيه ؟

ضحك الأب ضحكة مرحة رصينة وقال وهو ينظر لوجه ابنته بحنان

- انتى منقبة ملتزمة فى وسط فيه اختلاط بين الرجال والنساء ، ومش عايز ده يزعزع ايمانك وثباتك على الحق

لم يكن سبب السؤال هو ما قاله الشيخ اسماعيل .. بل كان يخفى فى صدره سببا آخر .. جعله احساسه بشخصية فاطمة المختلفة وتعليمها وعملها الجامعى المرموق أن يدرك أنها لا تصلح لمن يحادثونه بشأن التقدم اليها من حين لآخر من أتباعه فى الجماعة .. ورأى حلما لها

ذات يوم وشاب زميلا لها فى الجامعة يتقدم لها .. صحيح أنه لا يخرج فى سبيل الله لكنه يصلى ويحافظ على العبادات .. ليس شيخا يترك لحيته ويرتدى الجلباب الأبيض لكنه مسلم ، ووجد نفسه يدعوا لها بذلك.. لا يستطيع أن يصارحها بما يتمنى لها ، فتابع كلماته وقال

- فى شباب كتير من الجماعة كلمونى عليكى

صمت يرقب وجه ابنته الذى امتعض وأنفاسها التى تعالت .. كان الشيخ اسماعيل يتمتع بذكاء فطرى وله فهم عميق بالحياة ، لذا أطلق ضحكة عالية وقال

- انتى دلوقتى مهندسة كمبيوتر ومعيدة فى الجامعة ، ولازم اللى يتقدم لك يكون أهل ليكى

قالها وهو يربت على كتفها مبتسما وكأنه يطمأنها أنه لن يلقى بها فيما لا يليق بها .. أشرق وجهها بعلامات ونظرات امتنان وقالت

- ربنا يخليك ليا يا بابا

قالتها وهى تقبل يده .. ضحك عاليا وقبلها على جبينها وقال

- ما بادعيش لحد قد ما بادعيلك يا فاطمة

قالها وهو يربت على كتفها ثم نهض يتابع

- بكرة بإذن المولى أنا خارج تلات ايام مع الجماعة جنبنا هنا فى المعادى .. محتاجة حاجة قبل ما أخرج
- تروح وترجع بالسلامة .. وجعله الله فى ميزان حسناتك

هكذا ردت فاطمة قبل أن تتدارك مسرعة وأبوها يغادر من الحجرة

- هو أنتو هتخرجوا فين فى المعادى ؟ .. مش هتردوا زيارة الجماعة اللى كانت هنا من حلوان
- لأ فى اخوان دعونا للخروج فى مسجد الريان اللى فى شارع ٧٧

قالها الأب وغادر ، لتجد فاطمة التى كانت قررت قطع مراسلتها لخالد حيث لم تجد ما ترد به عليه .. ووجدت نفسها تعيد قراءة رسالته للمرة الرابعة ثم كتبت الرد

(سبب فتور عزيمتك هو أنك بعيد عن جماعة تؤازرك وتثبتك على الايمان .. والدى الشيخ اسماعيل حسين خارج غدا مع الجماعة فى مسجد الريان شارع ٧٧ .. إذهب هناك ستجد

العون .. (فاطمة)) .. وأرسلتها الى ايميل خالد
.

****

حينما توهم نفسك بواقع غير موجود ، وتمعن فى تصديقه .. تشعر بالوهم وقد صار حقيقة .. إلا أنك تفيق من وهمك بين الحين والآخر وتدرك الحقيقة كومضة خاطفة إذا وجدت ما يذكرك بها .. كان هذا حال شهد سامح التى أوهمت نفسها بأنها زوجة ملازم أول وليد نور الدين ، وأمعنت فى تصديق ذلك .. لكنها حين تقوم بأداء أدوار تمثيلية صغيرة فى بعض الأفلام بين الحين والآخر أو بعدما تنتهى من فقرتها الغنائية الراقصة فى الملهى الليلى وتصد محاولات الزبائن لإغرائها بالمال الى الفراش .. ترى الحقيقة كومضة خاطفة .. هى لا ترفض اغرائات الزبائن لأنها زوجة مصونة ، وإنما التزاما باتفاق بينها وبين وليد ، أن تكون عشيقة حصرية له .. لا تضاجع غيره ، وقبضت ثمن الاتفاق : شقة تمليك باسمها فى شارع ٩ بالمعادى بالاضافة الى ما يعطيه لها من مال ..

وهذه الورقة التى تجمع بينهما بزواج عرفى سرى ، ليس لها أية قيمة .. سرعان ما تتناسى الحقيقة وتعود للوهم : إنها زوجة ضابط وفنانة محترمة .. لكنها تدرك أنها عاهرة ، ألم يعرفها وليد وهى تمارس الجنس كمحترفة مع الزبائن مقابل المال .. ولما أغدقت عليه بفنون عاهرة فى الجنس ، وجد نفسه لا يقدر على فراقها .. كثيرا ما تسائلت هل يحبها ؟ أم يحب متعته ولذته معها ؟ ..

ذات ليلة داهمها الأرق ووجدت نفسها تتخيل أنها عارية وسط مجموعة من الذكور يتكالبون للنيل من جسدها ، لم يكن لها سوى أن تستغيث لكن ممن تتطلب الغوث ؟ .. لا يوجد غيره .. ظلت تصيح وتصيح تنادى

- وليد .. الحقنى يا وليد

وفجأة انقطع المشهد التخيلى .. يا الله .. صراع رهيب لدرجة أنها لا تريد أن تعرف النتيجة ، هل يهرع وليد وينقذها من براثن الذكور أم يتجاوزها ماضيا فى طريقه ؟ .. ليتها يوما ترى منه ما يجعلها تعرف النهاية دون خشية النتيجة .. حينما تنسى أنها محظيته الخاصة ، ويخفق

قلبها وهى بين زراعيه ، وملمس جسديهما العاريان يعطيها النشوة ، لا تجد شيئا يهمه سوى الجنس .. تشعر هى بمشاعر واحاسيس عاطفية ، بينما تجده منتصبا يبحث عن فتحتها .. تجد نفسها على الفور تطرح المشاعر والأحاسيس جانبا وتتقمص دورها .. تلتهم شفتيه تمتصهما وتعضعضهما ، وتداعب بلسانها لسانه ، وتناغيه قائله بدلال

- عاوزاك النهاردة تقطعنى

هكذا تنتقل شهد من عالم الى عالم فى لمح البصر .. وتندمج فى امتاع وليد بكل فنونها .. لا تترك موضعا فى جسده إلا وتكون قد لحسته ، ثم تعتصر قضيبه تدليكا وامتصاصا ، وحتى تلك الحركة التى تؤجج وليد وتهوى به فى بحور اللذة ، حين تلقى به على بطنه وتباعد بين اليتيه وتلحس ما بينها مداعبة بلسانها .. لا تتركه الا بعدما ترى الرضا فى عيونه .. تسمع منه كلمات الحب ولكن مع الأسف كلها فى وقت اللقاء تحت وطأة الغريزة الشهوانية .. ليته قال لها (بحبك) بعيدا عن لقاء الجسدين ولو لمرة واحدة .. كان يمكن لها لحظتها أن تكمل المشهد التخيلى لترى

وليد الذى يحبها يهرع لإنقاذها .. لكنها لم تجد منه ما يجعلها تكمل المشهد .. إذن علاقتها بوليد هو اتفاق سارى المفعول بين طرفين .. تأخذ هى ما يعطيها من مال الى جانب الشقة ، وفى المقابل تغوص هى به الى بحور اللذة .

لا تنسى شهد سامح ذلك المشهد طوال حياتها .. حين كانت طفلة لم يتجاوز عمرها الثامنة ، فى بيتها الفقير المدقع بصفط اللبن ، وابوها الفلاح الأجير يجلس على عتبة البيت يدخن المعسل وأمها تعد القوالح المشتعلة ، وتضعها على الجوزة كل يوم .. بينما هى منهمكة مع اخوتها فى تحميل روث البهائم (السباخ) من على أرضية البيت الترابية الى عربة حديدية صغيرة يجرها حمار الى الغيط .. وأثناء ذلك دخل الطبيب البيطرى الذى اعتادت أن تراه يختلى بامها فى الغرفة ويغلقون الباب ، وأبيها يجلس يدخن الجوزة على الأرض أمام الغرفة .. لم تكن تدرى ما معنى ذلك ؟ .. لكنها عرفت بعدما أختفى أبوها اسبوعا (ولا حس ولا خبر) .. وجاء رجال أقوياء أشداء وأخذوا أمها يضربوها .. عرفت بعدها أن أمها وعشيقها الطبيب

البيطرى قتلوا أبيها .. هى وأخوتها الثلاثة صاروا عارا فى البلد كلها ، حتى عند عمهم الذى يربيهم .. بمجرد أن بلغت السادسة عشر وظهرت مفاتن جسدها واضحة جلية للأعين .. حتى تلقفها على أبو سنة متعهد الأفراح ، صنع منها راقصة فى الأفراح الشعبية وعرفت طريق المال وهجرت أهلها وأخوتها ، لكن جسدها الفائر الممشوق المتناسق بريشة فنان .. ألقى بها سريعا من الأفراح الشعبية الى ملهى ليلى دخلت فيه الى عالم جديد .. تدرك أن لها صوتا جميلا يجعلها جديرة بأن تكون مطربة .. وإذا لم يكن الصوت هو الأساس لكى تصبح مطربة ، فما بال هذا الصدر المكتنز الذى تحمله ، وهذا الخصر النحيل والأرداف العريضة بتناسق مثير .. وفوق كل ذلك وجهها فاتنا مثيرا حتى دون أن تضع ماكياج .. وبعد المكياج يتحول وجهها الى مصدر فتنة حقيقى لأعتى الحافظين على فروجهم .. غمزة من عينيها أو رمشة دلال أو ايمائة مثيرة كفيلة لدفعك الى الإنتصاب .. وللحق فهى فوق كل ذلك فنانة .. فقط أمعن فى متابعة المشاهد القليلة التى ظهرت فيها فى

بعض الأفلام ستجدها ممثلة موهوبة تنتظر الفرصة .. لماذا دار كل ذلك فى خلد شهد سامح وهى ممددة الآن على السرير ، وقد أوشك النهار على البزوغ والنوم يجافيها .. السبب أن الفرصة جائتها .

فى هذه الليلة وبعد أداء فقرتها الغنائية الراقصة على مسرح الملهى الليلى .. ما كادت تدخل غرفتها حتى جائها الخبر

- شريف بك عايزك يا شهد

فرحت شهد فالمنتج السينمائى شريف عبد القادر ، طالما حضر الى الملهى وطلبها .. إذن هى مرشحة لدور فى فيلم سينمائى .. لكن فرحتها تبخرت ، لأنها أدركت أنه حتما دور صغير مشهدين أو ثلاثة .. ولكن كان العكس هو الصحيح ، فشريف عبد القادر منتج (صاحب مزاج) .. هو من أولائك المنتجين الغير معروفين للجمهور .. لأن أفلامه منخفضة التكاليف الانتاجية من تلك النوعية الموجهة للشباب .. بطولة جماعية للممثلين اللذين فى بداية طريقهم فى عالم السينما الى جانب وجوه

جديدة .. لا يكلفه أجورهم الصغيرة الكثير ، ويستأجر عددا قليلا من الكاميرات والاستديوات بعدما يتلقف مؤلف مغمور يكتب له سيناريو ، ومخرج حديث التخرج .. وبعد الفيلم يظل يثرثر فى وسائل الإعلام الفنية عن ضرورة اعطاء الفرصة للشباب الصاعد والوجوه الجديدة ، رغم ان هدفه لم يكن كذلك بالطبع .. هو اشبه بأخطبوط يعمل بعدة أزرع ، فهو من جهة لا يدفع الكثير فى انتاج الفيلم ، ويحظى بربح جيد (بارك الله فيما رزق) .. ولكن الأرباح الأكبر تأتى من الشهوات العارمة التى يغوص فيها مع من يختارهن لأداء الأدوار فى أفلامه .. فكل واحدة عليها أن تدفع ثمن النجومية التى سيعطيها لها حتى لو كانت نجومية محدودة .. والثمن هو طبعا الجنس .. يعكف شريف عبد القادر صاحب الخمس والأربعين عاما فى الآونة الأخيرة على الإعداد لإنتاج فيلم جديد .. ولما سمع أن شهد امتنعت عن ممارسة الجنس ، ويتردد أنها تزوجت عرفيا من ضابط شرطة ، أخذ على نفسه تحديا .. فهو لم يسبق له أن نسى امراة جمعه معها فراش واحد ، لدرجة أنه يتذكر

تفاصيل العلاقة بينه وبينها .. يتذكر جيدا من تتميز فى المص واللحس .. ومن تتميز فى الوضع الخلفى .. ومن تملك أفضل جسد ممشوق .. ومن تمللك أكبر صدر ومن صاحبة المؤخرة الأروع .. وكان يدرك أن شهد هى أجمل واحدة ضاجعها من قبل ، مشكلتها الوحيدة هى أنها مطربة وراقصة فى ملهى ليلى لا يعرفها أحد .. لا يستطيع المجازفة بها فى دور رئيسى .. على عكس الأخريات ممن يكون لديهن بعض أدوار فى أفلام أخرى يجعلهن معروفات نوعا ما فى الوسط الفنى ولدى القليل من الجمهور .. لكنه الآن قرر أن يضع شهد فى دور رئيسى وسط البطولة الجماعية لفيلمه الجديد .. والثمن هو أن يستمتع بها كيفما يشاء ووقتما يريد طوال الإعداد وتصوير الفيلم ، وبعد ذلك ترحل متى شائت .

* * *

- وشك ولا القمر يا شريف بك ؟

هكذا قالت شهد وهى تحيي شريف وتجلس أمامه على المنضدة فى أحد أركان صالة الملهى الليلى

، ضحك شريف عاليا ليهتز كرشه الكبير الذى لا يتناسب مع قامته القصيرة وقال

- أهلا بنجمتنا الجميلة .. انتى اللى غايبة عننا يا فنانة
- نجمة ايه بس ؟ ده أنا يدوبك كام مشهد
- ما انتى هتبقى نجمة فيلمى الجديد

قالها وهو يشبك يديه على المنضدة أمامه ، ينظر فى عينيها بخبث ودهاء ، ورأت هى شعره المصبوغ بطريقة فجه ، واشتمت رائحة الخمر من فمه وقالت بدهشة

- نجمة فيلمك الجديد !!

رد على الفور وهو ينفث دخان سيجارته بوجهه الممتلئ

- طبعا .. انتى فنانة موهوبة ولازم تاخدى فرصتك وتثبتى نفسك

صمت يتابع عينيها المحملقة وقال باسما

- أنا واثق انك هتكونى نجمة كبيرة مشهورة .. انتى عارفة ان افلامى كلها بطولة جماعية ، وانتى هتكونى بطلة فى الفيلم

رغم سعادة شهد بما تسمعه ، إلا أن وجهها تجهم فجأة ، فهى تعلم أن عليها أن تدفع المقابل الذى تدفعه له كل مرة على أدوارها الصغيرة ، ولكن الوضع مختلف فهى الآن زوجة لوليد نور الدين .. وقبل أن يترنح عقلها بين كونها زوجة أو عشيقة باتفاق .. أفاقت على صوت شريف وهو يمد يده لها يقول

- ده الاسكريبت بتاع الفيلم .. انتى هتلعبى دور ايمان .. اقرأى وردى عليا بكره .. تليفونى لسه معاكى ؟

أومأت شهد برأسها ايجابا ثم قالت

- هاقرا الاسكريبت واشوف رأى جوزى

قالتها بطريقة ساذجة ليفهم منها أنها الآن متزوجة ولا تقدر على دفع الثمن الذى يريده من جسدها ، ووجدته يضحك بخفوت ويقول

- ما تخليش حاجة تعطلك عن الشهرة والمجد والفلوس .. انا سمعت انك متجوزة ضابط عرفى (قال جملته الأخيرة وهو ينظر لها بنظرة وقحة) .. وايه المشكلة ؟ انتى موهوبة ولازم تسعى لانك تاخدى المكانة اللى تستحقيها

تنهدت شهد من هذه المكاشفة الواضحة لينهض هو بجسده السمين القصير وبدلته السوداء ، يعدل من وضع البنطلون بيديه مواصلا كلامه

- إذا عاجبك الدور بدل ما تتصلى بيا تعالى نتفق ع التفاصيل .. أنا هاكون موجود فى الشقة بكرة .. ما انتى عارفة العنوان ولا نسيتى انك جيتى هناك قبل كده

قالها بطريقة وقحة جعلت شهد تشعر بالإشمئزاز منه قبل أن يتركها وينصرف .

هذا ما جعل شهد لا تنام فى تلك الليلة وهى الآن ممدة على السرير تقرأ الدور لتتخذ القرار .

****

-١١-

يترنح عقل الدكتور عماد مراد بين الحقيقة والوهم .. والواقع والخيال .. تماما كما لو كان يجلس على أرجوحة تتهادى به صاعدة هابطة ويشعر بالدوار والغثيان والصداع يفتك برأسه .. بل يشعر بروحه تنسحب منه كلما إزدادت سرعة الأرجوحة تكاد تطيح به ، بينما هو

متشبث بها خشية السقوط .. لكن لماذا يخشى السقوط ؟ .. هل لأن حياته ثمينة الى هذا الحد ؟ .. حاول الإجابة على السؤال فلم يجد قيمة لحياته .. يعيش فى وحدة قاتلة .. مرت على ذهنه مشاهد حياته ، طفولته المرفهة ، شبابه الثائر عندما كان عضوا فى الحزب الاشتراكى يفور بالأفكار الثورية ضد النظام الحالى (وكان هذا هو الشئ الوحيد الذى يشعر عماد بأن له قيمة كلما استرجع شريط حياته) ، وكانت نقطة التحول بعدما تخرج وتزوج وأسس العيادة ، ماذا لو كان ينجب ، حتما لكان الآن رب أسرة سعيدا ومستقرا .. لماذا جعل الله حياته هكذا ؟ .. ولماذا حرمه من كل شئ ؟ .. أين هو الله ؟ (هكذا يسأل عماد) وماذا يستفيد من القائه فى الحياة وحيدا هكذا بلا ونيس .. فى هذه اللحظة يسمع صرير احتكاك حديد الأرجوحة الصدئ يملأ مسامعه ، يعلو الصوت بانتظام بطئ ممطوط كئيب قاتل .. يسعى عماد جاهدا لإيقاف تلك الأرجوحة لأنه سيتقيأ إذا لم تتوقف .. وفجأة توقفت الأرجوحة بل تلاشت نهائيا .. وصار ثابتا مستقرا لا يتأرجح والسبب يورجانة .. ياله

من هدف سامى عظيم .. يسبح بخياله حين يخلد اسم الدكتور عماد مراد فى تاريخ البشر على الكرة الأرضية ، بل سيتصدر اسمه هذا التاريخ .. الجن والانس يتحدون لإعمار الأرض .. ستتغير الحياة برمتها ، سيصبح بمقدور البشر الطيران فى السماء ، والغوص فى اعماق البحار ، فى ثوانى معدودات يجوبون الكرة الأرضية ، بل الأرض والسموات .. ياله من عالم ولا فى الخيال .. شعر عماد بزوال الصداع والغثيان ، وأحس بالهدوء المفعم بالأمل والطموح الخلاب .. يحس الآن بأن لحياته قيمة ، ويا لها من قيمة .. وفجأة تغير الحال ووجد جملة الشيخ أحمد عبد القادر يتردد صداها يملأ مسامعه

يورجانة دى ما لهاش وجود غير فى خيالك انت !!

شعر بوجل وخوف .. هز رأسه رافضا ، وظل يستعيد المشهد الذى جمعه بالشيخ أحمد ليقنعه بوجود يورجانة .. هى فعلا موجودة ، هكذا يؤكد عماد لنفسه .. الم يراها الشيخ أحمد معه ، وأخبرته عما كان يفكر فيه الشيخ أحمد .. نهض

من الفراش متثاقلا ، ضباب كثيف متكاتل يحجب عنه الرؤية ، لابد أنه بسبب امبولة النالوفين التى حقنها لنفسه لينام .. استند بيديه على الحائط حتى وصل الى جهاز اليوفى وقام بتشغيله .. تلا القسم السليمانى بتلعثم وسرعان ما ظهرت له يورجانة شبحا هلاميا يتلوى ، ثم تشكلت له على هيئة الفاتنة العارية .. تلعق شفتيها بلسانها فى تلذذ مثير .. ما إن رآها عماد حتى زال الوجل والخوف ، وحل بدلا منهما البهجة والمتعة .. تناسى عماد همومه وأحزانه واختلاجات صدره .. واستسلم لها تعبث به كيف شائت .. رقد لها على ظهره فوق السرير .. لم تكن حالته هذه الليلة تسمح له بأن يمعن فى إمتاع نظره من مفاتنها ، أغمض عينيه وأكتفى بشعوره بما تفعله .. يشعر الآن أنها تقبله وتلثم شفتاه ، ثم سحب شهيقا عميقا وهو يحس بلسانها يلعق حلمتيه .. احساس الغريزة اللذيذة ينهمر كشلال هادر يطيح بأى احساس آخر من طريقه .. ضم عماد فخذيه متأوها بخفوت متلذذا حين شعر بما تفعله يورجانة فيما بين فخذيه .. بعدها هوت على رأسه مطارق فولاذية أفقدته الوعى .

كانت هذه هى حياة الدكتور عماد مراد الليلية على مدار عام كامل .. غير ذلك العام الأخير الكثير فى حياة الدكتور عماد التى تجاوزت الأربعين .. وبعدما يستيقظ فى الثانية ظهرا .. تبدأ حياته النهارية المختلفة تماما عن حياته الليلية .. تراه شخص هادئ متزن بوجهه الأبيض المربع وتقاسيمه الجادة ونظارته الطبية الأنيقة .. يأخذ حماما ويقف أمام المرآة يصفف شعره الأسود القصير الفروق على الجنب ، وجسده النحيل الطويل ويرتدى قميصا يحكم غلق أكمامه بأزرار نحاسية ذهبية اللون .. والبنطلون المكوى بعناية .. تنظر حينها اليه وترى عينيه الواثقة خلف النظارة الطبية وهو جالس على الأريكة وسط الفوضى المتناثرة من حوله ، الملابس ملقاه مبعثرة هنا وهناك ، وقطع الأثاث متراصة بلا ترتيب ، تشعر أنك أمام واحد من العلماء اللذين وهبوا حياتهم لخدمة البشرية .. يضع عماد ساقا على الأخرى ويشد قامته فى جلسته ، ترى الجورب الأزرق ، فتتلفت باحثا عن الحذاء لتراه ملقى وراء الباب

المؤدى لغرفة الكشف .. يمسك عماد (بالريموت) .. ليستقر كعادته على قناة الجزيرة الإخبارية .. فهى نافذته الوحيدة مع بعض القنوات الإخبارية الأخرى للتعرف على العالم من حوله .. إذا صادف ووجدهم يعرضون برنامجا يتحدث عن النظام الحاكم فى مصر ، ولاسيما برنامج (مع هيكل) .. يحتسى عماد القهوة الدبل السادة التى صنعها لنفسه ويدخن وهو ممعن فى الاستماع للأستاذ محمد حسنين هيكل ، وعلى الفور يجرفه تيار الذكريات ليرى نفسه ذلك الشاب الناشط عضو الحزب الاشتراكى فى أواخر الثمانينات ، وهو يخضع لتحقيق فى أمن الدولة .. ونجح النظام فى الإطاحة بالاشتراكية أخيرا وحلت الرأسمالية .. يبتسم عماد حين تمر كلمة (الرأسمالية) على خاطره .. ثم تراه يضحك عاليا ويردد بينه بين نفسه (ياريتهم سمعوا كلامى .. أهى الرأسمالية بوظت البلد .. ناس معاها كل حاجة وناس مامعاش اى حاجة .. أنا قلت كده من عشرين سنة وما حدش صدقنى .. (يتنهد بعمق مع سحب نفس من السيجارة) .. لو كان فى حد دلوقتى

زى عبد الناصر كان زمان الثورة قامت) ..
يفيق عماد من تيار الذكريات على صوت باب الشقة الخارجى يفتح ويدرك أنها الممرضة وصلت فى الموعد .. ينظر الى ساعته فيجدها قد لدغت عقاربها الخامسة مساءا .. تمر ساعة وتبدأ أذناه فى التقاط حركات وهمهمات المرضى المتوافدين .. يقوم ببطء وينتعل حذائه ويفتح الباب ليدلف الى غرفة الكشف .. يرتدى البالطو الأبيض ويجلس على المكتب .. ليبدأ الدكتور عماد عمله كاشتشارى نساء وتوليد .. ماهر فى عمله بدليل سمعته فى المنطقة التى جعلت عيادته مكتظة .. وقبل أن يستقبل اولى الكشوفات ، سمع جرس الموبايل وتلقى الاتصال

- دكتور عماد
- مين معايا ؟
- أنا مدام شريفة اللى كنت عندك من كام يوم مع العروسة

آه .. أهلا وسهلا

- كنت عايزة أحجز كشف لانى مش عارفة فى حاجات بتحصلى غريبة وباحس ان جسمى فاير وعندى تنميل من تحت

- تقدرى تيجى فى اى وقت .. مواعيد العيادة من ستة لتناشر
- لأ أنا ما بحبش الزحمة .. عايزة أكون لوحدى
لم يقدر عماد على كتم ضحكته وقال
- وهو كذلك ممكن تيجى بكره الساعة واحدة الظهر
- ميرسى يا دكتور
أغلق عماد الخط مبتسما وهو يستعيد منظر شريفة يوم كانت جالسة أمامه ونظراتها الشبقة وكلماتها المثيرة ، ووجد نفسه يستشعر شيئا جديدا مختلف عن يورجانة .. فقطعا انسية من لحم ودم لا تقارن بجنِّية مهما كانت فاتنة ..
وبعدما ينتهى عمل عماد فى منتصف الليل ، أحيانا يواعد الشيخ أحمد عبد القادر وغالبا يدخل الى غرفته مباشرة لتبدأ حياته الليلية والتى عرفتوها .

****

عاش خالد ثلاثة أيام هى الأروع فى حياته على الأطلاق .. حين أخبر والدته أنه سيسافر الى

الغردقة مع بعض أصدقائه للإستجمام لمدة ثلاثة أيام ، وعلم منها أن أباه هو الآخر سافر فى رحلة عمل ولا يعرف متى سيعود .. كذلك عهد الى الأستاذ بكر وسماح القيام على المحل أثناء غيابه .. جمع فى حقيبة عددا من القمصان والبنطلونات والغيارات الداخلية ومنشفة ودس فيها بمبلغ من المال .. حمل الحقيبة على كتفه وأعتكف فى مسجد الريان فى المعادى مع جماعة التبليغ والدعوة الخارجة ثلاثة ايام رآها الأجمل بين أيام حياته الخاوية كلها .. أسرته شخصية الشيخ اسماعيل حسين أمير الجماعة وأعجب به لأبعد الحدود .. كلما ينظر فى وجهه يتذكر فاطمة التى يدين لها بهدايته الى طريق الحق .. تغير مفهومه عن الشيوخ أصحاب اللحى الطويلة والجلابيب القصيرة والعمامات التى تغطى الرؤوس .. لم يكونوا مثلما كان يراهم فى الأفلام والمسلسلات وأدرك سذاجتها فى تقديم هذه الشخصيات .. هم أناس مثلنا أنعم الله عليهم بالهداية والسير على الصراط المستقيم ، هكذا رآهم خالد .. تعلم الكثير من أمور الدين فى هذه الأيام الثلاثة .. خرج لزيارات الناس مع

الأخوة يكلمونهم فى الدين .. وسار فى الجولة بعد المغرب يدعون الناس فى الطرقات الى الذهاب للمسجد .. أصبح قلبه عامرا بالايمان .. حان الآن لحظة الفراق .. فراق هذه الحلاوة الايمانية ، فاليوم هو الثالث و الأخير .. وسيعود هو لحياته ويعودون هم من حيث أتوا .. كان يتمنى لو امتدت الايام وطال الزمن .. جلس بعد صلاة العشاء بقميصه الأبيض وبنطلونه الأزرق ، وشعر لحيته النابتة خفيفا .. وأمعن الى الحديث الختامى والذى تولاه الأمير اسماعيل بنفسه حيث وقف منتصبا بلحيته البيضاء الطويلة وجلبابه الأبيض القصير يظهر طرف السواك من جيبه على صدره ، والعمامة ذات الأطراف المتدلية خلف رأسه .. ارتسمت ابتسامة صافية على وجهه أمام الناس التى انتهت من صلاة العشاء .. وقال بصوت رخيم مفعم بمعانى دافئة
- يقول الله عز وجل (عبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما اريد فإن سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد)

سلب الصوت الرخيم للأمير اسماعيل لب السامعين وشخصت له الأبصار بتأثير الحديث القدسى البديع .. وظل يتحدث عن رحمة الخالق ونعمه على الانسان العاصى الجاحد .. كانت حديثه مهيبا ومؤثرا بحق فى نفوس السامعين .. وكان أكثرهم تأثرا بالطبع خالد الذى استمع بكل حواسه لكلمات الشيخ اسماعيل .. وتحت هذا التأثر الإيمانى وجد نفسه يستعيد آثامه ومعاصيه التى ارتكبها وعلى رأسها حتما الوزر الكبير والاثم العظيم : الزنا .. مشاهد سريعة متلاحقة يظهر فيها وهو يزنى بسماح ، دمعت عيناه وتمنى لو ركب آلة الزمن وعاد الى الماضى لم يكن ليرتكب تلك المعصية أبدا .. شرد ذهنه وهو يزيح خيالاته مع سماح جانبا وسمع الشيخ اسماعيل وهو يختتم حديثه المؤثر قائلا

- رحمة الله وسعت كل شئ .. يا أيها العاصى اعلم ان الله ينتظرك لتعود .. ليس هذا كلامى وإنما كلام الله .. هو الذى قال فى الحديث القدسى (شرع الشيخ اسماعيل يتغنى بصوت عذب رائع كترنيمة سلبت القلوب) .. عبدى اذكرك وتنسانى ، واسترك ولا تخشانى .. لو

أمرت الارض لأبتلعتك في بطنها ، او البحار لأغرقتك في معينها ، ولكن أوأخرك لأجل أجلته وإلى وقت أقته ، ولابد لك ولكل نفس من المرور على والوقوف بين يدى ، أعد عليك أعمالك وأذكرك بأفعالك ، حتى إذا أيقنت بالبوار وأدركت أنك من أهل النار ، أوليتك غفرانى ومنحتك رضوانى وقلت لك لا تحزن عبدى ، فقد غفرت لك الذنوب والأوزار ، ومن أجلك سميت نفسى العزيز الغفار .

لم يتمالك خالد نفسه وأجهش فى بكاء حار ..
ولما سمع الشيخ اسماعيل يقول
- من عنده استعداد للخروج فى سبيل الله ثلاثة ايام ، ولو ما عندوش وقت يبقو يومين ، ولو مش فاضى خالص ان شالله يوم واحد ..
هانستكتر على ربنا يوم واحد .. مين عنده استعداد للخروج يا مؤمنين ؟

مسح خالد دموعه وأسرع برفع يده

* * *

لم يكن المنتمين لجماعة التبليغ والدعوة يحثوك لإعفاء لحيتك أو إرتداء الجلباب القصير أو أى شئ من هذا القبيل .. فقط يحسنون معاملتك وكأنك جوهرة .. يتوددون إليك بإبتسامات صافية ويعطرون يديك برائحة المسك والعنبر (من زجاجات صغيرة ببلية دوارة) .. ويحدثونك دوما فى الصفات الستة لتتشبه بالصحابة .. لا تجد أمام كل هذا الحب والتآخى سوى أن تقلدهم وتحاكيهم .. حتى فى المظهر والشكل .. هذا ما حدث لخالد بعدما اتصل بوالدته يخبرها أنه لن يعود قبل ثلاثة ايام اخرى وطلب منها طمأنة والده ، وأطفأ الموبايل سريعا قبل أن تتمادى فى تساؤلاتها ودسه فى الحقيبة .. ليغادر بصحبة اثنين من الجماعة .. ركبوا معدية المعادى وعبروا النيل للجهة الأخرى حيث قرية طموه .. تبعد القرية ٢٥ كيلومترا عن مركز العاصمة وتتبع مركز أبو النمرس بالجيزة إداريا ، وتقع في أول الطريق إلى الصعيد، وهو ما جعلها بمثابة نقطة انطلاق الجماعة .. ترجلوا حتى وصلوا إلى مركز جماعة التبليغ والدعوة ..

والذى يتكون من ثلاثة مبان تحيطها مساحة واسعة من الأرض الفراغ، وقد تبرع بالأرض التي أقيم عليها البناء الشيخ عبد الفتاح من أهالي القرية ، والمكان أشبه بخلية نحل على مدار اليوم لاستقبال وتوزيع الخارجين فى سبيل الله ، ضم المبنى الأول مسجدا للرجال والنساء ومكتب يتم فيه جلسة المشورة وتداول الأمور حول الجماعة وسير العمل، إضافة إلى مطعم كبير يقدم الوجبات يوميا وبأسعار زهيدة ، فيما خصص المبنى الثاني لإقامة الأفواج الدعوية ، حيث يقيم الفوج في المكان ثلاثة أيام على الأكثر إلى أن يتم توزيعه ، وخلال هذه الفترة يتطلع الجميع للقيام بدورهم في "الخدمة" في المركز سواء لإعداد الوجبات أو حراسة المركز واستقبال الزوار أو التنظيف ، أما المبنى الثالث فيحتوي على عدة أداور، وبه عدة غرف للإقامة بجانب مكاتب لمسئولي الجماعة.

اندهش خالد بشدة من ذلك العدد الكبير من الرجال الذين يحملون حقائبهم وأمتعتهم تاركين خلفهم الأهل والأبناء لأجل الخروج في سبيل الله ، يأتي هؤلاء الرجال من مختلف المحافظات إلى

"طموه" ليتم توزيعهم فيما بعد على كل مساجد البلاد، فـ"الخروج" هو الركيزة الأساسية للدعوة لدى الجماعة، وعلى كل عضو أن يخرج ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوما في السنة.
تعرف خالد على نظام الخروج فى سبيل الله حيث تقسم الجماعة مصر إلى سبع مناطق، تضم كل منطقة مجموعة حلقات ، وكل حلقة تضم مجموعة مساجد ، ومن كل مسجد يخرج مجموعة أشخاص يتجمعون في النهاية بمركز الدعوة في "طموه"، والذي ينظر إليه كـ"ترانزيت" لتوزيع الدعاة إلى كل أنحاء الدولة، فهناك يتم اختيار أمير لكل تشكيل أو مجموعة، ثم يتم توزيع التشكيلات على مناطق غير المناطق التي يسكنون فيها، فتذهب تشكيلات القاهرة مثلا إلى الصعيد، وتذهب تشكيلات الصعيد إلى الوجه البحري، وفي كل مرة يتم توزيع التشكيلات بشكل مختلف وعلى مناطق مختلفة من القطر.
يتسائل أحدكم وأين أجهزة الأمن ؟ .. أجيب أن أجهزة الامن تعلم عنهم كل شئ .. لكنهم اناس مسالمون (بتوع قال الله وقال الرسول) .. إذا

كنت تملك عينا خبيرة يمكنك أن تلحظ ذلك المخبر المندس .. يحاول استدراج أحدهم للحديث فى السياسة وأحوال البلاد .. ولكن هيهات لا يجد أية تجاوب سوى قال الله وقال الرسول .

كان خالد يعتقد أن الثلاثة أيام السابقة التى قضاها فى مسجد الريان معتكفا ، هى أروع ثلاثة أيام فى حياته .. لكنه اكتشف أن هناك مزيدا من الروعة والجمال .. احساس بالطمأنينة يسرى اليه طوال الوقت لا ينقطع .. أمضى ثلاثة أيام يصلى الخمس صلوات فى جماعة ويقرأ جزءا من القرآن يوميا .. ويقوم الليل ويدعو متضرعا يطلب المغفرة .. كان لما اتجه ناحية (الكولدير) ليشرب تبسم من درجة التزام بعض الرجال بالسنة فى شرب الماء ، حيث يرى الرجل يجلس القرفصاء ويشرب على ثلاثة مرات يسمى ويحمد قبل وبعد المرة الواحدة .. وجد نفسه يتفحص شكله .. ألهذا الحد يتمسك الرجل بسنة النبى (ص) .. بينما هو لا يتمسك بالسنة حتى فى مظهره .. خرج من المركز الى المحلات الكائنه خلفه .. اشترى جلبابين واحد

أبيض والآخر سماوى وطاقية مطرزة وعمامة بيضاء وسواك ومصحف صغير وحافظة نقود قماشية وشبشب جلدى أسود ومسبحة مائة خرزة وزجاجتين عطر (ألف زهرة ومسك) .. وعاد واخذ حماما وارتدى الملابس الجديدة ، وساعده أحد الأخوة ليتعلم كيف يلف العمامة حول الطاقية ليتحرر طرفاها متدليان خلف رأسه .. نظر فى المرآة .. هو الآن يقتدى بسنة الهادى (ص) .. وبالطبع اتخذ قراره بعدم حلق لحيته التى بدأت تتناثر شعيراتها على وجهه .

تحول خالد بعد ذلك الى داعية وأخذ يطبق ما يسمعه فى الدروس الدينية بعد كل صلاة فى مسجد المركز الكبير ذو المأذنتين الشاهقتين .. عليه أن يتحدث مع عشرة فى الدين والدعوة .. اعتصر عقله فوجد حديثا أسر قلبه دون كل ما سمع .. ظل الحديث يدور ويدور ..قال النبي (ص) للصحابى معاذ بن جبل (إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟)٠٠٠قال معاذ (ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أني لا أمسي ، ولا أمسيت مساء إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا

خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها غيرها ، وكأني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها ، وكأني أرى أهل الجنة في الجنة ينعمون ، وأهل النار في النار يعذبون)٠٠٠فقال له الرسول (عرفت فالزم) .. نعم هذه هى حقيقة الإيمان .. حفظ خالد الصفات الستة : اليقين بأنه لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ، الصلاة ذات الخشوع والخضوع ، العلم ، حب المسلمين الكرم ، الإخلاص ، والدعوة الى الله .. ما أسهل الدين إذن .. هكذا ردد خالد وهو يستذكر كيف يدعو الى الله كل من يصادفه ممن يرتدون قمصان وبنطلونات حليقى اللحى ، فحتما هم حديثى العهد يحتاجون الى المؤازرة .. أما هو فقد صار الآن شيخا عمره ستة أيام فى جماعة التبليغ والدعوة .. وجائت اللحظة الحزينة .. ولت الثلاثة أيام ولابد أن يغادر المركز عائدا .. جلس وتسائل لأين يعود ؟ .. بل لماذا يعود ؟ .. سمع أحد الأخوة ينادى بأسماء فوج خارج من القاهرة الى المحافظات .. لم يدرى بنفسه حين اندفع وسجل اسمه بينهم ، وتم تشكيله بين الجماعة المكونة من خمسة عشر رجلا ليخرج

معهم تحت إمرة الأمير أحمد عبد الفتاح أربعون يوما .. قبل مغادرة المسجد بقليل أخرج الموبايل من حقيبته وشحنه قليلا واتصل بوالدته ليقول
- أيوه يا ماما .. معلش انا باطمنك عليا .. انا كويس الحمد لله .. بس انا شغال مع اصحابى وهابقى اكلمك كل كام يوم اطمنك
- انت فين يا خالد
- معلش الموبايل هايفصل .. هابقى أكلمك تانى
وانطلق خالد فى سبيل الله .

****

احساس بفقدان شئ ثمين ، وربما شئ ضرورى لمواصلة الحياة .. كان هذا احساس سماح بفقدان خالد .. اضطربت كثيرا فى غيابه طوال شهر ، وزاد اضطرابها حين كانت ترى أمه مدام سناء تأتى للمحل تأخذ إيراد بضعة أيام وتتابع بعض أمور العمل مع الأستاذ بكر ، وكالعادة تلقى سماح بالسؤال المتكرر كلما حضرت مدام سناء
- هو أستاذ خالد هيرجع امتى ؟
هكذا تسأل سماح بلهجة متلهفة وعلى وجهها علامات تجعل والدة خالد تدرك أن سماح لا تعتبر خالد مجرد صاحب عمل وهى تعمل لديه

وبقدرتها على إخفاء ما يعتمل بداخلها تجيب مدام سناء بهدوء

- عنده شغل فى الغردقة ولسه مش عارف هيرجع امتى ؟

قالتها سناء بينما يعتمل فى سريرتها الهواجس والظنون ، فخالد يتصل بها كل بضعة أيام ويطمأنها بكلمات مقتضبة ثم ينغلق الموبايل دون أن تجد إجابة على تساؤلاتها .. حاولت الإتصال به لكن هاتفه مغلق .. تستشعر أن هناك شيئا غامضا يحياه خالد لكنها لا تدرى كنهه .. على الاقل ما يطمأنها هو اتصالاته المتباعدة كل بضعة أيام .

* * *

فى هذا اليوم عادت سماح من عملها وبمجرد دخولها البيت وجدت أمها تصيح

- أهى سماح جت أهى

- أهلا بعروستنا الحلوة

سمعت سماح تلك الجملة وتلفتت تجاه مصدر الصوت لتجد إمرأة بدينة جالسة على الكنبة القديمة ، وتمد زراعيها فتظهر الغوايش الذهبية

التى تغطى ساعديها محدثة (شخللة) وتقول لسماح

- ماشاء الله ما شاء الله

ثم تطلق زغرودة عالية بينما سماح لا تفهم شيئا ، وسمعت أمها تناديها

- تعالى يا سماح سلمى على خالتك أم ابراهيم

ردت أم ابراهيم على الفور معترضة

- خالتها ده ايه ؟ .. قول حماتها ان شاء الله

قالتها وأطلقت ضحكة مجلجلة وتواصل بعدها موجهة كلماتها لسماح

- بس أنا مش زى الحموات الأراشانات .. ده انتى هتبقى زى ولادى بالظبط يا سماح

قالتها وأطلقت زغرودة ثانية ، وسماح تجلس محدقة ذاهلة وجسدها يرتعش ، ونهضت أم ابراهيم تقبل سماح على خديها وكأنها تعرفها منذ زمن بعيد وقالت

- ربنا يتمم بخير ان شاء الله

قالتها أم ابراهيم واستدارت على الفور تقول لأم سماح

- أنا هاخلى ابراهيم والمعلم هريدى بكرة ان شاء الله بعد المغرب يجوا يقعدوا مع ابو

سماح واحنا شاريين سماح ومش عايزينها غير بشنطة هدومها

قالتها وهى تودع ام سماح بالقبلات والأحضان وتنصرف .. انتظرت الأم دقائق صامته ترقب وجه ابنتها سماح المضطرب بخوف وتنتظر تساؤلاتها ، ولما ظلت سماح صامتة .. قالت الأم بنبرة قوية لتوحى لسماح بأنه لا مجال للرفض

- شوفى يا سماح .. ابراهيم ابن المعلم هريدى الجزار اللى عنده محلات الجزارة اللى ماليه المنطقة .. راجل غنى ومقتدر وتحمدى ربنا وتبوسى ايدك وش وظهر إن واحد زى ده اتقدملك .. زى ما انتى سمعتى بودانك امه قالت ايه .. هتحطك فى عينها ومش عايزين مننا حاجة .. يعنى ابوكى مش هيستلف عشان يجهزك .. وانتى أهو بقى عندك سبعة وعشرين سنة واللى قدك اتجوزا وخلفوا

صمتت الأم تنتظر أية تعقيب من سماح الجالسة أمامها تصغى بكل حواسها ولم تنطق بشئ .. فتغيرت نبرة الأم من القوة الى نبرة هادئة يعتريها الشفقة

- غاية ما هنالك يا سماح .. ودا ما يعيبش ابراهيم لإن دى حاجة بتاعة ربنا .. هو عاجز وبيمشى بعكازين بس والله جدع طيب وابن حلال .. أمه قالت ده شلل جاله فى صغره

زاغت نظرات سماح قليلا .. لكنك لا ترى أية رد فعل على وجهه .. تنهدت الأم تواصل بصوت لاهث يشوبه الحنان

- هو مش زى الناس ما بتقول انه أخرس (صمتت برهة قبل أن تردف) هو لسانه تقيل شوية .. بس والله يا سماح لما تشوفيه بكرة هتلاقيه شاب وشه كده زى البدر ياخد قلبك

اكتفت سماح بهذا القدر ودخلت الى غرفتها وتمددت على السرير بكامل ملابسها التى عادت بها من العمل .. وبدأت تفكر لإتخاذ القرار .

* * * * *

تشعر ميار بخوف وترقب ، فلم يعد الآن ما يمنعها من أن يطأها زوجها .. اندمل جرحها ، ورغم أنها خلال الأيام السابقة شعرت بالتقارب بينها وبين وليد .. وعبثا سويا فى جسديهما

العاريان ، وتأكدت أنه صار معها عاديا كأى زوج مع زوجته ، لكن ذلك كان خلال استراق لذته بالعبث فيما بين فخذيه .. رأته يقضى وطره ويلوث كفها .. تمددت على السرير فى هذه اللحظة تنتظر قدومه .. تشعر بدبيب الإثارة كلما تذكرت لمسات يديه على جسدها .. وتدليكه لصدرها .. وابتسمت حين تخيلت كيف كان يرضع حلماتها .. شعرت بقشعريرة لذيذة ممتعة .. ثم فجأة تبخر ذلك الاحساس الجميل وعاودها الخوف والترقب .. أليس من الممكن أن يؤدى اختراقه لها الى انفتاح الجرح ومعاودة الألم النازف .. قاومت مشهد فض بكارتها الذى ارتسم فى مخيلتها .. تكاد تشعر فعلا بنفس الألم الذى شعرت به وقتها .. لكنها تذكرت أنها الآن لم تعد بكرا ، وإنما حليلة مهيأة لزوجها .. لن يكون هناك ألم ولا شئ يزعجها .. تخيلت أوضاع كثيرة خلقتها فى خيالها .. قبلات وأحضان ومداعبات ولكن للأسف كلها تنتهى لحظة الإيلاج .. ما أن يصل خيالها الى هذه اللقطة من المشهد الممتع حتى تنقطع الصورة وترى محلها ألوان مهتزة متباينة .. أفاقت من

كل هذه التخيلات على صوت الباب يفتح ..
هرعت تستقبل وليد الذى حملق فيها بدهشة ..
كان لأول مرة يشعر بأنوثتها .. شعرها مصفف منساب بدلال .. والماكياج الجميل الذى صبغت به وجهها جعلها تبدو جميلة فاتنة .. رأى حنانا فى عينيها وهى تحتضنه على الباب تقول

- وحشتنى يا حبيبى

لم تشعر ميار بالضيق لأنه لم يرد عليها ويقول مثلا (وانتى كمان وحشتينى) أو حتى يسألها (عاملة ايه يا ميار ؟) .. وكان سبب عدم شعورها بالضيق هو تلك النظرات الولهة فى عينيه وهو يرنو الى صدرها مبتسما .. لاحظت أنه يستحث الشهيق لينهل من عطرها الفواح المثير .. فسألته

- عجبك البارفان ده ؟
- آه جميل

ورغم أنه لم يقولها بطريقة رومانسية كانت تتمناها .. إلا أنها شعرت بالسعادة لأنه قال شيئا يعجبه فيها .. أسرعت تعد العشاء .. وتبادلا حديث هامس رقيق .. كانت ميار تسترق النظر الى عيني وليد لتتأكد بين الحين والآخر أنه ينظر

الي مفاتن جسدها .. تعمدت أن تنهض ببطء وتحمل الأطباق وتستدير بحركة مثيرة ، وتتجه متئودة الى المطبخ .. ثم فجأة استدارت مسرعة تجاهه تسأله

- أعملك شاى ؟
- لأ شكرا يا ميار

خرجت منه الإجابة بصوت مبحوح .. ولم يكن غرض التفات ميار وسؤالها سوى من أجل التأكد أنه كان يتابع مؤخرتها المهتزة مع مشيتها المتقصعة .. تنهدت باسمة فى دلال وشرعت تهيأ نفسها أمام المرآة وتضع اللمسات الأخيرة . قد يشعر أحدكم ببعض المفاجأة .. كيف لميار المزعنة المستسلمة ؟ .. التى لا تفعل بل تنتظر الفعل ثم تأتى برد الفعل أن تنقلب هكذا .. عفوا هذا ليس انقلابا ولا حتى تغيرا جزريا .. فكل ما فعلته ميار هى أمور أنثوية تكتسبها الأنثى بالفطرة والغريزة .. ورغم عدم اجادة ميار التعبير عن أنوثتها بحكم طبعها .. إلا أنها مثل أية امرأة يمكنها أن تدرك هذه الأمور الأنثوية بفطرتها بعد أيامها الأولى فى الزواج بعدما زال حاجز الحرج والخجل بينها وبين وليد .

وأثناء استبدال وليد لملابسه وقبل أن يشرع فى ارتداء البيجامة .. اقتربت ميار واحتضنته من الخلف ، دار بجسده واحتضنها يقبلها .. نزعت هى عنه ملابسه الداخلية وتركته يعريها .. وذاب الجسدان العاريان فى بعضهما .. كان وليد يشعر بالمتعة لأول مرة مع زوجته لكنها ليست مثل المتعة التى يحس بها مع شهد .. هناك فرق.

أما ميار فكانت تشعر بمتعة لكنها كانت منقوصة بعض الشئ نظرا لترقبها اللحظة المنتظرة .. وجائت تلك اللحظة وشعرت بجوفها يمتلئ .. متعة عارمة .. لذة بكر أولى .. انتشت سريعا فى الوقت الذى انتشى وليد معه .. شعرت ميار بسعادة غامرة .. ووجدت نفسها تضحك عاليا ووجهها محمر بحمرة صافية .. تحس بجسدها خفيفا مسترخيا هادئا .. قالت بصوت منغم

- أنا كنت خايفة أوى يا وليد

أدرك وليد ما تعنيه فهو الآخر كان مترقبا .. رأت على وجهه ابتسامة أسعدتها .. اتجه هو الى الحمام وغاصت هى فى شعور لذيذ جميل ممتع جعلها تتمطع مصدرة تأوهات مكتومة منغمة ..

انتبهت على صوت جرس موبايل وليد .. قامت لتناوله له ورأت على الشاشه (شهد .. تتصل) .. من الممكن أن تكون شهد إحدى قريباته .. لكنها هى زوجته ولم تسمع عن قريبة له اسمها شهد .. ومن الجائز أن يكون شهد اسم رجل .. استبعد عقلها هذا الإقتراح .. لأن اية تساؤل بخصوص شهد كانت تشعر بإجابته فى قلبها .. فى لحظة واحدة تكالبت عليها كلماته التى سبق وأن قالها لها يوم ليلة زفافهما (انا عرفت ستات بعدد شعر راسى) .. وحتى فى الصباحية بعدما بات خارج البيت وعاد ليهينها (ولعلمك بأه انا كنت بايت مع واحدة امبارح) .. تلقائيا تصفحت المكالمات الواردة والصادرة والرسائل .. لتقرأ رسائل من (حبيبى وحشتنى مراتك التانية خدتك منى ولا ايه ؟ .. ده القديمة تحلا ولو كانت وحلة) .. خرج وليد من الحمام ليجد ميار ممسكة بالموبايل والدموع تترقرق فى عينيها .

كان ابراهيم خائفا من أن ترفضه سماح وأهلها ، وحتى إذا رفضته فما الجديد .. تجاوز عمره الثلاثين ولم يتزوج بعد ، بينما تزوج أخوته جميعا .. كلما تقدم لأية فتاة يراها مناسبة ترفضه لأنه عاجز معوق .. يعانى من شلل ولا يتحرك إلا على عكازين ، ليس ذلك فحسب وإنما تلعثمه فى النطق الذى يتحول الى عجز عن التفوه بالكلمات حين يتملكه قلق أو إضطراب أو خوف شديد .. يرحب أهل الفتاة به فى البداية ، فهو ابن المعلم هريدى صاحب محلات الجزارة المنتشرة فى دار السلام كلها .. لكن عندما تصر الفتاة على الرفض بسبب إعاقة ابراهيم من جهة .. وفتور حماس أهل الفتاة من جهة أخرى ، بعدما يدركوا أن ابراهيم قليل الحيلة وأخوته هم من يتحكمون فى ثروة ابيه .. مما يؤدى الى فشل مشروع الزواج فى مهده .. لم يكن ابراهيم مجرد شاب يعانى من اعاقة حركية او كلامية فحسب .. بل يمكننا أن نوجز ما غير ذلك فى أنه

من هؤلاء المستضعفين فى الأرض .. لم تشفع له ثروة أبيه فى صغره من أن يسمع معايرة ذوييه من التلاميذ فى المدرسة

- ايه يا ابو عروجة ؟

لكنه تحمل وواصل دراسته ليحصل على دبلوم التجارة ويعمل على حسابات محلات أبيه .. وكأن ابراهيم أراد أن يستعيض عن عجزه بما يجعله مختلفا عن الآخرين .. تجسدت لديه من الصفات ما يندر تواجده .. فقد كان صادقا أمينا شهما ، يؤدى عمله وكأنه موظف وليس ابن صاحب المال ، وبالطبع فمن يكون على هذه الشاكلة حتما سيصطدم بالآخرين .. لكن صدام ابراهيم كان مع أخوته .. ذات مرة اكتشف من مراجعته للحسابات أن أخوته يسرقون أباهم ، ورغم دهشته من ذلك لأن المال مال أبيهم وهو لهم فى النهاية .. ألا أنه أبى أن يصمت على خطأ رآه .. واجههم بذلك فصاحوا فيه

- قصدك إن احنا حرامية

- راجع انت الحسابات تانى وهتلاقيها سليمة

رد ابراهيم متلعثما

- أأأأأأأأنا ممممممررراجع الحححححساب

قاطعه أحد أخوته ضاحكا
- طب بس بس .. بالراحة على نفسك يا أخويا
رفض ابراهيم الصمت وبالكاد تمكن من نطق خمس كلمات خرجت منه بشق الأنفس بسبب حالة الغضب التى سيطرت عليه ونفهم من كلماته أنه يهدد اخوته بإخبار الأب .. وهنا انهالت عليه اللعنات والإهانات
- يعنى مش كفاية إنك قاعد منظر واحنا اللى شايلين الشغل كله على اكتافنا وبنقول معلش عشان انت عاجز
وأخ آخر يصيح
- ما بقاش غير العروجة أبو نص لسان هيطلعنا على آخر الزمن حرامية
تكالب الأربعة اخوة على ابراهيم ينهروه ويعايروه بعجزه .. ولما علم المعلم هريدى بما حدث ، جمعهم جميعا وصاح فيهم كالرعد
- اياك حد فيكم يعلى صوته على أخوكم الكبير ابراهيم تانى .. قسما عظما لو حد فيكم عمل كده تانى لأطرده من البيت والشغل
لم تكن ثورة المعلم هريدى على ابنائه الأربعة لمناصرة إبراهيم نابعة من احساسه الدفين

بالعطف والشفقة على ابنه العاجز فحسب ، ولكن أيضا لقناعته بأن ابراهيم على حق فهو انسان صادق أمين لا يكذب ، وذلك سيجعله فريسة لإخوته .. اختلى المعلم هريدى بابنه ابراهيم وقال

- انت راجل طيب يا ابراهيم غير اخواتك كلهم .. انا عارف انهم بيسمسروا من الشغل وبيبيعوا لحسابهم مع ان كل واحد فيهم بياخد مرتب يعيشه ملك .. بس تقول ايه فى فراغة العين والطمع .. سيبهم يعملوا اللى هم عاوزينه وخليك انت فى شغلك فى حسابات المحلات .. ولو حد فيهم بس علا صوته عليك أنا هاعرف أربيه ازاى

حاول ابراهيم فى مرحلة المراهقة أن يعيش كأقرانه ، وكان محط استهزاء وسخرية شباب المنطقة وهم يرونه يضرب الأرض بعكازيه بصحبة البرنس وشلته .. كان ابراهيم فى تلك الفترة سعيدا لأنه وجد مجموعة من الأصحاب لا يسخرون من اعاقته ويعاملونه كواحد مثلهم .. لذا أغدق عليهم بدعوات السهر على حسابه من

المال الذى يناله من ابيه .. يتذكر يوم كانوا جالسين على النجيلة بكورنيش النيل يدخنون البانجو ولمحوا سيارة شرطة قادمة من بعيد .. أطلقوا سيقانهم للريح ، ولكن ما بال ابراهيم .. حمله البرنس على كتفه يعدو به حتى انعطفوا فى الحوارى الضيقة واصبحوا فى آمان .. أنزل البرنس ابراهيم الذى ظل يبادلهم الضحكات .. كان ابراهيم سعيدا بهذه الحياة ، الا انه تحت ضغط ابيه ابتعد عنهم وواصل دراسته ليجد نفسه وحيدا فى الحياة .. على الرغم من والديه واخوته الا انه دوما ما يشعر وكأنه يعيش وحده فى الحياة .. وزاد ذلك الاحساس حين رفضته الفتيات تباعا ليظل هكذا بلا زواج بعدما تخطى الثلاثين .. واليوم هو على موعد جديد حيث سيذهب مع أبيه بعد المغرب للتقدم لسماح .. لم يعد ابراهيم تراوده الآمال كما كان يحدث عندما يذهب للتقدم لفتاة .. بل هذه المرة تحديدا هو يشعر بأنها لن تفلح .. وقف امام المرآة فلم يعتنى بشكله ولبسه كما ينبغى .. خرج مع ابيه مستندا على عكازيه يخطو بهما حتى وصلا لمنزل سماح .. كان ابراهيم صامتا معظم الوقت ،

تاركا الحديث دائرا بين ابيه والأسطى سعيد والد سماح .. كالعادة الموافقة المبدئية وكلمات الترحاب بسبب ثراءه ، وصوت ابو العروسة يصدح

- واحنا هنلاقى لسماح احسن من ابراهيم .. ده زينة الشباب وجدع وابن بلد .. ولا هنلاقى نسب يشرف زى نسب المعلم هريدى .. ده احنا نوصلها لحد البيت

* * * *

لم يدرى ابراهيم كيف مر شهر ليجد نفسه زوجا لسماح التى لم تعانى كثيرا لتتخذ القرار .. لماذا ؟ .. لأنها أدركت أن حياتها قدر لا فكاك منه ، ولا تملك الاختيار ، ثم انها إذا رفضت ابراهيم فهل سيتقدم لها (ابن بارم ديله) كما قالت لها أمها .. إذن ستظل هكذا تعمل لدى خالد الذى أدركت سماح أنه لم يعد خالد الذى تعرفه .. وجدت نفسها فشلت فى كل ما سعت لتحقيقه .. التعليم الذى لم يأتى على حياتها بالجديد ، ولا

عملها بائعة فى محل خوليو هو ما سيخطو بها الى ما تصبو وتريد .. الشئ الوحيد الذى تدرك أنه يريحها ، هو أن تترك نفسها لمقادير الحياة تحلق بها أنى شائت .. حسنا فلتترك نفسها للحياة .. يريدون تزويجها لابراهيم المشلول ، فليكن . لكنها أثناء الإعداد للزواج ظلت مشكلة فقدان عذريتها على يد خالد تؤرقها .. كانت تسمع عن عمليات (الترقيع) ، لكنها لا تدرى كيف تصل الى تحقيق ذلك .. الشخص الوحيد الذى تعرفه فى حياتها لتطلب منه المساعدة هو خالد .. فحتى لو لم يكن هو المسؤول عن عذريتها الضائعة ، إلا أنه سيساعدها .. ذهبت للمحل بعد انقطاعها فترة علها تجد خالد قد عاد ، فوجدت الأستاذ بكر لازال قائما على شؤون المحل وجاء ببائعة أخرى بدلا منها صباحا .. عادت فى ذلك اليوم يتملكها اليأس .. كانت تترجل عائدة وهى محملقة بذهول يتملكها الاضطراب، مما دفع من يراها من السائرين الى الظن بأنها هاربة من مستشفى الأمراض العقلية .. كانت شفتاها تتحرك ويديها تشير وكأنها تحدث شخصا غير مرئيا ، ولما وصلت الى بيتها ، استلقت على

السرير مرتعشة ترتجف .. ودخلت عليها أختها الوسطى لتراها على هذه الحالة وتسألها

- مالك يا سماح ؟

لم ترد سماح واعتدلت جالسة على طرف السرير تحرك رأسها فزعة تماما كما لو كانت ترى وحشا يقترب منها ، وفجأة أجهشت فى البكاء تصيح

- أنا خايفة .. أنا خايفة

صنعت الأم كوبا من عصير الليمون وجلست الى جوار ابنتها تسقيها قائلة

- ايه اللى حصل لك بس .. دى انتى فرحك بعد عشر أيام

ما ان سمعت سماح هذه الجملة حتى شرعت مجددا فى البكاء والفزع .. وهنا لم تجد الأم بدا سوى الذهاب بها الى الدكتور احمد عزت (أشهر أطباء دار السلام بتاع كله) .. والذى وصف لها عددا من الادوية النفسية (سافينيز وكوجينتول ونيورازين) .. مما جعل سماح تقضى أغلب ساعاتها خلال اليومين التاليين إما نائمة وإما شبه مخدرة ، وكلما تفيق قليلا تشرع فى البكاء تردد وجسدها يرتعد

- أنا خايفة .. أنا خايفة
تسرع أمها سعاد بإحتضانها وهى تمسح على رأسها تردد
- بسم الله الرحمن الرحيم .. بسم الرحمن الرحيم .. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. اعوذ بالله من الشيطان الريجيم .. دى عين وصابتك يا بنتى
تصنع الأم ورقة صغيرة (على شكل بنى آدم) وتمسك بإبرة وتظل توخز فى الورقة وتردد مع كل وخزة
- شكة فى عين أم ايهاب .. وشكة فى عين نفيسة .. وشكة فى عين البت عائشة
تظل الأم توخز عيون الجيران والمعارف ثم تختم سلسلة الوخزات قائلة
- وشكة فى عين كل اللى شافك ولا صلاش ع النبى
تنهض بعدها تشعل النار فى الورقة وتدور بها من فوق رأس سماح تتمتم بالمعوذتين .. ولم يكن هناك جديد .. كذلك لم يعد هناك حيلة لإخفاء الأمر عن ام ابراهيم التى تستفسر عن غياب سماح عن اعداد شقتها قبيل العرس .. ولما

علمت أم ابراهيم حضرت ورأت حالة سماح ، وخشيت أم سماح من أن تفشل الزيجة بعدما سمعت ام ابراهيم تقول

- دى عاوزة شيخ يقرا عليها

بالفعل كانت أم ابراهيم خائفة من أن يفشل مشروع زواج ابنها كما العادة ، وكان يروادها إحساس أن سماح تتدعى المرض لتمنع زواجها من ابراهيم ، لكن الحقيقة أن سماح لم تكن تتدعى شيئا .. بل كانت مريضة فعلا ، ولكى نفهم ما حدث لها علينا أن نستعيد عدم اتزانها وإضطراب عقلها الذى نما مع الوقت ووصل بها الى هذه المرحلة من (الفوبيا) المرضية حين وجدت نفسها ضائعة وحيدة وقد صارت على وشك الزواج من ابراهيم .. ألا يكفى ما آلت اليه حياتها بعد الأحلام والأمانى العريضة لتجد نفسها تُباع لابن المعلم هريدى الذى رفضته بنات المنطقة بسبب عجزه الحركى والكلامى .. كانت تسمع دائما همسات تخترق أذنيها

- أهى اللى عاملة فيها السفيرة عزيزة أم دماغ لاسعة ، اتجوزت ابراهيم المشلول أبو نص لسان

شعرت أم سماح ببعض الطمأنينة على مشروع زواج ابنتها ، حين سمعت أم ابراهيم تقول
- ياللا بينا نوديها للشيخ أحمد عبد القادر يرقيها

* * * *

كان الشيخ أحمد عبد القادر القاطن فى الدور الثانى للبيت القديم الذى ورثه مع أخوته عن أبيه قد خصص غرفة وصنع لها بابا يفتح على السلم مباشرة لإستقبال زبائنه .. دخلت سماح مستندة على أمها وأم ابراهيم .. وجلسوا على الكنبة أمام الشيخ أحمد عبد القادر ، وحكوا له ما حدث لسماح منذ ثلاثة أيام .

الشيخ أحمد عبد القادر حاصل على دبلوم صنايع ويعمل موظف فى شركة النشا والجلوكوز ..

كان فى البداية يخرج فى سبيل الله ضمن جماعة التبليغ والدعوة مع الشيخ إسماعيل حسين أمير الجماعة .. هيئته مثل هيئتهم : جلباب قصير ولحية طويلة وطاقية مطرزة ولم يكن يحب أن يلف حولها عمامة .. تحول الى معالج بالصدفة حيث كان يملك أدوات حجامة صغيرة ، ويقوم بعمل الحجامة لنفسه للتخفيف من ألم الظهر الذى يعانيه .. وكان يستشير أطباء المنطقة فى جدوى الحجامة علميا ، واقتنع بالتفسير الذى يقول أن سحب الدم من المناطق التى تعانى من الإلتهاب يؤدى الى تقليل كثافة الدم وكذلك خروج المواد المسببة للإلتهاب مع الدم المنزوع بالحجامة ، فيؤدى فعلا الى نتائج جيدة .. استهواه الامر واختلط ببعض المتخصصين فى الحجامة وتعلم الكثير ، وبدأ الأهل والمعارف يطلبوه لعمل الحجامة ، فهذا يعانى من انزلاق غضروفى ، وذاك من خشونة فى الركبة ، وتلك من صداع مزمن .. وهكذا حظى الشيخ أحمد عبد القادر بشهرة فى دار السلام وبدأ يحترف الحجامة مقابل المال .. وتضاعفت شهرته مع الوقت حين تسمع أحد الجالسين على المقهى يشتكى لآخر

- أنا بقالى شهرين باتعالج من وجع كتفى وباخد حقن بس كلها مسكنات .. مفعولها بيروح والوجع يرجع تانى

- بص .. عليك وعلى الشيخ أحمد عبد القادر هايعملك حجامة وهاتستريح على طول .. أنا كان عندى الفقرتين الرابعة والخامسة وبعد كام جلسة عنده ، بسم الله ماشاء الله الوجع راح خالص

هكذا ذاع صيت الشيخ أحمد عبد القادر بين الحقيقة والوهم ، وأدرك هو أن الجزء الأكبر من عمله هذا يعتمد على الوهم والإيحاء .. وتوسع نشاطه فصار يبيع بعد الحجامة لزبائنه أكياس الأعشاب .. ومن بين زبائنه كانت النسبة الأكبر للعاجزين جنسيا .. يصف لهم الأعشاب والدهانات وحجر النار ويصف الفياجرا ومشتقاتها وعسل البردقوش الأصلى .. ودخل الى عالم الجن والعفاريت عن طريق أحد المعالجين بالقرآن .. إلا أن طبيعة شخصيته المتزنة نفسيا لأبعد الحدود رفض الأمر كما يراه ، وقرأ فى كتب الطب النفسى .. عكف فترة على القراءة ليحيى الرخاوى وعادل صادق وغيرهم

، ليخلص فى النهاية الى الاعتقاد بوجود الجن لكنهم عالم منفصل تماما عن عالمنا ولا مجال لأية صلة بين العالمين .. ورغم ذلك عمل معالجا من المس وتلبس الجان معتمدا على نظرية الإيحاء النفسى ، وصار يلجأ الى وصف أدوية طبية لزبائنه سواء كانت عضوية أو نفسية .

سأل الشيخ أحمد سماح المرتعشة القلقة

- انتى دلوقتى حاسة بإيه ؟

تبكى سماح وهى تجيب متلعثمة

- مش عارفة حاسة انى خايفة
- خايفة من ايه ؟
- مش عارفة

التفت الشيخ احمد الى امها وقال

- فين روشتة العلاج اللى بتاخده

رأى الروشتة وقال

- هاتمشى على العلاج زى ما هى ماشية لأن الجن اللى عليها هو اللى عامل فيها كده .. أنا هاطلعه منها دلوقتى

قالها وهو ينهض ليحضر طبقا صغيرا وبعض الماء ، وجعل سماح تجلس أمامه على الأرض .. وضع يده على رأسها ورتل بصوت عالى بعض الآيات ، وهوى فجأة بصفعة قوية على وجه سماح جعلتها تصرخ بصرخة مدوية وتجهش فى البكاء ، فناولها صفعة أخرى على خدها الآخر وهو يصيح

- ايه اللى دخلك فى جسمها .. انطق ؟ .. انت جن مسلم ولا كافر ؟

ولما لم يتلقى ردا من سماح سوى أصوات بكائها المتعالى .. أدرك بخبرته وقرائاته أنها مصابة بفوبيا ولم تصل لمرحلة الشيزوفرينيا .. لأن مريض الشيزوفرينيا فى هذا الموقف يرد ويتمتم بكلمات بعضها غير مفهوم ويظهر للمحيطين وكأنه الجان الذى يتلبسه هو الذى يتحدث بلسانه .. عاود الشيخ أحمد تلاوة آيات قرآنية ثم أخرج منديلا قماشيا أبيض من جيبه وصب فوقه بعض الماء الذى تقاطر منسالا من المنديل بلون أحمر قانى كدم ممزوج بالماء وسط دهشة أم سماح وأم ابراهيم وهما يسمعان الشيخ أحمد يقول لسماح التى دخلت فى نوبة بكاء هيستيرى

- دا دم الجن اللى عليكى بعد ما اندبح
قالها وهو يلقى بالمنديل فى الطبق ويخرج منديلا آخر ويصب عليه بعض الماء فتشتعل فيه نارا صغيرة على الفور وتنطلق شرارة صغيرة ثم تنطفأ بعد صوت فرقعة ، ليقول الشيخ أحمد بعدها

- كده خلاص الجن اللى عليها اتحرق
نهض موجها كلماته لام سماح وام ابراهيم المذهولتين مما حدث

- عاوز اتكلم معاها شوية على انفراد .. خليكم انتو هنا
قالها وهو يهدئ سماح ويتجه بها الى داخل شقته ، فى الوقت الذى اندفعت أم سماح تضرب على صدرها بكفها تقول

- يا خراشى على اللى جرالك يا بنتى .. جالك منين العفريت ده
ردت أم ابراهيم

- الشيخ أحمد أهو طلع العفريت منها وحرقه .. ده سره باتع

لم يكن الشيخ أحمد ذو سر باتع كما اعتقدت أم ابراهيم .. كل ما فعله هو أنه استخدم قليلا من البوتاسيوم برمنجانات بداخل المنديل ، وبعدما صب عليه الماء صار لونه أحمر بسبب البرمنجانات .. كذلك استخدم قطعة صغيرة من هيدروكسيد الصوديوم فى منديل آخر ، والذى يتفاعل مع الماء ويشتعل محدثا فرقعة صغيرة .

لذلك كثيرا ما يراود الشيخ أحمد عبد القادر شعور بأنه دجال مشعوذ باستخدامه لهذه الطرق والحيل .. لكنه كان يرفض ذلك ويبرر ما يفعله بأنه طريقة علاجية تعتمد على الإيحاء النفسى .. فالمريض النفسى الذى يعتقد أنه يعانى من مس وتلبس بالجان ، لن يصدق إذا قال له الشيخ أحمد أنه لا يوجد جن يتلبسه وأنه مريض نفسى فى حاجة الى علاج دوائى ، وسيذهب الزبون الى معالج آخر وستنهار سمعته فى المنطقة ويخسر الدخل الكبير من المال الذى يأتى من وراء ذلك .. لذا يعهد الى هذه الطرق من جهة لاقناع الأهل المرافقين وحفاظا على سمعته كمعالج فى منطقة دار السلام .. ومن جهة أخرى يرضى ضميره

بمساعدة المريض بطريقة صحيحة .. فإن كان مثلا لم يذهب الى طبيب نفسى من قبل ، يقول له بعد انتهاء الجلسة

- زى ما انت شوفت احنا طلعنا العفريت اللى عليك وحرقناه .. بس الجن ده عملك اضطرابات نفسية هتحتاج لعلاج

إذا كان الشيخ أحمد يرى الموضوع بسيط يصف هو أدوية (بروزاك وسيبرام وأركاليون) .. أما إذا كانت الحالة متقدمة فهو يعطى أهل المريض كارتا لأحد الأطباء النفسيين ليذهبوا به اليه .. والدليل على هذه النظرية التى ينتهجها الشيخ أحمد هو ما فعله مع سماح بعدما اختلا بها حيث قال

- بطلى عياط بأه عشان أقدر أساعدك .. أمك قالت انك تعبتى من ثلاث أيام وفرحك المفروض بعد كام يوم .. يعنى الموضوع له علاقة بجوازك .. انتى ايه اللى خايفة منه بالظبط ؟

- ....

- انتى كنتى تعرفى حد مرتبطة به قبل كده ؟

- ....

- ردى عليا زى ما باكلمك .. ما تخافيش أنا هاسعدك
- آه
- والعلاقة دى وصلت للجنس
أومأت سماح برأسها ايجابا فواصل الشيخ أحمد
- يعنى انتى دلوقتى مش بكر
إكتفت سماح بإيمائة وهى تكابد رغبة البكاء .. تنهد الشيخ أحمد باسما وهو يسدد لها نظرات ثاقبة وكأنه يقرأ ما يعتمل بداخلها وقال
- تيجى بعد بكرة المغرب من غير حد من أهلك ما يعرف وأنا هاوديكى لدكتور

بالفعل ساعد الشيخ أحمد سماح وعن طريق الدكتور عماد تم ترقيعها .

هنا اشكالية كبيرة .. لأنكم ترون أن ذلك أمرا غير منطقيا بالمرة ، طالما الشيخ أحمد يتكسب من عمله فى هذا المجال .. لا يوجد ما يدفعه لمساعدة سماح .. لكنى أوضح لكم تلك الإشكالية .. إنه لم يكن يساعد سماح بل كان يساعد نفسه .. النزعة الدينية لدى الشيخ أحمد وسابق توغله مع

جماعة التبليغ والدعوة .. جعل تأنيب الضمير لديه ذو وطأة شديدة على نفسه ، فهو لا يريد أن يشعر بأنه يخدع الناس .. حصل على مائتين من الجنيهات من أم ابراهيم وأعطى لسماح كيسين من الأعشاب المهدئة مقابل مائة أخرى دفعتها أم ابراهيم .. يسأله ضميره على الفور ماذا فعل هو مقابل ثلاثمائة جنية سوى الخداع الذى يسميه ايحاء نفسى ؟ .. إذن هو ساعد سماح ليرضى ضميره .. كان يفكر فى الأراء الأفقهية التى تقبل ذلك ، لكنه أيضا فكر فى الأراء المعارضة التى تعتبر ذلك خداعا كبيرا للزوج الذى سيتزوجها على أنها بكر فى حين هى ثيب.. أمر واحد هو ماقطع تردد الشيخ أحمد فى البداية ، وكان هذا الأمر هو تخيله لصورة ابراهيم المشلول الذى يتحرك على عكازين ويتلعثم فى نطق الكلمات ، وبحكم كون الشيخ أحمد من أهل المنطقة فهو يعلم أن ابراهيم لم يجد من ترضى به .. إذن الأمر ليس مساعدة لسماح فحسب ولكن هى مساعدة لإبراهيم أيضا بإتمام زواجه من سماح .. خيل اليه أن القدر ساقه الى الجمع بين رأسين فى الحلال بالتستر على سماح ومساعدتها ،

لكنه فى الحقيقة يساعد نفسه هو .. هكذا أرضى الشيخ أحمد عبد القادر ضميره الذى حتما سيعاود إيلامه فى موقف آخر .

****

لم يصدق إبراهيم أنه يجلس فى (الكوشة) الى جوار عروسته سماح .. يرتدى البدلة السوداء الأنيقة ووجهه يبدو فى أحلى صوره وشعره مصفف بلمعان ، والكرافتة الحمراء على القميص الأبيض .. جعله ذلك يشعر بسعادة غامرة وهو يتلقى التهانى والتحيات وسط الجو الصاخب بأصوات الفرقة الموسيقية وتحيات النقوط .. نسى تماما حزنه وهمومه ، فأخيرا باتت له زوجه مثل الآخرين .. لكنه حين يلمح بطرف عينه العكازين قابعين على يساره ، يشوب الحزن سعادته ، هما قضائه وقدره حتى يوم فرحه لا تفارقه .. هو راضى بقضاء الله لكن ذلك لم يمنعه أن يحلم بأنه ذات مرة وهو يسير بالعكازين ، وإذا به يشعر بقدميه خفيفة تتحرك بسرعة .. ألقى العكازين ووقف ليجد نفسه لم

يسقط .. تحرك ببطء خشية السقوط فوجد نفسه يمشى .. ظل يسرع ويسرع بل أصبح يجرى ويعدو وكأنه طائر محلق .. صاح بعلو صوته فانهمرت الكلمات بلا تلعثم .. نادى مسرعا وهو يجرى

- آبا .. آبا

كان يتوق لأن يجعل أباه يراه بعدما لم يعد مشلولا معوقا .. والسبب ليس لأن يجعل أباه يفرح له .. ولكن ليرى أباه لأول مرة من دون نظرات الشفقة التى اعتاد عليها من عيون أبيه .. وحين اقترب منه أمعن النظر فى عيني أبيه فلم يجد تلك النظرة المشفقة التى طالما أشعرته بعجزه .. وفجأة سقط على الأرض وعاد مشلولا يتمتم متلعثما يطلب المساعدة .. ورأى نظرات الشفقة فى عيني أبيه وهو يساعده على النهوض تخترق قلبه سهاما .. استيقظ ابراهيم من النوم بعد هذا الحلم دامع العينين .. كان يتمنى لو أختفت تلك العكازات من جانبه ، على الأقل حتى ينتهى الفرح .. لكن أين تختفى وهى قضائه وقدره .

تبددت تلك التساؤلات حين سمع ابراهيم أصوات الزفة تستعد ليصعد بعروسته الى شقته فى بيت أبيه المكون من خمسة طوابق ، حظى كل واحد من ابنائه بشقة وتزوج فيها ، ولم يعبأ إبراهيم بنظرات الشفقة من عيون الجميع من حوله وهو يضرب بعكازيه الأرض والى جواره سماح بفستان الفرح تمسك بيدها اليسرى مرفق زراعه اليمنى ، فتتحرك يدها للأمام والخلف مع حركة عكاز ابراهيم .. ولم يكن ما جعل ابراهيم ينسى همومه سوى تفكيره فى شئ جديد سيحظى به لثانى مرة وهو الجنس .

إذا كنا نعلم الجنس عند سماح علم اليقين .. فدعونا نتعرف على الجنس عند إبراهيم الذى لم يسبق له أن مارس الجنس سوى مرة واحدة .. هو مثل أى شاب يشعر بغريزة تتحرك بعد مرحلة البلوغ .. تبادل الحوارات مع أقرانه وعرف طريق اللذة السرية .. يلجأ اليها كلما راودته أحلام جنسية دون أن يحتلم .. وشاهد العديد من الافلام حين كان بصحبة البرنس وشلته ، كان يسمع منهم القصص عن

مضاجعاتهم للمومسات ، بينما هو كل ما يفعله أنه يعود للبيت ويتناول منديلا قماشيا ويدسه فى جيبه .. وبعدما يضع العكازين ويستلقى على سريره .. يدفع بيده تحت جلبابه ويدلك قضيبه متخيلا أنه واحد ممن كانوا فى الفيلم مع حسناء فاتنة .. يجتر المشهد ويسرع التدليك ، وعندما يصبح على وشك القذف ، يخرج المنديل ويقذف فيه .. يطوى المنديل ويضعه فى جيبه ليغسله فى الصباح .. يسترخى جسده بعدها ويشعر براحة .. ضحك ذات مرة حين تسائل ماذا لو كانت يديه هى الأخرى مشلولة ، كيف كان سيحصل على هذه البهجة فى حياته ؟ .. بل أنه وجد أن شلل قدميه لا يعيقه عن اجترار اللذة السرية ، إذن ذلك أفضل من أن يكون سليم الرجلين مشلول اليدين .. فى أحد المرات استبدت به الإثارة بعد سهرة مع البرنس وشلته أمام فيلم اباحى ..
وهمس للبرنس برغبته فى خوض التجربة عمليا قائلا

- تعبت بأه من ضرب العشرات .. عايزأعمل طبيعى ولو مرة واحدة

ضحك البرنس وأخذه الى عفاف عاهرة المنطقة التى كانت مبتدئة فى ذلك الوقت ، قبل أن تنتقل للعمل فى بار فى المعادى وتبتعد عن ممارسة الجنس مع شباب ورجال المنطقة ، حيث صار لها زبائن (هاى لايف) .. لا ينسى رجل أول ممارسة جنسية له فى حياته ، كذلك تظل تلك التجربة محفورة بكامل تفاصيلها فى عقل ابراهيم .. بل انه يتخذها منهاجا ومرشدا فى ليلة زفافه اليوم .. رغم أن كل ما حدث هو أنه جلس على السرير وأسند العكازين على الحائط .. ثم ترك نفسه لعفاف تنزع عنه ملابسه وترقده على ظهره وتعتليه .. يتذكر الآن احساس عبور رأس قضيبه لمهبل عفاف ثم انتهى بعد دقائق قليلة بسبب تأوهاتها الماجنة وقبلاتها له .. يقشعر جسده كلما يصعد بصحبة سماح درجة من درجات السلم الى شقته ، اللحظة تقترب ..
وصلا أخيرا الى شقتهما لكنهما ليسا وحدهما .. خرج أبوه وأخوته وبقيت أمه وأم سماح ينتظرات شرف العروس .. لابد من المنديل الأبيض الملوث بالدم .. عليه أن ينهى ذلك الأمر الآن .. لا تحتاجون الى تذكيركم بحالة سماح

الآن .. بالأمس كانت عن الدكتور عماد وتم (الترقيع) .. وشخصية مثل سماح فى موقف كهذا .. يمكن أن تتوقع منها الغريب والعجيب .. طبيعى أن تراها مرتعشة ترتجف تتلفت حولها وكأنها ترقب أشباح مختفية تطاردها .. أما ابراهيم الذى لم يتحدث مع سماح خلال شهر الخطوبة سوى أربع مرات ، وكانت كلماته قصيرة خشية التلعثم الزائد الذى قد يجعل كلامه غير مفهوما ، ظل واقفا الى جوارها بعكازيه لا يدرى ماذا يفعل .. صوت خبطات على باب الغرفة يفزعهما .. يتحرك ابراهيم على عكازيه ويفتح ليرى أمه وأمها ويسمع أمه تقول

- أنا قلت لأم سماح .. اننا نعمل الدخلة بلدى

ولمن لا يعرف الدخلة البلدى تعنى دخول أم العريس فى حضور ابنها وأم العروسة ، وتدخل أم العريس أصابعها لفض بكارة العروس يدويا والتقاط الدم على المنديل .. لكن ذلك أشعر ابراهيم بالعجز ، فأمه تريد مساعدته فى هذا الأمر وهى لم تفعل ذلك مع زوجات أخوته من

قبل .. لماذا هو ؟ .. أكيد لأنه مشلول .. غضب وتلعثم ناطقا كلمات الرفض

- لأ .. أأأأأأنننننا مش ععععععايز

قالها وهو يغلق الباب وأخذته العزة ، فهو ليس أقل من أخوته ويستطيع أن يأتى بشرف زوجته .. جلس على طرف السرير وألقى بالعكازين .. ورأى سماح تنهض وتنزع فستنان الفرح وما تحته كالمصروعة وتقف أمامه عارية .. فخوفها الشديد وترقبها لنتيجة (الترقيع) .. أضف الى ذلك انها (لاسعة) فى الاساس ومضطربة .. يمكنك أن تتخيل حالتها ، ولولا ذلك الإضطراب لبدت فى تلك الليلة فاتنة بملامحها الاسيوية .. شعرها مصفف مصبوغ باللون الذهبى ووجهها مضرج بماكياج جميل ، وجسدها ناعم أملس متورد بعد ازالة الشعر .. الا أن اضطرابها الشديد ونظراتها الزائغة والتفاتاتها حولها أكسبها مظهرا يبعث على النفور .. فسر ابراهيم ذلك الى قلقها بسبب بكارتها الذى بات فضها على وشك .. حين نزع ابراهيم ملابسه وأصبح عاريا مثلها .. وكأنها تؤدى فقرة استعراضية نامت سماح على ظهرها ورفعت ساقيها لأعلى

تضمها على صدرها بزراعيها وقلبها ينبض بعنف من فرط القلق .. فلم تلحظ أن ذلك الوضع الذى اتخذته لا يناسب ابراهيم .. الذى زحف على يديه حتى وصل اليها .. عدل هو من وضعها وبزراعيه القوية واصل الزحف حتى صار فوقها .. بدأ بتقبيلها فانتصب رغم توتره .. أمسك المنديل ودفع بقضيبه فى مهبل سماح ليعبر بكامله مع شهقة منها .. لم يكن مصدرها ألم تمزق (الغرز) التى أغلق بها الدكتور عماد فتحة مهبلها .. لأن خيوط (الغرز) ذابت بعد ثلاثة ساعات من مغادرتها للعيادة .. لذا كان سبب شهقتها هو ثقل جسد ابراهيم الذى صار قابعا على صدرها .. أخرج إبراهيم قضيبه وتناول المنديل بسرعة ظنا منه أن الدم سينسال .. لكنه لم يجد قطرة دم واحدة .. خيل اليه فى هذه اللحظة أنه لم يلجها بعد .. لكنه متأكد أنه ولجها تماما .. أين الدم .. كرر المحاولة ولم يكن هناك قطرة دم واحدة .. شاهد وجهها منتفخا وعينيها جاحظة كمن صعقته الكهرباء .. رأت هى سؤاله فى عينيه ، ولم يكن لديها إجابة بالطبع .. مدت سماح يدها وأدخلت أصبعين فى

مهبلها تبحث عن شئ غير موجود .. تقوقعت على نفسها عارية على السرير تنتظر المصير .. بينما ابراهيم اعتدل جالسا يلهث .. يتسائل : ظل يتمنى من ترضى أن تكون زوجة له .. وحين وجدها يأبى القدر أن يجعله يهنأ بحياة جديدة طالما تمناها .. ماذا يفعل الآن ؟ .. انهم بالخارج ينتظرون المنديل الدامى .. هل يخرج ويخبرهم أنها ليست بكرا ؟.. أم ينهال عليها ضربا ؟ .. نظر فى وجهها المحملق فى وجهه بذهول وترقب .. فتح فمه ليسألها ، فلم تخرج الكلمات من وطأة الموقف عليه .. اكتفى بعيون دامعة ، قرأت هى فيها ما يريد قوله .. أصوات تقترب بالخارج .. حتما يستعجلون المنديل .. تلفت ابراهيم حوله ولمح إبرة مغروزة فى الطرحة الملقاة فوق فستان الزفاف على الأرض .. تحامل على نفسه ليصل حيث العكازات ملقاة ، لكنه سقط أرضا مع صوت خبطات على الباب .. نهضت سماح وناولته العكازين تنتظر المصير .. بل هى راضية ومتقبلة لأى شئ .. رأت ابراهيم يضرب الأرض بعكازيه ويصل الى حيث فستان زفافها ويتناول الإبرة .. أمسك

بالمنديل وظل يخز أصبعه الإبهام حتى تبلل المنديل بدمه .. فتح الباب وهو متوارى بجسده العارى خلفه وألقى لهم بالمنديل ، ثم عاد يجلس على طرف السرير يلهث .. هنا أدركت سماح أن عليها شيئا يتحتم فعله .. هرعت تحضر منديلا وأحاطت به أصبع ابراهيم النازف لتمنع الدماء .

****

-١٣-

العلاقة بين الإخوان المسلمين وأمن الدولة علاقة مضحكة .. بل إنك إذا أمعنت النظر فى تفصيلات جزيئات تلك العلاقة ، ستجد أنها تشبه الى حد كبير أفلام (توم وجيرى) .. القط توم هو ضابط أمن الدولة والفأر جيرى هو الإخوانجى .. تحولت العلاقة بينهما الى أمور روتينية بحتة .. يعلم جهاز أمن الدولة كل شئ عن الإخوان ، الصغيرة قبل الكبيرة .. واجتماعات الإخوان مسجلة بالصوت والصورة فى كثير من الأحيان

.. وتتم التحقيقات من خلال النيابة العسكرية وفى النهاية هو الحكم (الإستانبة) .. بتقييد الحرية والمنع من مغادرة المنزل بعد ثبوت أنه من القيادات العليا وضالع فى التخطيط لتنظيم الإعتصامات والمظاهرات ، ثم يتم الغاء الحكم فى الإستئناف بعد شهرين أو ثلاثة .. وأعتادت قيادات الجماعة الناشطة على ذلك بل تأقلموا وتوائموا مع هذه الحياة ، كلما شبت المظاهرات أو فى أوقات الإنتخابات .. يفتح أحدهم باب منزله ليجد ضابط ومخبرين ويسمع

- احنا آسفين لإزعاج سيادتك .. بس محتاجينك كام يوم عندنا

فما يكون منه سوى إعداد حقيبته والذهاب الى الإعتقال حتى تهدأ أحوال البلاد أو تنتهى الإنتخابات ويتم الإفراج عنه .. حتى أسرهم وعائلاتهم اعتادت غياب ذويهم لفترات طويلة ثم عودتهم من جديد .. هكذا يسير الأمر على مستوى القيادات .. المشكلة الكبرى لدى الجماعة هى إفتقاد المرشد الأعلى للجماعة للحكمة الكافية لإدارة الأمور ، كذلك عدم وجود قناة اتصال بينهم وبين وسائل الإعلام وعامة الناس ، وذلك

لعدم وجود متحدثين باسم الجماعة لخلق قناة اتصال .. فلا يدرك الناس أن سر قوة الجماعة فى ايجابية شباب المنتمين إليها ، أما القيادات فهى بين العمل العشوائى العبثى والإعتقال .. وللحق لا تمارس أجهزة أمن الدولة مع الإخوان فى وقتنا الآن ما كانت تمارسه فى عهد عبد الناصر بعد الثورة ، وآواخر عهد السادات وبداية الثمانينات : من التعذيب المفرط والصعق بالكهرباء والجلد وحتى الإغتصاب على غرار فيلم (احنا بتوع الاتوبيس) .. ولم يكن ذلك من باب الشفقة لا سمح الله أو لحرية الرأى والتعبير وحقوق الانسان حاش لله .. وإنما كان مبعث تغير معاملة أجهزة الأمن مع الإخوان أثناء الإعتقال والتحقيقات هو التكنولوجيا .. فالغرض من التعذيب هو انتزاع الإعترافات وجمع المعلومات .. ومع تطور وسائل الإتصال التكنولوجية وظهور أجهزة التعقب والتجسس المتناهية فى الصغر والدقة من كاميرات ومايكروفونات دقيقة ، وأجهزة الكمبيوتر المتطورة التى تستعين بالأقمار الصناعية للتصوير بأشعة اكس والأشعة تحت الحمراء ..

أدى ذلك لأن يصبح كل شئ معلوم لدى أجهزة الأمن والمخابرات ، وبالتالى لا توجد حاجة ملحة لإنتزاع اعتراف أو معلومات عن طريق التعذيب إلا فى حالات قليلة .. ومن هنا صارت علاقة الإخوان بالأمن علاقة كرتونية تشبه أفلام توم وجيرى .. مجرد أوراق تُملأ وملفات تُستكمل ، والغرض من الإعتقالات لقيادات الجماعة الإسلامية هو إبعادهم عن تخطيط وتنظيم المسيرات فى أوقات الإنتخابات ، وكذلك ابعادهم عن المظاهرات فى أوقات الهجوم الإسرائيلى على قطاع غزة وأرجاء فلسطين ، وبعدما تهدأ الأمور يتم إطلاق سراحهم .. هذه هى علاقة أجهزة أمن الدولة مع قيادات الإخوان ، ولكن ما بال النشئ الصغير مثل هشام ، كيف يتم التعامل معه ؟ .. سنجد أنهم يتعاملون معه بغرضين .. الأول هو الإمعان فى إذلاله وإهانته اعتمادا على أنها المرة الأولى له التى يحضر فيها لأمن الدولة عكس القيادات التى تُعامل بمعاملة حسنة ، فربما يدفعه ذلك الى التخلى عن حماسه والابتعاد عن الجماعة ، وبالفعل ينجح ذلك فى بعض الأحيان ، والغرض الثانى هو

وضع هذا الناشئ تحت المتابعة من خلال عمل ملف له يحوى كل بياناته ونشاطاته ويكتب عليه (تحت المتابعة) ، فإذا ابتعد ولم يظهر فى مظاهرات وأنشطة الجماعة لفترة طويلة ، يُكتب على ملفه (عنصر متعاطف وغير منظم) .. أما إذا ثبت نشاطه وتوغله فى التنظيم ، إذن فيعامل مثل القيادات المعروفة .. حيث يتم اعتقاله وقت الإضطرابات السياسية والإنتخابات .

****

العربة الزرقاء الكبيرة المصفحة تتجه الى مبنى أمن الدولة وبداخلها هشام ورفاقه بعد القبض عليهم فى المظاهرة بداخل الكلية .. يجلس هشام تخترق أنفه رائحة القناع الأسود العطنة التى تخفى رأسه ويديه مكبلتين خلف ظهره .. كان الظلام الذى يحيا فيه فى تلك اللحظات نافذة للغوص فى بئر عالم آخر .. عالم فلسفى يعتمل بسريرته ويجعله يتسائل ، لماذا قبضوا عليه ؟ .. هل لأنه يقول ربى الله ؟ .. هل لأنه يقول الإسلام هو الحل ؟ .. هل لأنه يناصر بلسانه اخوته المسلمين المعذبين حول العالم ؟ .. إنه لم

يكسر شيئا ، ولم يحطم شيئا ولم يشعل النار فى سيارة ولم يكسر زجاجا .. لماذا تركوا المجرمين فى البلد طليقى السراح وقبضوا عليه هو ؟ .. تذكر قول الله (أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .. ولقد فتنا اللذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .. ابتسم هشام راضيا فهذا هو الإمتحان الإلهى على صدق إيمانه ليمحص الله اللذين آمنوا ويمحق الكافرين .. ظل يردد الآيات ويسبح ويحوقل حتى شعر بالسيارة تتوقف ، وصرير الباب يفتح ويدفعه العساكر لتتلقفه آيادى غليظة كبيرة تنهال عليه صفعا وركلا ويسمع

- يا للا يا روح أمك منك له

سمعها أثناء صفعة قوية على قفاه جعلته يترنح ويسمع الصوت يقول

- لما أنت مش قادر تصلب طولك يا خول .. ايه اللى ماخليك تعمل مظاهرة يا ابن الوسخة

كان هذا فوق ما يحتمل هشام وبكى خلف القناع الأسود ، اقتاد الرجال هشام ورفاقه والصفعات

والركلات لا تتوقف حتى ألقوا بهم فى الزنزانة ، ورفعوا الأقنعة القماشية السوداء واستبدلوها بعصابة حول عيني كل منهم ، وحرروا آياديهم المقيدة ، ولم يكن الأمر يحتاج الى التنبيه بعدم اقتراب آياديهم الى العصابة .. الموقف جعلهم يدركون أن ذلك جريمة عقابها أليم .. لم يمر الكثير من الوقت حتى اقتادوهم واحدا واحدا الى التحقيق ، ووقف هشام معصوب العينين لا يدرى زمانا ولا مكانا بعدما حظى قبل دخوله ببضعة صفعات على قفاه ووجهه بالإضافة الى ركلتين عنيفتين على مؤخرته .. وسمع صوتا أجشا قويا وكأنه يأتى من كهف بعيد يسأله

- اسمك ايه يا خول يا متناك ؟

تباطئ هشام فى الإجابة وسرعان ما نطق بالاسم وهو يكابد رغبة البكاء بعد صفعة عنيفة من الرجل الذى اقتاده الى هنا وصاح فيه

- رد بسرعة يا ابن المتناكة ولا عاوز تتناك يا خول

استمرت الأسئلة عادية عن بياناته ودراسته ولكن كان يتخللها سؤال مفاجئ مصحوب بركلة أو صفعة أو شتيمة

- ايه اللى وداك الاجتماع مع وائل ابو سمرة فى وسط البلد ؟

لم يكن هشام يتوقع أنهم يعلمون كل شئ الى هذا الحد ، ولكنه يجيب بالنفى على الدوام .. كان التحقيق أشبه بروتين محفوظ يؤديه الضابط ، نفس الأسئلة تتكرر والنفى المتوقع .. حتى الركلات والصفعات والشتائم والحركات الأبيحة (كأن يمسك أحدهم مؤخرة هشام يعتصرها بكفه) وهو يقول له

- طيزك كبيرة طرية يا خول عاوزه تتناك

كلها كان غرضها واحد وهو جعل الشاب يربط بين نشاطه فى الجماعة من جهة ، والإهانة والذل من جهة أخرى .. فإذا قرر مثلا الإشتراك فى تنظيم مظاهرة يرتبط فى ذهنه على الفور الصفعات والركلات والشتائم والإهانات و(البعابيص من فوق البنطلون) .. مما يجعله يراجع نفسه خصوصا إذا كان من الناشئين المتحمسين فى البداية ، فإذا قرر الإستمرار وقبض عليه للمرة الثانية سيكون مثل مراكش التى جنت على نفسها .

تتكرر نفس الأحداث بين الزنزانة وغرف التحقيقات ، والعيون معصوبة على الدوام .. ألقوا لكل واحد برغيف خبز وقطعة جبن .. الصفعات والركلات والشتائم لا تتوقف ، وانقضت ثلاثة أيام كأنها ثلاثة سنوات على هشام ورفاقه ، وسمعوا من أحد العساكر انهم سيخرجون الليلة .

* * * *

قبل منتصف الليل وعلى مقربة من مبنى أمن الدولة كان الأسطى حسن قليل الحيلة لا يدرى ماذا يفعل ؟ .. لا يستطيع العودة الى البيت من دون هشام ويظل يبكى طوال الليل على ابنه الضائع ، شاعرا بالتقصير فى تربيته وعدم منعه من السير فى طريق الإخوة الذى أودى به الى ذلك المصير .. لم يذق طعم الزاد منذ ساعات عديدة .. يقترب بجسده النحيل ووجهه الشاحب كالموتى من بوابة المبنى الكبير ويسأل أحد العساكر بصوت واهن

- هو اللى مقبوض عليهم فى المظاهرة اللى كانت فى كلية الطب هيطلعوا امتى ؟

قبل أن يتلقى ردا رأى رجلا ضخما ممسكا بجهاز لاسلكى يصدر أزيزا بين الحين والآخر ، ولأن من هم على شاكلة الأسطى حسن السمكرى بملابسه الرثة وشكله الفقير دائما ما يكونون مطمع لأولائك اللذين لا يتعدى كونهم خريجى معهد أمناء الشرطة ليمارسوا عليهم احساسا زائفا بالقوة والسلطة .. وهذا يفسر اقتراب الرجل الضخم الممسك باللاسلكى يصيح فى حسن

- انت يا راجل انت مش جيت هنا من شوية ، وقلت لك ما تهوبش هنا تانى

قالها وهو يلكز حسن فى كتفه ، ليرد حسن على الفور متوسلا يكاد يقبل يديه

- معلش يا باشا .. ابنى بقاله تلات ايام هنا ومش عارف أوصل له

لم يدرك حسن بالطبع أن خنوعه ونبرة صوته المتوسله ستدفع الرجل الى مزيد من التسلط عليه ، وبالفعل دفعه الرجل يقول آمرا

- روح تابع مع القسم بتاع منطقة ابنك .. يا للا من هنا

قالها الرجل وهو يدفع حسن بعيدا .. لكن حسن لم يحتمل من فرط إجهاده ذهنيا وجسمانيا ، فسقط أرضا فاقدا للوعى .. جرجروه بعيدا حتى لا يرى ذلك المنظر أحد الضباط الكبار وتكون كارثة على رؤوسهم .. سكبوا على وجهه بعض الماء وبعدما أفاق رأف بحالته أحد العساكر وقال

- كل اللى هنا هيخرجوا الليلادى .. روح اقعد على القهوة اللى جنبنا وأنا هاتصل بيك

جلس حسن على المقهى يحتسى العصير حتى لا ينهار جسده مجددا .. يشعر بأنه لا يساوى شيئا بعدما تلقاه من إهانة لمجرد أنه يبحث عن ابنه الغائب .. تمنى فى هذه اللحظة لو كان رجلا قويا ذا مال ونفوذ ، فحتما لما كانوا نهروه وأهانوه .. أفاق من شروده على اتصال العسكرى يخبره أنهم سيخرجون الآن .. فزع يحث الخطا حتى وصل الى العربة الزرقاء المصفحة الكبيرة وهى تتحرك ببطء ، ونادى وهو يجرى الى جوارها

- هشام .. هشام

كان صوته مطموسا الى جوار صوت محرك السيارة .. لكن هشام سمع صوت أبيه فوقف ينظر من خلف سلك الشباك الصغير .. مجرد لمحة رأى فيها حسن وجه ابنه من خلف الشباك الصغير ، كانت كفيلة لأن تتدفق دموعه بينما أسرعت العربة تبتعد .. توقف حسن لاهثا وعلم أنهم سيُوزعون على أقسام الشرطة التابعين لها .. اتجه حسن الى قسم شرطة دار السلام ، وجلس بالقرب على حجر كبير ينتظر هشام الذى قاوم رغبة البكاء وهو يرى أباه يجرى الى جوار السيارة ينادى عليه .. لم يكن هشام يريد أن يبدو ببكائه أمام رفاقه بأنه ضعيف الإيمان ، رغم أن رغبته فى البكاء فى هذه اللحظة لم تكن مما تلقاه بداخل مبنى أمن الدولة وإنما بسبب ما رآه على وجه أبيه .

وصل هشام الى قسم شرطة دار السلام فى الثانية فجرا، وعلم حسن أنهم لن يفرجوا عن ابنه الا بعد عرضه صباحا على مديرية الأمن للكشف إن كانت لديه سوابق أم لا ؟ ، وإذا لم يكن لديه شئ سيخلى سبيله بعد العرض على

المباحث بداخل القسم فى التاسعة من مساء الغد .. اشترى حسن بضعة ساندويتشات ودفع للعساكر ليتمكن من الوصول الى باب الحجز ويناول هشام ما أحضره له من طعام من بين القضبان الحديدية لشباك باب الحجز .. كانت يد حسن ترتجف وهو ينظر فى وجه ابنه من خلف القضبان بينما هشام يشيح بوجهه لا يقدر على النظر فى وجه أبيه .. عاد حسن الى بيته بعد الفجر وألقى بجسده على السرير بملابسه كما هى وسرق من الزمن سويعات معدودة .. استيقظ بعدها وأسرع فى السابعة صباحا الى القسم ، ليرى السيارة تقل ابنه ومعه المجرمين الى مديرية الأمن .. ظل جالسا أمام القسم حتى حلت التاسعة مساءا ، ولما رأى ابنه هشام قادما من بعيد ، هب واقفا .. كاد يجرى عليه ويحتضنه .. كاد يبكى وهو يرى وجهه المكفهر وعيونه الذابلة .. ظل يبتلع ريقه مكابدا رغبة البكاء ، لا يدرى ما هذا الذى يشعر به ؟ كان يشعر أنه أمه وليس أباه .. فجأة انتصب ورفع رأسه وتحولت عيناه الدامعة الى عيون قاسية جامدة وكأنه يخلع رداء الأم ويلبس رداء الأب ،

وبات هشام على بعد خطوة منه مطأطئ الرأس .. هوى حسن بصفعة قوية عنيفة على وجه ابنه هشام الذى بكى منتحبا على الفور .. لم يبكى هشام من صفعة ابيه بل بكى خجلا مما فعله بأبيه ، فهو يعلم مدى حبه له وكان أكثر ما يشغله فى الأيام الأربعة هو معاناة والده الذى أعطاه ظهره ومضى بخطى مجهدة يخفى دموعه المترقرقة ، وسار من خلفه هشام عائدان الى البيت .

****

كانت ليلة عصيبة بحق تلك التى مرت على شهد سامح دون أن تذق طعم النوم وهى تفكر فى مستقبلها الفنى والفرصة التى جائتها من جهة ، وتحاول أن تجد توصيفا لعلاقتها بوليد من جهة أخرى .. الشئ الوحيد الذى ساعدها على اتخاذ قرارها هو أنها راجعت حياتها بالكامل مع وليد ، فلم تجد أنه قال لها (بحبك) ولو مرة واحدة بعيدا عن الجنس .. ربما لو كانت سمعتها منه لتغيرت الأمور .. ربما .. هى مجرد محطية

يمتلكها ويستمتع بها لا أكثر ، فعليها إذن أن تمضى فى حياتها .. فى هذا اليوم اعتنت بجسدها وتأنقت على أفضل ما يكون .. ذهبت الى شقة المنتج السينمائى شريف عبد القادر الذى كان ينتظر بل يتوقع حضورها .. يدرك أنها حتما لن ترفض دور بطولة مشتركة فى فيلم وكل ما حظت به من قبل أدوار صغيرة .. استقبلها شريف يرتدى روبا حريريا قرمزيا على قميص سماوى وبنطلون كحلى وقال

- أهلا بالنجمة .. أكيد وحشتك الشقة دى .. ولا إيه ؟

قالها ثم ضحك عاليا ليهتز كرشه الضخم ، وادركت شهد أن حوارها مع شريف سيكون مكشوفا ، لذا ما إن جلست على الأريكة الجلدية حتى قالت

- عجبنى الدور يا شريف بك .. طلباتك ايه ؟

ضحك شريف وهو يعد كأسين من الويسكى وناول إحداهما لشهد وقال

- انتى عارفه طلباتى يا جميلة الجميلات

رشفت شهد رشفة من الكأس وقالت رافعة حاجبها الأيسر

- آه .. بس الدور المرة دى مختلف
- كل حاجة وليها ثمنها .. ولا إيه يا نجمة ؟
هكذا سأل شريف وهو يشعل سيجارة وينفث دخانها ثم يتابع
- امضى العقد الأول
قالها وهو يشير الى المنضدة الموجودة أمام شهد التى التقطت العقد تتصفحه سريعا ، ورأت المقابل المادى أكثر مما كانت تتوقع ، وسرعان ما كان توقيعها مستقرا على العقد وقالت متنهدة
- تحت أمرك
تنهد شريف وعلى وجهه ابتسامة مقيتة وقال
- أنا ما ليش طلبات .. بس
بتر جملته لتتسع ابتسامته وعيناه تتفحص جسد شهد الممشوق ويتابع
- كل ما احتاجك طول ما احنا بنجهز ونصور الفيلم تكونى معايا

قالها ونهض متجها ببطء تجاه شهد وجلس الى جوارها ، أربد وجهه بالإثارة وهو يمعن النظر الى صدرها المكتنز ويقول بصوت مفعم بالرغبة

- انتى عارفة أنا لا يمكن أنسى واحدة كانت معايا ع السرير ولو مرة واحدة .. وعمرى ما نسيت انك اجمل واحدة عرفتها

لم يكن شريف يكذب لاستمالة شهد .. بالفعل كانت شهد هى أجمل امرأة ضاجعها شريف .. اكتفت شهد بنظرة مثيرة وهى تمد يدها تمسح على وجهه السمين .. كانت تلك المسحة هى شرارة البدء وبدأت القبلات والمداعبات .. قامت شهد تخلع ملابسها أمام شريف الذى تدلى طرف لسانه وهو يرى ذلك الوجه الفاتن المثير للشهوة ، وثدييها العامرة المتدلية بحلماتها الوردية النافرة وهى تميل لتخلع كيلوتها فتصير عارية تماما ، ولما أمسكت يده تجذبه واستدارت تتجه به لغرفة النوم رأى مؤخرتها الطرية اللينة تتماوج تناديه لإختراقها من الخلف .. على السرير الوثير بداخل غرفة النوم الفخيمة كانت شهد ممسكة بقضيب شريف الراقد على ظهره عاريا تدلكه بكفها وتمتصه بإحتراف عاهرة .. جلست عليه كفارسة على حصانها تعلو وتهبط بمهبلها يعتصر قضيبه وتتأوه متصنعة التمحن

واللذة ، فتدفعه الى المزيد من اللذة والمتعة .. وسمعته يقول لاهثا
- انتى حقيقى فنانة

قام شريف وأرقد شهد على ظهرها مباعدا بين فخذيها و نام فوقها قابعا على صدرها يلهث يقبلها .. شعرت شهد المتأوهة بتمحن من تحته ، بأن هذه المرة مختلفة عن المرات السابقة لها مع شريف .. ابتسمت لأنه على ما يبدو يجعل ممارسته للجنس تتفق مع مساحة الدور الذى يعطيه .. فكلما زادت مساحة الدور كلما طالت ممارسته وصارت أكثر عنفا .. وهى الآن تحظى بدور البطولة .. انتهى الأمر وقضى شريف وطره .. ليتحدثا بعدها عن بدء العمل فى الفيلم .

****

ألقت ميار بالموبايل على الأرض تحت قدمي وليد ، وعينيها غارقة بالدموع .. مال وليد والتقط الموبايل ونظر الى الرسالة المفتوحة التى

قضت على أية محاولات لإصلاح الموقف ..
تنهد وقال

- دى واحدة من اللى كنت أعرفهم من فترة طويلة وهى بتحب تهزر .. بس أنا ماليش علاقة بيها

علا صوت بكاء ميار وهى تقول

- اسكت .. اسكت .. انت ايه ؟ .. طب اتجوزتنى ليه لما انت مش قادر تبعد عن الأشكال دى ؟!

لا يدرى وليد كيف يتصرف وماذا يقول ، فظل صامتا ينظر الى وجهها المحتقن الباكى ثم خرج ليجلس فى الصالة يدخن الحشيش .. حرك رأسه يمينا ويسارا متحسرا .. كان عليه أن ينتبه ولا يتعامل مع زوجته بهذه السذاجة .. لم يكن حتما سيكون فى هذا الموقف إذا انتبه لرسائل شهد وحذفها واستبدل اسمها .. لكنه استهان بعقلية ميار زوجته .. كذلك لم يدرك وليد أن اهانته لزوجته واسقاط فشله فى ليلة زفافهما عليها ، وما قاله لها هو العامل الأكبر الذى جعلها تعرف علاقته بشهد .. رآى وليد ميار وقد ارتدت

ملابسها وحملت حقيبة كبيرة واقفة خلف باب الشقة ولم يزل أثر البكاء على وجهها تقول

- طلقنى يا وليد .. احنا مش هنقدر نكمل مع بعض

قالتها دون أن تنتظر ردا من وليد وخرجت وصفقت الباب خلفها بعنف .. فى الوقت الذى رن فيه جرس موبايل وليد ورأى على شاشته المضيئة (شهد تتصل)

- أيوه يا شهد
- انت فين يا وليد .. باتصل بيك ما بتردش عاوزاك ضرورى
- طب أنا جايلك حالا

****

ما إن دخل وليد الى الشقة حتى جرت عليه شهد مرتديه قميص نوم أسود شفاف دون شئ تحته وشعرها المصبوغ باللون الذهبى منسابا فى دلال والعطر المثير يفوح أريجه فى المكان ، بعدما عادت من شقة شريف .. احتضنت وليد تقبله قائلة

- وحشتنى يا حبيبى .. بقالى تلات ايام ما شوفتكش

قالتها شهد وهى تلثم شفاه وليد الذى لم تكن حالته تسمح بالتجاوب معها ، فسألت شهد

- إيه مالك ؟

قالتها وهى تجذب وليد لتجلس على الأريكة وتجعل وليد ممددا ورأسه على حجرها ، وبعدما علمت ما حدث قالت

- وانت ناوى تعمل ايه ؟

- حاسيبها كام يوم عند أهلها لما تهدا وبعدين هاشوف هاعمل ايه

- ولا يهمك يا حبيبى .. تعالى

قالتها وهى تنهض وتتجه بوليد الى غرفة النوم .. خلعت عنه ملابسه وأرقدته على بطنه فوق السرير .. سكبت على ظهره قليلا من الزيت وشرعت فى تدليك ظهره وتمسيده .. هدأت أعصاب وليد واسترخى .. أدارته شهد على ظهره وأكملت التدليك ومهما كانت حالة وليد إلا أنه تحت آيادى شهد الناعمة لا يملك سوى نسيان كل شئ والغوص معها فى بحر المتعة ، حين قبضت على قضيبه وبدأت تمتصه ولما لعقت ما

تحته تأوه وليد وأمسك ثدييها براحتيه يعتصرهما .. أمتعته شهد فى هذه المرة كما لم تمتعه من قبل وطغت اللذة والمتعة على كل شئ ، وكان هدف شهد هو جعله ينسى ما حدث بينه وبين زوجته من جهة ، وكذلك مدفوعة بإحساس دفين بخيانته مع شريف ، بأن تعطيه ما لم تعطيه لأحد من قبل .. تدللت عليه وهو يمسك بإليتيها ثم استسلمت وتركته يخترقها .. وبعدما انتهيا وخارت قواهما رقدا متعانقين ودفء جسديهما العاريين يمنحهما نشوة ما بعد اللذة .. كانت هذه واحدة من المرات القليلة التى تستمتع بها شهد كأنثى طبيعية وهمست فى أذن وليد

- معلش يا حبيبى أنا خرجت النهاردة من غير إذنك .. ما لحقتش أكلمك .. كان عندى ميعاد مع منتج مرشحنى لدور بطولة فى فيلم .. دى الفرصة اللى كنت مستنياها

قبل أن يرد وليد .. التقمت شهد شفتاه وبدأت نوبة حب ثانية لتختتمها شهد وهى تقول بعد انتفض جسديهما

- انت موافق طبعا انى أمثل الفيلم ده يا حبيبى

أومأ وليد برأسه موافقا قبل أن ينعما بنوم ما بعد اللذة .
استيقظا مبكرا وبعد الإفطار نزل وليد الى عمله فى حين تلقت شهد اتصالا من شريف عبد القادر يطلبها لمقابلة المخرج وفريق العمل لبدء الإعداد للفيلم .. تهيأت وأعدت نفسها وذهبت اليه .

*   *   *   *

حسب الموعد فى الواحدة ظهرا كانت شريفة تضغط جرس شقة عماد الذى كان متأهبا فى انتظارها يمنى نفسه بمتعة طبيعية من لحم ودم بدلا من يورجانة .. استقبلها بترحاب وسمعها

- ميرسى أوى يا دكتور عماد على الميعاد الخصوصى ده .. انت جيت مخصوص ليا
- لأ أنا عايش هنا

جلس عماد على مكتبه بينما شريفة اتجهت مباشرة الى سرير الكشف تقول

- عندى تنميل من تحت بيجينى على طول

قالتها وهى تتهيأ وترقد على سرير الكشف وتضع ساقيها على العمودين ، ولحق بها عماد وبدأ فحص ما بين فخذيها دون أن يرتدى الجوانتى اللاتكس ، فهو متأكد أنها لا تعانى من التهابات .. وبالفعل لم يكن ما بين فخذي شريفة سوى شفراتها النظيفة اللامعة المنتفخة .. مد عماد مداعبا بإبهامه بظرها الذى انتصب وهى تطلق آهة ماجنة وترنو لوجه عماد ووجها محمر من اثارتها .. مال عماد تجاه رأسها وقبلها وقالت بدلال

- لأ يا دكتور .. انت عايز ايه بالظبط

ضحك عماد وقال

- انتى عجبتينى من ساعة ما شوفتك

كانت هذه الجملة كافية لتنهض شريفة مع عماد الى غرفته وتعطيه جسدها .

لم تكن مدام شريفة تحتاج من عماد المرور بالمراحل الثلاثة لكى يصل لجسدها .. لأنها وجدت الرجال ممن عرفتهم يختفون من حياتها بعدما كبروا فى السن وأصبحوا عجائز لم يعد

لديهم طاقة المغامرة والمتعة .. كذلك ضاقت بعلاقتها مع الصبى فادى صاحب الخمسة عشر عاما ، وأدركت الفجوة الهائلة بينها وبينه ، ومن هنا وجدت عماد فى طريقها يوم كانت عنده بسبب نزيف ميار ، وأعطاها رقمه الخاص الذى كان إشارة المرور اليه .. لذا استبدلت ما تحتاجه من التدليل بشئ آخر جعلها تشعر بشعور مختلف ، وهو أن تقدم نفسها لعماد بهذه الطريقة .. اعتادت دائما قبل ان تمنح جسدها لرجل أن تسمع منه كلمات الغزل ثم تتدلل عليه ثم يتوسل اليها حتى ينالها ، لكنها هذه المرة قامت بالمبادرة .. هى التى اتصلت بعماد وهى التى جائته طالبة .. كانت تشعر بإثارة وهى تعرى نصفها الاسفل وترقد على سرير الكشف تباعد بين شفراتها بيديها لإثارة عماد ، احساس جديد ومختلف اعتراها وهو يستجيب ويداعبها ثم يقبلها ، وجعلها ذلك تشعر بمتعة كبيرة وهى تمارس الجنس مع عماد فى نوبة قوية وطويلة أشبعت جسدها المتأجج .

أما عماد فلم يكن كل ما يريده من شريفة سوى أن ينعم بممارسة جنسية حقيقية وطبيعية بدلا من ممارساته الشبحية مع يورجانة ، ولأن الجنس الحقيقى لا يقارن بالجنس الشبحى .. استمتع عماد كثيرا وشبع جسده المحروم .. جلسا عاريين ينظر كل منهما للآخر ممتننا على ما منحه له من متعة وتبادلا حديثا ليتعرفا على بعضهما أكثر وهما يدخنان السجائر ، حتى تلقت شريفة اتصالا من مدام مريم تقول

- ايوه يا شريفة وليد حكى لك
- لأ .. فى ايه ؟
- مش هينفع فى التليفون عاوزاكى حالا
- أوكيه أنا هاجيلك

نهضت شريفة واقفة لترتدى ملابسها ، فوقف عماد واحتضنها من الخلف يقبل رقبتها ويعتصر بيديه ثدييها التى تهدلت بعض الشئ بسبب سنها وسأل

- ما قولتليش عندك كام سنة ؟
- ١٨
- ياه شكلك أصغر من كده بكتير

قالها عماد ضاحكا لترد شريفة

- أنا عندى خمسين سنة
- بس انتى محافظة على جمالك ومهتمة بجسمك جدا

ضحكت شريفة فى ميوعة وقالت

- عجبك جسمى ؟
- جدا جدا

استكانت شريفة ومالت بجذعها قليلا للأمام وأمسكت بقضيب عماد الذى انتصب مجددا بسبب التصاقه بمؤخرتها الطرية الكبيرة ووجهته الى فتحة مهبلها تقول بدلال مثير شبق

- اتفضلنى

نال منها عماد متعة عارمة ولذة غارقة على هذا الوضع وهما واقفان ، وبعدها ارتدت شريفة ملابسها وقالت

- هاستنى تليفونك

قالتها وغادرت متجهة الى مدام مريم ، بينما جلس عماد يتابع القنوات الإخبارية وقناة الجزيرة حتى حان موعد العيادة ، وتلقى اتصالا من الشيخ أحمد عبد القادر يقول

- الو يا إكسلانس .. يورجانة وخداك منى ولا إيه ؟.. ما تيجى نتعشى الليلة مع بعض
- أنا كمان عاوز أشوفك .. هاعدى عليك بعد العيادة

****

لم تعد مدام سناء قادرة على إخفاء ما بداخلها من قلق شديد ، وبدا ذلك واضحا على سلوكياتها حيث باتت عصبية ومتوترة على الدوام ، والسبب فى ذلك هو خالد الذى لم يتصل بها منذ أكثر من عشرة أيام ، ومكالماته قصيرة وغامضة .. هى لا تعرف سوى أنه سافر الى الغردقة كما أخبرها .. لكنها بغريزة الأم لا تطمئن على سلامته ، فى هذه الليلة كانت تجوب غرفتها بداخل الفيلا فى عصبية لا تكف عن التدخين واحتساء النبيذ .. ضاعف الخمر من توترها وشعرت بالخوف .. لم تجد بدا من الاتصال بزوجها مجدى تطلبه للحضور .. لم يمضى الكثير من الوقت حتى حضر مجدى لتبادره

- خالد يا مجدى
- ما له خالد ؟!
- بقاله أكتر من شهر ونص مش عارفة هو فين ؟ وتليفونه مقفول على طول
- أنا لما اتصلت بيه أكتر من مرة ولقيت تليفونه مقفول .. كلمتك وانتى قلتى انه مسافر الغردقة .. معناته ايه اللى بتقوليه دلوقتى ؟
- هو قال انه رايح شغل فى الغردقة ، وكان بيتصل كل كام يوم يقول انا كويس متقلقوش عليا ويقفل التليفون قبل ما افهم منه حاجة

حدق مجدى فى وجهها بغيظ وقال بغضب
- وليه ما اتصلتيش تقولى لى الكلام ده من الأول ؟

لم ترد سناء واكتفت بنظرة فهمها مجدى وهى تنفث دخان سيجارتها .. تنهد مجدى وقال بنبرة واثقة جادة
- خالد ابنى يا سناء .. ولو انتى جاية تعيدى اللى فات من سبعة وعشرين سنة تبقى

غلطانة ، خالد طول عمره مالوش أب
غيرى وهيفضل ابنى غصب عنك يا سناء
ضحكة خافتة من سناء ونظرة مستنكرة وقالت بنبرة ساخرة

- لا والله فيك الخير

ازداد غضب مجدى وأربد وجهه لتشيح سناء نظراتها عنه وكأنها تعتذر وتسمعه يواصل

- أنا مش هاعاتبك دلوقتى .. واضح انك سكرانة .. خلينا نشوف هنعمل ايه عشان خالد .. احكيلى كل اللى تعرفيه

تنهدت سناء وقبل أن تبدأ فى الكلام دق جرس الباب .. نهض مجدى ليفتح فهاله ما رأى .. خالد يقف أمامه بجلباب أبيض قصير ولحية طويلة (لم يتم حلقها على مدار ٤٥ يوم) ، وعمامة تتدلى أطرافها خلف رأسه يحمل على كتفه حقيبة كبيرة .. ابتسم فى وجه أبيه وقال

- السلام عليكم

قالها وهو يحتضن ابيه المذهول ، ودخل ليرى والدته المحملقة فى وجهه ينتظر مترقبا ما استعد له .. فهو يعلم أن التزامه لن يكون بالأمر الهين على أبويه وعليه أن يقابل ثورتهم المتوقعة

باللين ، حتى يدركوا الأمر على حقيقته ، أنه أنعم الله عليه بالهداية ويعرف أنهما يعتقدا الآن أنه صار عضوا فى تنظيما ارهابيا مثلما يشاهدا فى التليفزيون .. سأل خالد مبتسما

- ازيك يا ماما ؟

لم ترد أمه من فرط ذهولها ، واقتربت منه ليشم رائحة الخمر الممزوجة برائحة التبغ ويسمعها تسأل

- ايه ده ؟!!

قالتها وهى تمد يدها تجذبه من ياقة الجلباب ، وكأنه طفلها الصغير الذى تسبب بعبثه فى اتساخ ملابسه وعليها أن تنهره وتعاقبه .. حافظ خالد على ابتسامته ورد

- قصدك لبسى .. دا السنة عن النبى (ص)

فجأة هوت سناء على وجه خالد بالصفعات تباعا ، مما جعل مجدى يندفع للحيلولة بينها وبين خالد المستسلم للصفعات .. القلق الذى عاشت فيه سناء أثناء غياب خالد وفقدانها للقدرة على التحكم فى نفسها فى هذه اللحظة بفعل الخمر ، وعدم فهمها لما حدث له ، نتج عن ذلك صفعاتها

على وجه ابنها .. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت أشبه بأم خطفوا منها ابنها وهى تقاوم مجدى فى محاولة الوصول الى خالد مجددا تصرخ

- سيبنى .. ابعد عنى

اضطر مجدى لحملها بين زراعيه معتصرا وسطها وألقى بها على الأريكة يصيح

- اهدى يا سناء عشان نعرف فى ايه ؟

توجه مجدى تجاه خالد المطرق رأسه وقال

- كنت فين المدة دى يا خالد ؟

- كنت خارج فى سبيل الله

قالها خالد وهو يستعيد ابتسامة ودودة .. وسأل مجدى

- يعنى ايه خارج فى سبيل الله ؟

قالها مجدى وهو يجلس بجوار سناء التى شحب وجهها وأشعلت سيجارة بيد مرتجفة

- اقعد يا خالد واحكى لينا اللى انت عايز تقوله

جلس خالد أمام أمه وأبيه ، وخلع العمامة والطاقية عن رأسه وقال

- ربنا انعم عليا بالهداية .. وصدقونى ما تخافوش عليا .. أنا عارف ان منظرى كده يخليكوا تفتكروا إنى بقيت ارهابى أو تبع منظمة .. انا مجرد مسلم ملتزم .. خرجت مع ناس ملتزمين بندعو الناس للهداية .. كنت فى المنوفية والمنصورة والدقهلية أربعين يوم

صاحت سناء تقول

- احنا السبب لما سيبناك تعمل اللى انت عاوزه

قاطعها مجدى موجها كلامه لخالد

- طب اطلع انت دلوقتى اوضتك استريح وبعدين نتكلم

نهض خالد بهدوء وصعد الى غرفته فى حين تحدق سناء بغضب فى وجه مجدى وبمجرد اختفاء خالد عن انظارهما ، اندفعت سناء تقول

- معاك حق .. دلوقتى بس أنا أتأكدت انك أبوه .. بدل ما تربيه من جديد بتقول له اتفضل استريح ونتكلم بعدين .. قد ايه انت أب مثالى

تحمل مجدى سخرية زوجته والتمس لها العذر بسبب وطأة الموقف وقال بهدوء

- الموضوع أكبر من إن احنا نندفع من غير ما نفهم اللى حصل .. أنا هاتصل بدكتور متخصص وآخد رأيه ، وهو هايشير علينا بإيه اللى نعمله .. لازم نفهم خالد بيفكر ازاى ؟ عشان نقدر نتعامل معاه صح

*　　　　*　　　　*

تحول محل (خوليو) الى محل (هداية) وصار ملفتا ومميزا بداخل جراندمول المعادى .. امتلأ المحل بالمصاحف والشرائط والسيديهات الدينية لكبار المشايخ والعلماء ، وعطور المسك والعنبر والمسابح والطواقى والجلابيب والسواك .. كل ما يحتاجه المسلم الملتزم يجده فى محل هداية ، وازداد نشاط المحل وصار مكتظا بالزبائن أغلب الأوقات ، وتوائم الأستاذ بكر مع طبيعة عمله الجديد ، وكانت سعادة خالد بالربح الحلال الذى بدأ يتدفق سريعا كبيرة ، لكن سعادته الأكبر كانت فى

معاملة والديه له وتقبلهم لحاله ، عكس ما كان يتوقع وينتظر ، بل أنه حادث والدته فى الحجاب ودعاها الى ترك الخمر والتدخين ووجدها تصغى له .. لم يدرك خالد أن موقف ابيه وامه ما هو الا نتاج زياراتهم ومتابعاتهم مع طبيب نفسى متخصص أشار عليهما بعدما سمع الحكاية

- بعد اللى سمعته منكم أقدر أفسر حالة خالد دلوقتى انها نتاج انعدام الطموح ووحدة وفراغ نفسى كبير .. ما لقاش هدف وقدوة فى حياته ، وعشان كده الدين من وجهة نظره والطريقة اللى هو اختارها ، هو هدفه فى الحياة دلوقتى .. وأى محاولة منكم للجوء لصدام معاه هتجيب نتيجة عكسية ، لأنه متأهب للصبر على البلاء اللى ربنا هيمتحن بيه صدق ايمانه وهيتمسك أكتر من الأول .. لازم تحسسوه انكم متقبلين وضعه الجديد

قاطعته مدام سناء تقول

- بس يا دكتور ده مش هايخليه يتمادى أكتر من كده ويكون فى خطورة عليه

- أنا فاهم قصدك .. معلوماتى عن الخروج فى سبيل الله وجماعة التبليغ والدعوة أنهم ناس مسالمين وما فيش قلق أو خطورة لأنهم بعيد عن السياسة .. بس ده ما يمنعش ان لازم تكونوا متابعينه كويس .. تبقوا عارفين هو بيقضى يومه ازاى وبيقابل مين .. وأنا بأكد ليكم بحكم خبرتى ان وضع خالد ده مش هايستمر ، لإن التحول السريع بالشكل ده بينتج عنه صراع بين التربية والموروث الثقافى وبين وضعه الحالى .. هو دلوقت عامل زى طفل متشبث بلعبة عجبته وأى محاولة لأخذ اللعبة دى منه هيثور وهيغضب .. لكن بعد فترة نظرته للعبة دى هتتغير وهايبدأ يشوف الأمور بشكل مختلف .. والموروث الثقافى هو اللى هيكون سبب تغير نظرة خالد للإلتزام الدينى .. سيبوه دلوقتى خالص بس تتابعوه وكل اللى محتاجينه ان أصحابه يكونوا حواليه يزوروه ويتصلوا بيه باستمرار .. مش عايزين كل اللى حواليه يكونوا من الإخوة اللى هو

عرفهم من الجماعة .. عشان يبدأ يقارن بين الوضعين

تنهدت مدام سناء متفهمة ومقتنعة وقالت
- أنا ما أعرفش حد من اصحابه غير واحد .. كانوا مع بعض من أيام المدرسة
تدخل مجدى قائلا
- تقصدى وليد نور الدين .. أنا هاكلمه وأقابله

* * *

- يا الله .. ايه المفاجأة الحلوة دى
هكذا صاح خالد وهو يستقبل الشيخ اسماعيل حسين بجلبابه الأبيض وعصا يتكأ عليها والذى أتى لزيارة خالد وقال
- تقبل الله منك صالح الأعمال .. أنا عرفت انك خرجت أربعين يوم بعد ما رحت المركز ثلاثة أيام .. وأول ما عرفت انك رجعت جيت أزورك .. ما شاء الله .. ما شاء الله

قالها الشيخ اسماعيل وهو ينظر الى محتويات المحل الإسلامى ، والزبائن المتوافدين ، ودخل وجلس أمام خالد على المكتب واضعا يديه على العصا.. قال خالد

- يعلم الله انى احبك فى الله
- احبك الله الذى احببتنى فيه
- ربنا جعلك سبب هدايتى ومعرفة طريق الحق

قالها خالد وقد جال بخاطره اسم فاطمة ، فهى السبب الحقيقى لهدايته وسمع الشيخ اسماعيل يقول مبتسما بود

- من يشأ الله يهده الى صراط مستقيم

رد خالد وقد بانت على ملامحه أنه يفكر فى شئ

- الحمد لله

صمت برهة وتابع

- وأولادك أخبارهم ايه .. بيخروجوا معاك ولا لوحدهم ؟ !

هكذا سأل خالد محاولا ألا يبدو متطفلا وفى نفس الوقت يريد أن يجد مدخلا لما تصبو اليه نفسه ، وأجاب الشيخ اسماعيل

- أنا أولادى لسه بيدرسوا .. على وحسن توأم
.. وبنتى الكبيرة معيدة فى الجامعة
ابتسم خالد فقد التقط أول الخط وسأل
- ما شاء الله .. فى كلية ايه هى ؟
- كلية الحاسب الآلى
فكر خالد قليلا أن يسأل هى متزوجة أم لا ؟ حتى يبدو الأمر منطقيا ولكنه اتخذ قراره وقال مباشرة
- أنا بادور على زوجة صالحة .. توافق انى اتقدم لطلب بنتك ؟

قالها مترقبا الرد ، ورأى الشيخ اسماعيل يضحك عاليا ثم يقول
- بس انت باين عليك من عيلة غير طينتنا
أجاب خالد على الفور متحمسا
- والدى والدتى ما وقفوش أمام التزامى زى ما كنت متوقع .. هما شايفين دا حرية شخصية ليا وأنا باحاول دعوتهم للإلتزام
نهض الشيخ اسماعيل ينظر فى ساعته وقال
- يدوبك ألحق صلاة المغرب فى دار السلام

تجهم خالد بعدما ظن أن ذلك رفضا من الشيخ اسماعيل لطلبه ، ولكنه سمعه يقول

- تقدر تيجى تزورنى فى أى وقت

تهلل وجه خالد وقال

- يبقى بكرة ان شاء الله

- انت على طول مستعجل كده .. خلاص تيجى تصلى معايا المغرب فى مسجد النصر بكره .. مشهور فى دار السلام كلها ، أول ما توصل هناك اسأل عليه

****

-١٤-

ربما تجد نفسك مضطرا الى التدخل لتغيير الأمور عن مسارها .. هكذا وجد الأسطى حسن نفسه مضطرا للتدخل لتغيير حياة هشام ابنه .. وليس معنى ذلك أنه لم يكن يعبأ بسير هشام فى الحياة من قبل .. كل ما هنالك أنه كان يشعر أن هشام من عالم آخر غير عالمه .. لم يعرف الأسطى حسن من قبل تعليما ولا تدينا ولما رأى

هشام متفوقا وأكمل تعليمه حتى وصل الى السنة الأخيرة فى كلية الطب وصار مصدر فخره فى المنطقة كلها .. تركه لشأنه واكتفى بدور الممول .. يكد وكدح فى ورشته حيث عاش عمره لا يعرف شيئا سوى سمكرة السيارات .. اقتصرت حوارات حسن مع ابنه كلما رآه منكفئا على المذاكرة

- ربنا ينجح مقاصدك يا ابنى وتبقى دكتور كبير .. مش عايز اى حاجة ؟ .. محتاج فلوس ؟
- لأ .. ربنا يخليك يا بابا

كان الأسطى حسن يشعر أن هشام أكبر منه مقاما .. يرى نفسه مجرد صنايعى (على قد حاله) بينما هشام دكتور .. طلب الأسطى حسن من سماسرة المنطقة بالبحث عن شقة دور أرضى أوضة وصالة تصلح عيادة لهشام بعد تخرجه .. لكنه أفاق من كل هذا خلال الأربعة أيام الماضية ، فهشام مجرد شاب يحتاج الى التوجيه ووجد نفسه المسئول الأول عما حدث لابنه ، وعليه الآن أن ينتهج معه منهجا آخر .

كان المهندس وائل أبو سمرة ورفاقة ومعهم كريم فى انتظار هشام أمام البيت ، ولما رأوه قادما مع ابيه بادروا يحتضنوه يقولون

- حمد الله ع السلامة يا هشام .. قدر الله وما شاء فعل

هنا تدخل الأسطى حسن مسرعا يقول محتدا

- ما تزعلوش يا جماعة .. كفاية لحد كده .. من النهاردة لا ليكوا دعوى بهشام ولا هشام ليه دعوى بيكم .. لازم يلتفت لمذاكرته ويخلص الكلية ومالوش دعوى لا بمظاهرات ولا بسياسة .. كفاية اللى جرالنا .. ودا ما يزعلش

قالها الأسطى حسن جاذبا هشام للدخول للبيت .. بينما ابتسم وائل وقال

- أنا معاك يا أسطى حسن .. بس بعد إذنك انا عاوز أقول لهشام كلمتين قدامك

شعر حسن بالحرج فإذن لهم بالدخول واستقبلت أم هشام ابنها بالأحضان والدموع .. جلسوا جميعا وقال وائل

- بص يا هشام والدك معاك حق .. انت لازم تركز دلوقتى فى دراستك وتنسى أى حاجة تانية عشان تنجح وتروح الإمتياز

خشى الأسطى حسن أن تكون كلمات وائل لإرضائه فقط ، وأراد أن يكون قوى الشكيمة حتى يبتعد وائل ورفاقه عن هشام فقال بنبرة قوية جافة

- أنا عرفت إن اللى بيتمسكوا فى المظاهرات زى هشام بيتعمل لهم ملف فى أمن الدولة وبيراقبوهم ، وكل شوية هتلاقيهم واخدينه لو شافوه ماشى معاكم .. من هنا ورايح هو من البيت للكلية ومن الكلية للبيت .. يروح يصلى فرض ربنا فى المسجد ويرجع على طول .. وأنا عينى مش هتغفل عنه ابدا

اكتفى وائل ورفاقه من المنتمين للتيار الإسلامى بهذا القدر وأستأذنوا مغادرين .. لم يتمكن هشام وأبوه من ان ينعما ببعض الراحة نظرا لتوافد الأهل والجيران لزيارة هشام والإطمئنان عليه .. ونفس الجمل والكلمات المكررة التى تحث هشام

على الابتعاد عن المظاهرات والسياسة ، وعدم الاختلاط بوائل ورفاقه

- دا أنت لو تشوف ابوك يا حبة عينى كان عامل ازاى عشانك ، عمرك ما تعمل كده تانى .. إن ما كانش عشانك يبقى عشان ابوك اللى داير يفتخر بيك

وأراد حسين النوبى السباك أن يضفى بعض البهجة فقال لهشام

- ولا يهمك يا دكتور .. اعمل زى الإخوانجى اللى مسكوه فى أمن الدولة وبعد ما خرج بيراقبوه .. لقوه أول يوم ماشى فى شارع الهرم .. كتبوا على ملفه : (الإخوانجى تاب) .. ولما تانى يوم لقوه سهران فى كباريه كتبوا على ملفه : (الإخوانجى تاب وأناب) .. ولما تالت يوم لقوه بيسرق فى الأتوبيس كتبه على ملفه : (الإخوانجى ساب الإخوان وانضم للحزب الوطنى)

وجائت كلمات الشيخ اسماعيل حسين وهو ينصح هشام

- شوف يا هشام .. مش معنى انك تبعد عن السياسة وتخليك فى دينك ودراستك انك تكون مسلم سلبى .. بل بالعكس .. زى سيدنا الخضر لما خرق السفينة .. العيب مصطنع لتنجو السفينة من القوم الظالمين .. يعنى انت لما تعمل مظاهرات ويتقبض عليك وأبوك وأهلك يتبهدلوا يبقى هو ده الاسلام ؟

صاح الأسطى حسن يؤمن على كلام الشيخ اسماعيل الذى جاء على هواه وقال

- قول له يا شيخ اسماعيل والنبى

قالها الأسطى حسن ثم التفت الى هشام يقول له

- سامع .. أهو عندك الشيخ اسماعيل راجل بتاع ربنا ولا سمعنا ان حد خده أمن الدولة ولا سمعنا انه بيعمل مظاهرات .. يبقى دا راجل مش كويس ؟!

ظل هشام صامتا مطرق رأسه .. وواصل الشيخ اسماعيل يقول بنبرة مقنعة هادئة وهو يداعب لحيته البيضاء بأصابعه

- انت كده عامل زى المثل اللى بيقول إن فى جماعة من الناس نايمين فى الغيط وجت نار

ولعت وقعدت تزحف ناحيتهم ، وكان فى
واحد بس صاحى .. يروح يطفى النار
لوحده فالنار تحرقه ولا يصحى الباقين
يطفوا معاه ؟

ولما لم يرد هشام لكزه أبوه فى كتفه قائلا بنبرة
آمرة

- رد على عمك الشيخ .. ده هو اللى اتلقفك
اول ما اتولدت وأذن فى ودنك

أجاب هشام قائلا بصوت شاحب مبحوح

- يصحى الباقين

تابع الشيخ اسماعيل على الفور

- عشان كده الدعوة الى الدين هى منهاج
المسلم .. لما الناس كلها تبقى مسلمين بحق
ساعتها هنقدر نفرض شرع ربنا

انتهى مولد الزيارت وقد انتصف الليل .. تناول
هشام العشاء مع أسرته ثم رقد ممددا على
سريره يفكر .

*　　　　*　　　　*

إن التجربة الأولى دائما ما تكون الأكثر تأثيرا ، والثانية أقل ومع الثالثة يحدث التعود والإعتياد .. لذا لم يكد هشام يختلى بنفسه حتى ترنح عقله وهو يتخيل الرجل يتم شقه الى نصفين بمنشار من حديد دون أن يرده ذلك عن دينه أبدا .. هكذا قال الرسول (ص) فى الحديث الشريف .. كذلك يتخيل سحرة فرعون بعدما آمنو لموسى وتحملوا فى سبيل إيمانهم أن يُصلبوا على جذوع النخل .. أيرتد هو عن منهاجه بعدما حدث له فى مبنى أمن الدولة ؟ .. هكذا سأل هشام نفسه ، ووجد كلمات الشيخ اسماعيل تغزو عقله ليتسائل أى المنهجين على صواب .. أيذهب ليطفئ النار أم يوقظ الباقين ؟ .. انقبض صدره وهو يستعيد مشهد والده وهو يجرى الى جوار عربة الأمن وينادى عليه ، وأشفق على أبيه أن يتكرر له ما حدث .. وضع هدفا أمامه وهو أن يلتفت الى دراسته فحسب وبعدما يتخرج ويعمل ويعتمد على نفسه يختار منهج حياته كيفما يشاء .. ردد بينه وبين نفسه هذا هو الصواب .. هدأ بعد ذلك

الخاطر الذى استكان له عقله وشعر بالبرد يسرى فى جسده وهوى به الى قاع بئر النوم العميق .

*   *   *

مرت أيام هشام التالية فى الكلية محافظا على محضراته وفصول العملى .. يصلى فى المسجد ويسلم على رفاقه دون أن يقف ويتحدث معهم كما كان يحدث سابقا ، ولما شعروا هم بتغير هشام التمسوا له العذر فما حدث له فى أمن الدولة ليس هينا عليه بالقطع ، احترموا رغبته من جهة .. كذلك فقد صار لهشام ملف فى أمن الدولة وذلك سيؤدى الى اضطراب نشاطهم معه من جهة أخرى .. وأيضا اكتفى المهندس وائل أبو سمرة ورفاقه بأحاديث عابرة مع هشام أثناء مقابلاتهم معه فى المسجد بعد الصلوات وحثه على المذاكرة وانهاء سنته الأخيرة بالكلية .

لايفتأ كريم أبو سمرة من توجيه ابتسامة ساخرة ونظرة متشفية كلما قابل هشام فى دار السلام أو

فى الكلية ، وكان هشام يفهم ما يعنيه كريم لكنه اغتاظ منه فى أحد المرات فى الكلية واقترب منه قائلا

- بدل ما انت قاعد تبص لى كده .. ارمى السيجارة اللى فى ايدك دى وبطل مشى مع البنات عشان ربنا يهديك

ضحك كريم عاليا وقال

- ما أنا اللى كلامى فى الآخر طلع صح

رد هشام محتدا

- كلام ايه اللى صح ؟
- هو مش اليومين دول فى مظاهرات فى الجامعة .. ما عملتلكش مظاهرة فى الكلية ليه ؟

هكذا سأل كريم متشفيا وأجاب هشام

- عشان ما أكونش سبب فى بهدلة أهلى زى ما حصل قبل كده .. وبعد ما اخلص كليتى واستقل بحياتى ، هاعمل اللى انا عاوزه .. ربنا يهديك يا كريم

قالها هشام وهو يبتعد ولحق به كريم

- أنا باهزر معاك يا أخى

- وأنا ما بحبش الهزار ، وبدل ما انت سايب نفسك كده .. يا ريت نشوفك بس فى المسجد
- إن شاء الله هاخرج معاكم الرحلة الجاية
قالها كريم وهو يسمع احدى زميلاته تنادى عليه ، فترك هشام واتجه ناحيتها يقول
- أهلا رانيا

بينما اتجه هشام لحضور المحاضرة وبعدما انتهت وخرج من المدرج عائدا الى البيت سمع صوتا من خلفه يقول بضحكة رقيقة خافتة
- حمد الله ع السلامة

نظر هشام خلفه ليجد يارا نور الدين تقترب منه بخطوات واثقة ونظراتها الجريئة مثبتة على وجهه وتقول
- أنا آسفة على اللى حصل يوم المظاهرة .. بس انت عصبتنى
قالتها وهى تواصل خطواتها ، فلم يكن من هشام سوى أن يسير الى جوارها بقميصه الكاروهات البرتقالى وبنطلونه الأسود وسمعها تقول

- انا كنت فى المظاهرة ومش قادرة أفهم انتوا بتفكروا ازاى ؟ .. وليه ما عندكوش استعداد تسمعوا الرأى الآخر ؟

هذه هى المرة الأولى التى يحادث فيها هشام زميلة خلال ست سنوات من الدراسة فى كلية الطب ، لذلك رد بصوت خافت متلعثم بعض الشئ

- مين قال ان احنا ما بنتقبلش الرأى الآخر ؟ .. بالعكس

قالت يارا بنبرتها الجريئة المتحدية

- بس انتوا قصرتوا فهمكم على الدين بالشكل ده ، وما بتسمعوش غير نفسكم

كان هشام يشعر هو يحادثها أثناء سيرهما جنبا الى جنب .. بتوتر أعصابه وخفقان قلبه الذى يزداد مع استنشاقه لعطرها المثير الفواح .. مما أعطاه احساسا بأنه الطرف الاضعف فى المحادثه ، فأراد أن يبدو قويا واثقا بعدما سمعها تنطق بكلمة (الدين) .. نظر اليها شذرا وقال بصوت عالى

- وتعرفى إيه انتى عن الدين ؟

وكما نعرف يارا نور الدين وطبيعتها الغجرية المتوارية خلف جرأتها وأنوثتها .. توقفت عن السير فجأة ليتوقف هشام ويرى وجهها الذى احتقن وعينيها التى تلتهمه وهى تقول بغضب

- بتبص لى كده ليه .. أروح ألبس لك خيمة سودا ونقاب عشان ابقى بافهم فى الدين ؟

لم يدرك هشام أنه أمام شخصية أنثوية غريبة لأنه لم يحادث غيرها من قبل حتى يتوفر لديه عناصر للمقارنة .. لكنه أدرك أنه لا يجد ما يقوله ، لذا واصل سيره وتبعته هى تقول

- دا يأكد كلامى .. انت شايف ان ما ينفعش اتكلم عن نظرتى للدين لإنى لابسه بنطلون وتى شيرت وشعرى عريان

قالتها يارا وصمتت تنتظر ردا من هشام ولما لم تتلقى منه كلمة قالت بحدة

- انت ساكت ليه ؟!

- ما عنديش حاجة أقولهالك غير لكم دينكم ولى دين

- دا على أساس ان انت مسلم وأنا من ديانة تانية !

قالتها متعجبة وضحكت ثم قالت

- أنا عارفة اللى حصلك وعارفة ان أهلك مش موافقين على اللى بتعمله .. بس فعلا لازم تسمع للرأى الآخر من غير ما تقصر فهمك للدين على رؤيتك انت للحياة

رد هشام بضيق

- وهو كريم يتكلم معاكى فى خصوصياتى بمناسبة إيه ؟
- لأ مش كريم .. كان فى واحد من دار السلام بيكلم أخويا يوم ما اتقبض عليك .. أصل أنا أخويا ضابط فى مباحث دار السلام ووالدى لواء فى أمن الدولة وعرفت من بابا شوية حاجات عن التيار الإسلامى
- أنا ما بافكرش فى حاجة دلوقت غير انى اخلص دراستى وابدأ حياتى العملية
- كويس

قالتها يارا وقد وصلا الى حيث سيارتها وسمعها هشام تقول

- تحب أوصلك ؟
- جزاكى الله خيرا

قالها هشام وهو يخرج من حقيبته كتيب (طوق النجاة) ومد يده به الى يارا التى لاحظت أنه لم يغض بصره ورأت عينيه ترنوا الى وجهها بحركات مرتبكة ، فتناولت الكتيب وقالت

- ميرسى
- السلام عليكم
- وعليكم السلام

قالتها يارا وضحكت محاولة ألا يصل صوت ضحكاتها الى هشام ، وركبت سيارتها عائدة الى الفيلا .

* *

كان الدافع الذى جعل يارا تحادث هشام هو الفضول .. عاشت حياتها المرفهة لا ينقصها شئ وتحيا حاضرها دون أن تعبأ بمستقبل أو تنظر الى ماضى ، لذا كان منظر هشام وهو يقود المظاهرة متحمسا ، ومنظره وعساكر الأمن المركزى ينهالون عليه ضربا ، أمرا بالنسبة ليارا مثيرا يسترعى فضولها لتتسائل ما الذى يجعل هؤلاء يتمسكون بمعتقداتهم على هذا النحو

؟ ولماذا لا ينظرون الى الأمور مثل باقى الناس ؟ .. عادت يارا وصعدت الى غرفتها الفخمة فى الفيلا .. استذكرت بعض دروسها ووجدت نفسها تتصفح كتيب (طوق النجاة) ولم يستهويها ما قرأت .. قامت بتشغيل فيلم أجنبى واستبدلته بعد عشر دقائق بفيلم إباحى .. إعترتها الشهوة ومدت يدها من تحت البنطلون القطنى الناعم الى ما بين فخذيها والبلل اللزج يدفعها الى مزيد من المتعة حتى حصلت على نشوتها وذلك لم يمنعها من أن تكرر ما فعلت وهى راقدة على السرير ليلا لتنام ، فهذه عادة يارا التى تجعل جسدها يسترخى بعد انتفاض جزعها وارتعاشة فخذيها ، وتنام دون أن تفكر فى شئ .

هكذا مر يوم من أيام حياة يارا نور الدين لتستيقظ فى اليوم التالى وتذهب للكلية وتعود لتجد والدها ووالدتها يتحدثان مع أخيها وليد ..
- إزيك يا وليد .. ميار ما جتش معاك ليه ؟
هكذا سألت يارا وجائت الإجابة من شريفة موجهة كلامها لوليد

- أنا قلت لميار إن معظم الشباب بيكون ليهم علاقات قبل الجواز .. بس هى مصرة على انك بتخونها وبتقول إنك قلت لها يوم الصباحية انك كنت نايم مع واحدة

قالتها شريفة وهى تنفث دخان سيجارتها بينما تنهد الأب وقال

- شوف يا وليد .. لازم تقدر انك دلوقتى راجل متجوز وهايكون لك أولاد وتكون مسئول عن أسرة .. ولازم استهتارك وتسيبك ده ينتهى

رد وليد بنبرة حاول أن تكون صادقة

- يا بابا هو فى حد بيخون مراته وبعدين يقولها

قاطعته أمه تقول

- هى بتقول إنك كنت عاوز تثبت لها أنك مش عاجز

صمتت وبدا على وليد التوتر ، فأردفت شريفة

- ع العموم أنا سيبتها تهدا وبعدين هاتكلم معاها تانى .. هى دلوقتى مصرة على الطلاق

نهض وليد قائلا

- طب أنا هامشى دلوقتى
- هتقعد فى الشقة لوحدك خليك معانا فى الفيلا هنا

قالها نور الدين ليرد وليد
- لأ ما أنا الشغل واخد كل وقتى .. فى تشديد اليومين دول فى القسم وباضطر أنزل الدوريات على طول

قالها وهو يرنو لوجه ابيه الجامد ثم أردف
- ما هو لو بابا يحن عليا ويخدنى عنده فى أمن الدولة بدل شغل المباحث ده

رد اللواء نور الدين محتدا
- هو أنت عارف تكون ملتزم فى حياتك الزوجية عشان تقدر تكون ظابط أمن دولة .. دا وأنا فى سنك كنت باتعب أضعاف تعبك .. هو شغل ظباط اليومين دول يبقى شغل .. دا دلع

أومأ وليد برأسه فهو على أعتاب سماع الأسطوانة المكررة ، وقال مسرعا
- طيب ألحق أنا شغلى

استأذن وليد وغادر متجها الى شهد .

****

- بطلى بأه كلمة الطلاق دى اللى انتى ماسكاها فى بقك على طول .. انتى فاكرة الطلاق ده حاجة سهلة .. دا انتى لسه عروسة جديدة ومالحقتيش

هكذا قالت مدام مريم والدة ميار لترد ميار مسرعة بغضب

- بأقولك هو بنفسه اللى قال لى انه ليلة الدخلة كان مع واحدة

تدخل الأب الأستاذ عبد القادر وقال بهدوء

- طب ليه ما قولتيش من يومها ؟
- صدقته لما قال لى بعدها انه قال كده عشان يثبت لى انه مش عاجز .. بس بعد ما شفت رسايل الموبايل بتاعه لقيت انه مرتبط بواحدة اسمها شهد

قالت مدام مريم بنبرة بدا عليها عدم الإقتناع

- شريفة كلمتنى وقالت انه قال ان دى حاجات قديمة وانتهت
- كداب

هكذا صاحت ميار قبل أن يرد أبوها
- ما ينفعش تنهى حياتك الزوجية عشان اكتشفتى ان جوزك على علاقة بواحدة تانية .. وخصوصا لما تكونوا لسه فى بداية حياتكم .. أنا مش بدافع عن وليد لكن باقول انه محتاج يتوجه صح وياخد منك فرصة تانية .. الطلاق ده مش لعبة

هكذا وجدت ميار نفسها تجلس فى غرفتها تعيد صياغة الموقف .. وبدأت من بدايته منذ أن عرفت وليد وتغاضت عن عدم اهتمامه بها أو حتى بزواجه بها وكأنه يؤدى شيئا لابد منه .. أين قصة الحب التى كانت تحلم بها كأى فتاة ؟ .. بل أين حتى حياتها الزوجية التى اعترمتها المشاكل فى مهدها .. تسمع الآن سهامه تنهال عليها وهو يهين أنوثتها ليلة زفافها ، ويقر بأنه كان يخونها ليثبت لها أنها هى المقصرة ، ولخص الأمر فى قوله لها أنه لا يراها أنثى .. عند ذلك وجدت ميار نفسها تسأل : هل هى فعلا مقصرة ؟ .. هى ليست باردة كما اتهمها وأثبتت له ذلك ، لكن ما الذى تفتقده ويجده هو فى غيرها

؟ .. اذعنت طبيعة ميار المستسلمة لهذا السؤال ، وأعادت صياغة الأمر بطريقة مختلفة .. رأت حين تزينت وتعطرت وتدللت وأطلقت غريزتها وفطرتها الأنثوية ، ألم تجد وليد مستجيبا لا تنزل عينيه عن مفاتن جسدها وهى تمشى متئدة أمامه .. ألم يقل لها أن عطرها جميل .. ألم يضاجعها ويستمتعا بما أحله الله لهما ؟ .. ماذا لو سارت على هذا المنوال ، أليس من المفترض أن يحبها ويكتفى بها دون غيرها ؟ .. عليها أن تعرف ما يريده وتسعى لإرضائه حتى تنال حبه وإخلاصه .. واتخذت قرارها فى النهاية أن تمنح وليد فرصة ثانية .. لم تمضى أيام كثيرة وحضر وليد ليحظى ببضعة كلمات من مدام مريم والأستاذ عبد القادر عن الإخلاص والوفاء للحياة الزوجية ، وأن حياة الشباب قبل الزواج شئ وبعده شئ آخر .. تحمل وليد الإستماع الى محاضرة الوفاء ، وأصطحب زوجته وعادا الى شقتهما .

* * *

حذف وليد اسم شهد من دليل هاتفه المحمول واكتفى بحفظ الرقم ، كذلك قام بحذف الرسائل ، وأدرك أنه عليه الإنتباه الى الفصل التام بين حياته مع شهد وحياته مع زوجته ميار حتى لا يتكرر ما حدث .. كان هذا هو كل ما استفاده وليد مما حدث خلال أيام خصامه مع زوجته وما ترتب على ذلك .. حاول أن يتعامل مع ميار وكأن شيئا لم يحدث ، فبمجرد عودتهما الى البيت استبدل ملابسه وطلب تجهيز العشاء .. كانت ميار تريد أن تنسى ما حدث وتبدأ مع وليد بداية جديدة لكنها لم تتلقى منه ما يشجعها لأن تتحدث معه ، لذا بدا على وجهها التجهم وهى تتناول معه العشاء وبعدما انتهيا جلسا يشاهدان التليفزيون ، وأراد وليد أن يكسر حدة الصمت القائم بينهما ، فمد زراعه اليمنى واحتضنها واضعا رأسها على كتفه يداعب بأصابعه خصلات شعرها .. وقال

- أنا آسف على كل كلمة ضايقتك يا ميار

بالكاد نطق وليد الغير معتاد على الإعتذار لأحد بهذه الجملة التى التقطتها ميار لتندفع على الفور

وهى تسحب رأسها من على كتف وليد وتنظر اليه بنظرات لائمة تقول

- أغلب الشباب بيعيشوا حياتهم من غير مغامرات وبيتجوزا ويكونوا أزواج ملتزمين .. اشمعنى انت اللى كده

وضع وليد أصبعيه على فمها يمنعها من الكلام قائلا

- انسى اللى فات كله وصدقينى أنا مافيش فى حياتى واحدة غيرك

قالها وهى يطبع قبلة رقيقة حانية على شفتيها الملساء ، جعلت هذه القبلة ميار تقشعر وتتثبت عيناها ناظرة الى الفراغ تحلق فى سماء الخيال الجميل .

علينا أن ندرك أن الشخصية التى تكون على شاكلة ميار يمكنك أن تنقلها من النقيض الى النقيض فى لحظة ، لمجرد أن تسمعها كلمة جميلة أو جميلة رقيقة ، فما بالك لو كانت الجملة مصحوبة بقبلة حانية على شفتيها .. يا لسذاجة ميار التى أضاء وجهها مشرقا وهى تنظر لوجه وليد بحب ، والذى ابتسم ليس من أجل نظراتها وإنما من سذاجتها حيث لم يكن يتوقع أن ينتهى

الأمر بهذه السهولة وكان يظن أنه يحتاج لفترة من الوقت حتى يتمكن من أن يجعل ميار تنسى ما حدث .. قامت ميار مسرعة الى الحمام واغتسلت ثم تزينت وتعطرت وأرتدت قميص نوم أبيض شفاف مثير ولما رأى وليد ثدييها ظاهرة من خلف القميص الشفاف وكيلوتها الذى زادها إثارة ، تحركت شهوته ، وشعر بدبيب الإثارة يعتريه وهى تجلس على الأريكة ملاصقة له وقد لفت زراعيها حوله ووضعت رأسها على كتفه وقالت

- أنا عايزه أعرف اللى كنت تعرفهم دول كانوا بيعملولك ايه ؟ يخليك تفضل متعلق بيهم

قالتها ميار وهى تحاول كبح جماح خجلها وغيرتها وسمعت وليد يضحك ويقول

- خلاص يا ميار ده طيش شباب
- مش احنا اتفقنا انك هتعلمنى الحاجات اللى انت عاوزها

قالتها ميار ويدها تتسلل زاحفة على فخذ وليد لتصل حيث موضع قضيبه ، ويرد هو

- شوفى يا ميار .. اللى انتى حاسة إنك عاوزة تعمليه إعمليه

- أصل فى واحدة صاحبتى من زمان وهى اتجوزت قبلى من سنة .. كنت باحكي معاها فى موضوع الرجالة اللى شعارهم (امرأة واحدة لا تكفى) وقالت لى على حاجات خاصة بالرجالة

- حاجات ايه ؟ .. اههه

كان مبعث تلك الآهة التى أطلقها وليد هو يد ميار التى قبضت على قضيب زوجها من فوق البنطلون ثم وضعت رأسها على حجره ومددت جسدها على الأريكة وسمعته يضحك بخفوت لما رآها تسحب بنطلون بيجامته لمساحة صغيرة تكشف بها عما تبحث عنه ، والذى بدأ ينتصب فى كفها .. ميار مدفوعة برغبة عارمة فى إرضاء وإمتاع زوجها لتخلص به لنفسها ولا يسعى لغيرها ، أضف الى ذلك احساس الإثارة الذى تملكها .. طبعت قبلة خفيفة ثم تبعتها بثانية وأعقبت بقبلات متوالية على رأس قضيب وليد الذى اهتاج بشده من منظر وجه زوجته الجميل بهذا المكياج المثير وعينيها التى تلمع بالشهوة

وهى تقبل عنقوده الذى انتصب كالصخرة حين مدت ميار لسانها وكأنها تتذوق آيس (كريم كونو) ثم تفتح فمها وتقضم بشفتيها ثم تقول

- انت بتحب كده ؟

ابتسم وليد وقال

- هى دى الحاجات اللى صاحبتك حكتها لك ؟

ما إن قبضت ميار بشفتيها وغاصت رأس قضيب وليد فى فمها حتى شعرت بغثيان ، وارتسمت علامات الإشمئزاز على وجهها ، وهرعت الى الحمام تتقيأ .. وبعدما خرجت محبطة وجدت وليد ممددا على السرير على جنبه واضعا المخدة تخفى رأسه .. التصقت ميار بظهره وتلعثمت وهى تقول

- انت هتنام ؟

- آه نعست

قالها بنبرة بدا عليها الضيق ، فهمست ميار بحياء

- مش عايز نعمل ؟

لم يرد وليد واضطرت ميار للإبتعاد عن ملاصقته تحاول النوم وسط احساس الحزن والإحباط الذى ملأ قلبها .

****

ارتسم فى مخيلة وليد وجه زوجته ميار المشمئز وقارنه بوجه شهد المستمتع المستلذ بمص قضيبه الآن وتصدر عن حركات امتصاصها أصوات تثيره وتدفعه الى قمة الشبق ، وتهوى بلسانها تلعق ما حوله وما تحته وهو ممدد على ظهره على السرير .. استبد به الهياج وقام لما رآها تسجد على أربع تهز مؤخرتها اللينة فى تمحن وتقول بمجون

- ياللا بأه مش قادرة

دفع وليد بقضيبه فى مهبلها من الخلف يطعنها بقوة وتبادلا الأوضاع حتى خارت القوى وهدأت الأنفاس اللاهثة .

كانا متعانقين عرايا تحت نشوة ما بعد الجنس وقالت شهد

- معلش يا حبيبى أنا عارفة انى مشغولة عنك بتصوير الفيلم .. بس أول ما هاخلص الفيلم هنبقى مع بعض على طول

صمتت تتداعب شعر صدره بأناملها وتابعت

- مضطرة أنزل دلوقتى عشان عندى تصوير

تنهد وليد وقال

- أنا ما بقتش عارف أتلايم عليكى .. امتى الفيلم ده هيخلص ؟

- هانت يا حبيبى

قالتها وهى تنهض الى الحمام .. وارتدت ملابسها وقبلت وليد قبلما تغادر قائلة

- باى يا روحى

مكث وليد وحده فى الشقة قليلا يدخن سجائر الحشيش وتحت خدره اللذيذ وجد نفسه يفكر فى شهد .. هل هى تغيرت فعلا من ناحيته ؟ أم أنها مشغولة فى عملها بالسينما ؟ .. لعن ذلك وتمنى لو ظلت تعمل فى الملهى الليلى وباقى وقتها له .. فكر كيف كان سيتحمل حياته الزوجية بدون شهد .. يعتلى ميار ويلجها كزوج يعطى زوجته حقوقها ثم يأتى لطلب المتعة واللذة عند شهد .. كان كلما ضاجع زوجته يغمض عينيه ويتخيل شهد هى التى تحته وقد أفلحت معه هذه الطريقة ليتمكن من مجامعة زوجته بإحساس رغبة وإثارة .. وذات مرة حين أحاطت ميار خصره

ودفعت بأصابعها بين إليتيه ، اندمج فى الدور وكاد يقول (تحت شوية يا شهد) .. إلا أنه أفاق فى اللحظة الأخيرة وأدرك أنه مع ميار وليس مع شهد .

أما شهد فقد حذت حذو وليد ، فكلما طلبها المنتج شريف عبد القادر بعد انتهاء التصوير اليومى ، تذهب معه الى شقته ، وبعد سكرة الخمر ترقص له عارية وتناغشه وتناغيه كممثلة تؤدى دورا ولكنه ليس أمام الكاميرا .. وحين يهجم عليها بكرشه الضخم وينسال لعابه على وجهها وهو يطعنها فيما بين فخذيها بقوة .. تغمض عينيها وتتخيل وليد هو الذى يعتليها وبعدما تنتهى منه ، تتجه للحمام وتغتسل شاردة الذهن .. إنها الآن عاهرة تتاجر بجسدها ، تمنحه لشريف مقابل النجومية التى تحلم بها ، وتمنحه أيضا لوليد حسبما الاتفاق بينهما المسمى زواج عرفى .. ما كان يهدأ بالها هو حين تتذكر إشادة المخرج بموهبتها وقدراتها الفنية فى التمثيل ، وتعزى نفسها بأن ما هى فيه الآن مجرد وضع مؤقت لن

يدوم ، فحتما ستفرض موهبتها نفسها على الساحة الفنية وسيُعرض عليها الأعمال تباعا ولن تكون فى حاجة لإسلام جسدها لشريف ، لكنها حين تريد أن تتخيل مستقبلها مع وليد تجد نفسها عاجزة عن التفكير .

*　　　　*　　　　*

- النقاد قالو إن أفضل ما فى الفيلم هو الموهبة الشابة الممثلة شهد سامح اللى احنا بنستضيفها فى برنامجنا النهاردة

صمتت المذيعة لتتابع بعدما ظهرت شهد فى الكادر

- حتى اللى انتقدوا مشاهد الإغراء اللى صورتيها فى الفيلم .. أقروا بموهبتك وقالوا إنك امتداد للفنانة العظيمة هند رستم

هكذا كانت شهد تتنقل بين وسائل الإعلام الفنية لتتحدث عن دورها فى الفيلم وكيف تمسكت

بالفرصة لإثبات موهبتها ، وبالفعل لأن شهد ممثلة موهوبة تلقت العديد من العروض السينمائية لدرجة أدهشت شريف الذى وجد نفسه يعيد حساباته بشأن شهد التى صارت معروفة فى الوسط الفنى ولدى الجمهور بأنها خليفة هند رستم .. يمكنه الإحتفاظ بها كمتعة وبيزنس فى نفس الوقت .. لذا عرض عليها عقد احتكار مغرى لا يُرفض فهو نقلة مادية هائلة فى حياة شهد من جهة ، وكذلك ينص العقد على أن تحظى ببطولة مطلقة وليست مشتركة من جهة أخرى ، حيث كان شريف قد أدرك أن شهد سامح صارت حصانا رابحا وبالأخص مع سيناريو الفيلم القادم والذى عنوانه (جعلونى عاهرة) حيث يتوقع شريف أن شهد ستبدع فى أداء هذا الدور وسينهال عليه الربح الوفير ، وبذلك مضت شهد فى صعود سلم المجد ، ولكن هناك عقبة واحدة فى طريقها .. اسمها وليد .

*   *   *

كان وليد فى قمة عصبيته وغضبه حين استقبل شهد فى الشقة التى لم تعد شهد تأتيها كثيرا فقد كانت تقيم مع شريف بصفة شبه دائمة .. وما أن سمع صوت الباب يفتح ورأى شهد حتى نهض يصيح كالرعد

- لازم أحفى وراكى عشان أعرف أشوفك دلوقتى ولا إيه يا نجمة الجماهير ؟
- بتزعق ليه ؟ أديك شايف أنا مشغولة قد ايه بين تصوير أو لقائات أو حوارات

هكذا ردت شهد بهدوء مما دفع وليد الى مواصلة صياحه

- إنتى ناسية إن أنا جوزك وليا حقوق عليكى ؟

حدقت شهد فى وجهه وقالت ضاحكة بنبرة متعجبة ساخرة

- يااااااااااه .. جوزى ؟!! .. أنا أول مرة أسمع الكلمة دى منك

قالتها وواصلت الضحكات التى استفزت وليد فقال بغضب معايرا

- الظاهر انك نسيتى أنا عرفتك فين وجيبتك منين .. ولا خلاص دلوقتى بقيتى ممثلة مشهورة ومش فاضية لى

توقفت شهد عن ضحكاتها فجأة وقالت بتحدى

- بلاش نكذب على بعض .. اللى بينا عمره ما كان اسمه جواز ولا حتى حب .. انت ما تعرفش تحب .. انت عاوز متعتك ومزاجك وبس .. وأديك انت قلتها بنفسك انت عرفتنى فين وجبتنى منين

صمتت تلتقط أنفاسها اللاهثة وارتسمت على وجهها ابتسامة شاحبة وقالت بلامبالاة

- خلاص يا وليد بك ماعدش ينفع ألعب دور العشيقة بتاعتك .. تقدر تروح مكان ما جبتنى وهتلاقى كتير .. هات أى واحدة بدالى وصدقنى مش هتفرق معاك

رد وليد كاظما غيظه

- يعنى إيه ؟

فتحت شهد حقيبتها وأخرجت مفاتيح الشقة وقالت

- بما إنى بالغى الإتفاق اللى بينا .. يبقى لازم أرجع اللى أخدته .. اتفضل دى مفاتيح الشقة وهاكتبلك تنازل عنها

قالتها وهى تلقى بالمفاتيح على الأريكة وتتجه للباب وتفتحه لتغادر .. لحق بها وليد وجذبها من شعرها بمنتهى العنف يصيح

- انتى فاكرانى لعبة ترميها لما تلقى حاجة أحسن .. دا أنا أفعصك برجلى

قالها دون أن يعبأ بصرخات شهد متألمة بسبب جذبه العنيف لها من شعرها ، وبالكاد نشبت بأظافرها وجهه وهى تصرخ

- ابعد عنى

تمكنت من تخليص نفسها وركضت مبتعدة .. صفق هو الباب بعنف وجلس يتحسس خربشة أظافرها على وجهه .. دخن الحشيش بشراهة حتى تخدل جسده وأرتخت أعصابه وهدأ تماما .. حاول أن يفكر ماذا يفعل مع شهد ؟ .. لم يستطع لأن فكرة هجرها له التى سيطرت على عقله أودت به الى الهذيان ، فقد كان يتخيل تحت تأثير الحشيش أنه يدوس عليها بقدمه ويحطم رأسها ، أو أنه يقبض بيديه على رقبتها يخنقها ..

لكنه لم يتحمل ذلك وجد نفسه يحتضنها ويمسح على شعرها متخيلا أنها لحظة غضب وسرعان ما ستعود المياة الى مجاريها .. لا يقدر حتى على التفكير فى أنه يمكن أن يحيا بدونها ؟ .. هل يحبها ؟ .. لا ، فهو لا يعرف الحب كما قالت له .. إذن ما الذى يجعله لا يقدر على فراقها أو حتى استبدالها بعشيقة أخرى كما طلبت منه .. عاش وليد عمره مدللا على يد أمه شريفه لا يتمنى أو يطلب شيئا إلا ويصبح ملكه .. شهد ملكه هو لن يؤخذها أحد منه ؟ .. لمعت عيناه بحب التملك الذى بالنسبة لوليد غريزة وعزم على استعادة شهد بأية ثمن .. نظر فى ساعته فوجدها الثانية عصرا ، تذكر خالد الذى طلب منه والده أن يقف الى جواره .. ابتسم تحت خدر الحشيش وتمتم

- مين يقف جنب مين ؟

نهض متثاقلا واتجه الى جراند مول المعادى

*   *   *

*

بعدما انصرف الشيخ اسماعيل حسين من عند خالد الذى جلس يسترجع قصته مع منقبة دار السلام .. تلك القصة الغريبة التى غيرت حياته ويشعر برغبة فى رؤيتها والتحدث اليها ، لكنه لا يعرف كيف ستكون زيارته فى الغد لمنزل الشيخ اسماعيل .. هل سيتحدث معه هو أم سيتمكن من الحديث مع فاطمة ، وبما أنه جاء خاطبا لها هل يتمكن من رؤيتها ؟ .. ردد بينه وبين نفسه : لا يهم شكلها فقد رسم خياله لها شخصية أثرته من خلال رسائلهما المتبادلة اليكترونيا ومحادثات الشات .. يشعر أنها هى من تصلح لأن تكون زوجته الصالحة ، وتذكر الحديث الشريف الذى يقول (الدنيا متاع خير متاعها المرأة الصالحة) .. سمع خالد فجأة صوت يقول بحدة

- ايه اللى عمل فيك كده ؟

نظر خالد لصاحب الصوت ليجد وليد .. نهض يحييه ويحتضنه قائلا

- وحشتنى والله
- انت خلاص بقيت شيخ ؟ .. وايه اللى قلب المحل كده ؟
ضحك خالد وقال
- عقبالك .. لما ربنا ينعم عليك بالهداية
رد وليد ضاحكا
- وهو أنا دماغى خفيفة زيك .. أى حد يلعب فيها ؟
- عامل ايه فى جوازك وإيه الخرابيش اللى فى وشك دى
- خناقة مع شهد .. تعالى نقعد فى الكافتيريا تحت ونتكلم

****

تماما مثل البركة الراكدة التى تنتظر حجرا ليحرك مياهها ، كانت حياة فاطمة راكدة يعتريها الضجر ، بالطبع مع الوقت لم تعد فاطمة تشعر بقيمة العمل وتكوين الذات والهدف الواضح فى الحياة .. كل ذلك بات مملا كئيبا ، تخرج للكلية تؤدى عملها وتعود لبيتها وإما تتصفح الانترنت

وتتعرف على ما يحدث فى الحياة من حولها وإما تشاهد القنوات الدينية التى لا يوجد غيرها فى التليفزيون لديهم .. نادرا ما تخرج لزيارة صاحباتها ، ويوم الجمعة تخرج برفقة الأخوات لتؤدى صلاة الجمعة فى مركز الدعوة بطموه وتستمع لنفس الكلام ونفس الآيات ونفس الأحاديث ثم تعود .. حتى الشئ الذى اعتبرته تغيرا هائلا فى حياتها صار عاديا .. حين أقنعت والدها بتغير لون النقاب حيث لم يعد مقصورا على اللون الأسود فقط .. بل أصبح نقابها وعبائاتها بألوان أخرى خلاف الاسود ، لكنها قطعا ليست زاهية أو ملفتة للنظر ..

تكثر فاطمة فى الآونة الأخيرة من الإستغفار تحديدا دون باقى الأذكار .. لكم أن تتخيلوا شابة مثقفة معيدة جامعية وصلت للسادسة والعشرين من العمر وقد وضع بينها وبين الجنس الآخر حجابا من نار و غير مسموح لها ليس أن تعبره بل حتى أن تقترب منه .. ومن الطبيعى أن ترى فى أحلامها أنها اخترقت الحجاب النارى فى حلم جمعها بشاب .. وعادى أيضا أن يتجاوز

ذلك فى حلم آخر للحد المحرم ، وكذلك تربيتها ونشأتها لابد أن تتدخل .. حين استيقظت تستعيذ من الشيطان الرجيم وأسرعت الى الحمام تغتسل من الجنابة وتصلى ركعتين توبة بسبب ذلك الحلم رغم أنها ليس لها يد فيه ، فهو وليد مكبوتها الغريزى فى هذه المرحلة من العمر .. أما المختلف بالنسبة لفاطمة فهو أنها وجدت نفسها تستعيد الحلم طوال نهار اليوم التالى وتشعر بالإثارة تتحرك ثم تطرح خيالاتها جانبا وتستغفر .. أليس من حقها أن تكتشف ما هو مجهول بالنسبة لها ؟ .. هكذا ساقها هذا السؤال لتكتب فى محرك البحث (جوجل) فيلم رومانسى .. وقامت بتحميل فيلم مدينة الملائكة بعدما قرأت الإشادة به ، ولما شاهدته إختلجت بصدرها مشاعر عديدة بين الرومانسية والرغبة فى الحب والتوق الى الجنس الآخر الذى هو النصف الثانى للبشرية .. وأدى ذلك لتوهج جسدها المكبوت بحكم كونها المرة الأولى التى تشاهد فيها فيلما وهى فى هذا السن .. استكانت وهى تستحم لحركات الليفة بين فخذيها لتحصل على اللذة المحرمة .. لكنها هذه المرة اكتفت

بالإستغفار ولم تصلى ركعتين توبة .. وجدت فى ذلك الشئ الجديد ما حرك مياة حياتها الراقدة ، فاعتادت كلما شعرت بالضجر أن تسترق اللذة وتنتشى ثم تستغفر .. ولما زاد استراقها للذة فى الآونة الأخيرة ، زاد استغفارها ووجدت تأنيب ضميرها وشعورها بإرتكاب الإثم وإقتراف الذنب عمدا يؤرقها ، فعادت حياتها تركد من جديد .

واليوم منذ قليل سقط فى بركة حياتها الراكدة الحجر الذى حرك المياة الساكنة .. بعدما أخبرها أبوها بأن هناك شابا اسمه خالد من المعادى يريد التقدم لخطبتها .

يا لها من قصة طريفة لكنها مشوقة حين استعادت فاطمه تفاصيلها .. شاب لاهى عابث تتعرف عليه عبر الإنترنت مدعيا أنه بنت وتتحدث معه برسائل الإيميل والشات ثم يصارحها بأنه شاب واهتدى الى طريق الحق بسببها ثم يختفى .. ثم يعاود الظهور ولكن هذه المرة ليس عبر الإنترنت وإنما من خلال أبيها .

. كانت فاطمة مندهشة وهى تسمع أنه عاد من

الخروج فى سبيل الله أربعون يوما ويريد أن يتزوجها .. ضحكت وشعرت أن هناك جديدا طرأ على حياتها يسترعى اهتمامها .. كانت تتمنى لو مضى الوقت سريعا وحل الغد ، لترى ذلك الخالد وتعرف ما دهاه ؟ .. لكن نهار الغد قبل زيارة خالد كان يحمل لها شيئا جديدا آخر .

* * *

تشعر مدام سناء والدة خالد وكأنها تعيش فى حلم أشبه بقصة خيالية ، وهى ترتدى التايير الفضفاض الأزرق وتلم شعرها المنسدل ، وتتصل بالعمل تتطلب أجازة اليوم .. استقلت سيارتها الى الجامعة وظلت تسأل حتى وصلت الى غرفة المعيدين بكلية الحاسب الآلى .. لم يكن مع سمعته من خالد ليلة الأمس برغبته فى الزواج من معيدة جامعية منقبة ابنة الشيخ اسماعيل حسين بالأمر الهين على سناء التى أدركت أن موضوع خالد أكبر مما كانت تعتقد ، ولم تدرى ماذا تفعل سوى ذلك ، حيث نظرت ووجدت منقبة فى غرفة المعيدين منهمكة فى

الكتابة ومن حولها الزملاء والزميلات ، لكنها اتخذت ركنا قصيا بمنأى عن الجميع .. اقتربت سناء منها وقالت

- حضرتك الأستاذة فاطمة
- آه .. أنا

سحبت سناء كرسيا وجلست الى جوارها وقالت

- أنا والدة خالد

ورغم وجه فاطمة المختفى خلف النقاب إلا أن سناء رأت فى عينيها الدهشة ، فقالت

- أنا مش عارفة أبدأ إزاى

حين تسمع من تراه لأول مرة يبدأ كلامه لك بهذه الجملة ، فاعلم أن لديه قصة جاء يحكيها لك .. وبعدما تدرك أنك أحد أطراف هذه القصة وتجد أن لديك ما يكمل الناقص فيها ، ستشرع على الفور فى أن تحكى له ما عندك .. هذا ما حدث بين سناء وفاطمة حيث حكت سناء ما حدث لخالد ومتابعاتهم مع طبيب متخصص ، وبعدها غيرت فاطمة جلستها لتصبح فى وضع لا يرى وجهها سوى سناء ورفعت القطعة القماشية التى تغطى وجهها وشرعت تحكى كيف بدأت حكاية

خالد معها على الإنترنت .. كانت مدام سناء تصغى باسمة مما تسمع فلم تكن تعرف أن ابنها كان تافها الى هذا الحد وأدركت الآن سر تحوله المفاجئ ، كذلك كان ترنو الى وجه فاطمة الأبيض الجميل بتقاطيعه المنمنمة ، ولكنها وجدتها عكس ما كانت تتوقع ، فلا هى مجرد فتاة منقبة بحكم نشأتها ولا هى متذمتة دينيا فى كلماتها .. رأتها فتاة مثقفة لها شخصية ، وهذا جعل سناء لا تجد ما تقوله بل لا نسيت ما جائت من أجله .. هل تقول لها لا شأن لك بابنى .. أم تقول لها ارفضى طلبه لك للزواج لأنه لا يوجد بيننا وبينكم شيئا مشترك .. ظلت سناء صامتة مبتسمة بعدما انتهت فاطمة من كلامها .. كانت فاطمة تحاول ان تفهم لماذا جائتها والدة خالد ، وأدركت أنها أم ترى ابنها يحتاج للمساعدة فتسعى لمساعدته .. تلعثمت فاطمة وهى تقول

- أنا آسفة .. أنا السبب ، أنا بعت له الرسالة لما قال انه مش قادر يحافظ على الصلاة .. كان غرضى انه يكون مع ناس تساعده ، لكن ما توقعتش انه يخرج اربعين يوم فجأة كده

أعجبت سناء بصراحة فاطمة وجذبتها تلقائيتها فى الحوار ، لذا عقبت بود

- لأ آسفة على ايه ؟ .. معنى الكلام ده ان السبب فراغ خالد وعدم نضوج شخصيته لحد دلوقتى .. تخيلى مثلا لو كان قابل حد على الانترنت تابع لمنظمة غير قانونية

قالتها سناء وتنهدت ثم نهضت قائلة بابتسامة رقيقة

- أنا سعيدة بلقائى معاكى يا فاطمة

شعرت فاطمة من طريقة مدام سناء فى نطق جملتها الأخيرة وكأنها تعرفها منذ زمن بعيد ، فحيتها بود وقالت

- أنا هاحاول أساعدك فى موضوع خالد

اتسعت ابتسامة مدام سناء وهى تحيى فاطمة رغم أنها لم تطلب منها شيئا ، وشعرت بالحرج ، فعلى ما يبدو أن فاطمة فهمت أن غرض زيارة والدة خالد هو إبعادها عن ابنها .. فتحت فمها لتنطق بشئ ، لكنها تداركت وقالت

- ممكن رقم تليفونك ؟

*　　　*

*

كان الشيخ اسماعيل يتمنى لفاطمة التى وصلت للسادسة والعشرين من يناسب شخصيتها ، ولم يكن ذلك بالطبع موجودا فيما كانوا يطلبونها من أتباعه ومعارفه .. كلما مر عام وهى لا تزال بلا زواج كلما تنازل عن شروطه ، لم يكن يهمه أن يكون من يرغبها من الجماعة .. يكفى أن يكون رجلا ملتزما يخشى الله الى جانب تعليمه وعمله .. ولما طلبها خالد وجد فيه الشيخ اسماعيل الالتزام حتى وإن كان يعلم بخبرته وحنكته أن من يخرجون لمدد طويلة فجأة لا يستمرون ، لكنه على الأقل إذا لم يكن يخرج فى سبيل الله شابا مهذبا ملتزما يصلح لإبنته .. الشئ الوحيد الذى يجعل الشيخ اسماعيل غير متفائل هو الفارق الإجتماعى الذى كان يشعر به .. والذى تأكد منه الآن وهو يحادث خالد بعد المغرب فى شقته المتواضعه فى دار السلام ، وعلم منه ثراء أسرته وعمل والديه والفيلا التى يعيش فيها مع

والديه فى المعادى .. لكنه لم يشأ انهاء الموضوع فى مهده وقال

- شوف يا خالد .. انت شاب ممتاز وماشاء الله على التزامك .. لكن أنا شايف ان والدك ووالدتك مش هايوافقوك وأنا مقدر ده

قاطعه خالد مسرعا

- والدى ووالدتى بيحترموا رغبتى ، وهتتأكد بنفسك لما نحدد ميعاد ويجوا معايا هنا

لم يشعر رغم ذلك الشيخ اسماعيل بالإقتناع الكافى ، وهو يلحظ فاطمة التى تحوم من أمام باب الغرفة بين الحين والأخر ، فابتسم الشيخ اسماعيل وصاح

- تعالى يافاطمة

كانت فاطمة تنتظر استدعائها ، فدلفت تجلس أمامهما .. مرت دقيقة من الصمت ، تنحنح بعدها الشيخ اسماعيل وقال

- هاشوف الشاى اتأخر ليه ؟

خرج الشيخ اسماعيل وجلس على مقربة من باب الغرفة المفتوح بينما ينظر خالد الى فاطمة التى ترتدى عبائة واسعة والنقاب الأبيض يخفى راسها ووجهها ، وقال

- أنا صليت قبل ما آجى ودعيت ربنا ان يرزقنى بزوجة صالحة

سمع ضحكة خافتة مكتومة من فاطمة قبل أن تقول

- أنا لما بعتلك الرسالة الأخيرة .. ما كنتش اتوقع انك تخرج اربعين يوم
- دا من فضل ربنا عليا
- دا لإنك شاب هوائى ما عندكش شخصية .. انا حاسة انى لو اديتك كتاب عن الشيوعية تقراه ، بعد أسبوع هتاعتنق الشيوعية

صمتت ترقب وجهه الذى أربد وتجهم وعينيه التى زاغت ثم تابعت بنبرة معتذرة

- أنا آسفة .. بس احنا ما نفعش لبعض .. ربنا هايرزقك بالزوجة الصالحة اللى دعيت ربنا يرزقك بيها .. بعد إذنك

كم كانت كلمات فاطمة القليلة قاسية على خالد ، وهوت به الى شعور بالإهانة جعله لا ينتظر حتى يشرب الشاى واستأذن من الشيخ اسماعيل الذى سأل فاطمة

- ايه اللى حصل ؟

- ما لقيتش القبول ناحيته

لم يعقب الشيخ اسماعيل وأحس أن هناك أمرا غامضا .. وكان ما قالته فاطمة لخالد هو ما أعدته فى ذهنها بعد زيارة والدة خالد لها .. وتعمدت أن تلقى بكلماتها فى وجهه ، لتجعل النهاية قبل البداية .. لكنها اختلت بنفسها وأحست بالندم ليس من أجل رفضه ، ولكن بسبب طريقتها وكلماتها القاسية .. ما شأنها هى وشأن شخصيته .. كان يمكن ألا تتحدث اليه وتخبر والدها أنها لم تجد القبول ناحيته وينتهى الأمر .. تشعر بالشفقة لأنها اهانته بكلماتها لكنها تشعر كما لو أن كلماتها كانت تتدارى كلمات أخرى فحينما قالت له (انت هوائى وما عندكش شخصية) .. كانت تريد أن تقول (ما تبقاش هوائى ولازم يكون عندك شخصية) .. على ما يبدو أنها وجدت القبول ناحيته .

*   *   *

مزيج من الشعور بالإمتنان وإحساس الشفقة والشعور بالندم .. غمر ذلك المزيج قلب سماح خلال أسبوع زواجها الأول .. لم يفضحها ابراهيم وستر عليها بينما تحاول سماح فهم سبب ذلك هل لأنه رجلا شهما أم لأنه يخشى الفضيحة التى ستطوله هو الآخر ، وتدرك سماح أن زيجتها من ابراهيم قامت على التنازلات حيث تنازلت هى وقبلت ابراهيم المشلول المتلعثم مقابل تنازله هو بمصاهرة أبيها سعيد السواق ، وكذلك تحمله لكافة تكاليف الزواج من أجل أن يحظى بزوجة مثل الآخرين بعدما رفضته الفتيات تباعا .. خلال ذلك الاسبوع كان ابراهيم لا يقضى الكثير من الوقت معها ، غالبا ما يخرج ويعود متأخرا .. عاد الى عمله فى محلات أبيه بعد ثلاثة أيام فقط من الزواج ، ولم يقترب منها بعدما حدث ليلة زفافهما .. كان يتحدث بكلماته المتلعثمة معها فقط فى وجود أمه أو أمها وزوجات أخوته .. وبمجرد أن يصبحا وحدهما لا ينظر حتى فى وجهها .. كانت كثيرا ما تتسائل هل ينتظر بعض الوقت ثم سيطلقها ؟

.. ستر عليها ولم يفضح فقدانها لعذريتها حتى لا تطوله الأقاويل

- ابراهيم المشلول ابو نص لسان اتجوز سماح وطلعت مفتوحة

أرادت سماح أن تعرف الإجابة ، فاقتربت منه وهو ممدد على الفراش وهمست بسؤالها

- انت هتطلقنى ؟

لم يجب ابراهيم لأنه بالفعل لا يعرف إجابة على سؤالها .. هو نفسه لا يعرف لماذا فعل ما فعل ليلة الزفاف .. يدرك أنها خدعته وكان يمكن أن ترفضه من البداية أم أنها رأته قليل الحيلة فقبلت زواجه دون أن تعبأ بما سيحدث .. وكان بالطبع لا يعرف أن عملية ترقيع سماح فشلت ، فكان يخالجه شعور نحوها بأنها لم تخدعه وإلا لكانت أصلحت ما فسد قبل زفافها به .. نحى ابراهيم كل أفكاره جانبا وفكر فى شيئ واحد يشعر به .. هو يشعر بأنه يريد أن يتستر على سماح ، لذا أجاب بعدما سمع سماح تكرر سؤالها

- لأ .. مش هههههاطلقك

شعرت سماح بإمتنان شديد نحو ابراهيم ، وألصقت جسدها بجسده وأحاطت جسده الضئيل بزراعيها .. استدار هو ليصبح وجهه فى وجهها وتوقعت هى أنه سيسألها ليسمع منها حكايتها ، لكنها وجدته يرنو لوجهها بنظرات عاتبة لائمة ، لا تدرى هى لماذا اندفعت تطبق على فمه بفمها تقبله .. هل تريد أن تشعره بأنها زوجته أم تريد أن تعبر عن امتنانها له ؟ .. شعرت لوهلة أنه لا يتجاوب معها فواصلت قبلاتها بسرعة ..

تحركت غريزته وأحتضنها بزراعيه .. ذابت كافة المشاعر والأحاسيس تحت وطأة الغريزة .. كانت سماح تحيطه بأرجلها وهو يعتليها بين فخذيها تضمه بقوة ، وساعدتها خبرتها السابقة فى الجنس أن تمضى أيامها التالية على الفراش مع ابراهيم مفعمة بالمتعة التى جعلت ابراهيم يتناسى الماضى ويعيش الحاضر .

وبعد أحد المرات أستبد بهما الشبق وجائت الممارسة عنيفة لينتج عنها قطرتين من الدماء سقطتا من مهبل سماح التى تذكرت حينئذ أن دورتها الشهرية لم تأتى منذ أكثر من شهرين .. وأثناء إغتسالها فى الحمام شعرت بالعثيان ..

كانت تحاول أن تهرب من شئ تشعر به ، ونظرت الى ثدييها فوجدتهما متدليان والحلمات أحاطت بها هالات بنية كبيرة ، وتوجست خيفة .. ذهبت الى الصيدلية واشترت إختبار حمل وإنتفض جسد سماح واضطرب عقلها حين أدركت أنها حامل فى أكثر من شهرين بعد أسبوع من زواجها من ابراهيم .

****

كان الشيخ أحمد عبد القادر جالسا فى الغرفة المخصصة لزبائنه بشقته ، يرتدى جلبابه المكوى الأنيق وطاقيته المطرزة ولحيته السوداء الخفيفة الناعمة رغم طولها يستمع لأحد زبائنه يقول

- الأعشاب اللى انت اديتهانى دى ولا عملت معايا حاجة .. وقف شويه ويدوبك هابدأ لقيته ارتخى .. شكلى بقى وحش أوى قدام الوليه .. دى حتى رمت كلمتين بعد ما قمت من عليها وأنا رايح الحمام سمعتها بتقول ايه الوكسة دى ؟ .. عملت نفسى مش سامع

وطنشت ، شوف لى حل يا شيخ أحمد ، لا فياجرا نافع ولا أعشاب نافع ولا دهانات محوقة معايا

تنهد الشيخ أحمد وقال ضاحكا
- حالتك صعبة ومتأخرة
قالها وهو يخرج القلم من جيب جلبابه على صدره ويكتب على ورقة يوهمبكس قرص مرتين يوميا ، ترنتال قرص مساءا ، رويال جيلى كبسولة بعد الفطار ، اريك نص قرص يوميا وقرص قبل الجماع بساعة ، سيدوتستون حقنة عضل اسبوعيا .. ثم ناول الورقة للزبون الذى نظر فيها وسأل
- ايه دا كله ؟ .. أنا حالتى تعبانة كده يا شيخ أحمد ؟!

ضحك الشيخ أحمد وقال بنبرة واثقة
- دى روشتة زى اللى ممكن يكتبها أحسن دكتور ذكورة .. طالما المنشطات مش جايبة معاك نتيجة لازم تمشى على العلاج ده شهرين .. والغرض انه ينشط معاك

الإنتصاب لما تيجى تاخد القرص قبل الجماع بساعة

- طب ما فيش حاجة غير الحقن دى أصل ما بحبش الشكشكة

- الحقن دى زيت خلاصة خصية الحصان ومفعولها ممتاز

فغر الزبون فمه ثم قال مسرعا

- حصان مرة واحدة .. بس تجيب معايا مفعول ربع حصان وأنا راضى

تبادلا الضحكات وقال الشيخ أحمد

- امشى بس على العلاج ده وبرضه ابقى خد الأعشاب والعسل اللى انا اديتهوملك قبل كده وهتلاقى النتيجة كويسة

- يا مسهل الحال يا رب

قالها الزبون وهو يواصل قراءة اسماء الأدوية ثم قال

- مش ده إريك بتاع الإعلانات بتاعة حامد اللى هيبقى جامد

- آه هو

- ما أنا أول ما شفت الإعلان اشتريت منه
وبرضه ولا عمل حاجة
- المرة دى هيعمل عشان الأدوية التانية اللى
هتاخدها معاه
- يا ريت أما نشوف .. ده لما عملوا إعلان
تانى بتاع اللى جايب لمراته فى عيد
جوازهم صبار وبتقول له هو أنا ناقصة
صبر .. مراتى قعدت تضحك بنت اللذين
وأنا عامل فيها عبيط ومش واخد بالى
عادا يتبادلا الضحكات وقال الشيخ أحمد
- خلى مراتك تتهد شوية .. انتوا كبرتوا
وعيالكم بقت طول بعرض
قاطعه الزبون مسرعا
- دى ما بتهمدش .. دى ساعات ألاقيها فى
نص الليل وأنا فى أحلى نومة نازلة فيا بوس
وبتفعص فى بتاعى وأنا عامل فيها رايح فى
النوم وأروح متقلب ومديها ضهرى
- أمشى بس ع العلاج زى ما قلت لك وهتبقى
تمام

نهض الرجل ممسكا بالورقة وكأنها عزيز وأخرج خمسين جنيها ومد يده بها للشيخ أحمد الذى قال

- خلى عنك
- عشت يا شيخ أحمد .. ربنا يخليك ، قدها وقدود

تناول الشيخ أحمد الخمسين جنيه ودسها فى جيبه وانصرف الزبون ، ليتلقى الشيخ أحمد اتصالا من الدكتور عماد وقد وصلت الساعة الى الواحدة بعد منتصف الليل

- ايوه يا مونباى .. وصلت تحت ؟ .. انا نازل لك اهو

*　　*　　*

بداخل المطعم يتناول الدكتور عماد العشاء بصحبة الشيخ أحمد الذى قال

- تحت عينيك اسود .. باين عليك ما بتنامش كويس .. أبحاثك مع يورجانة واخدة وقتك طول الليل

- آه .. بس لسه ما وصلتش لجديد
- فى دكتور فى الطالبية فيصل اسمه أيمن سعيد .. كنت اتعرفت عليه من فترة وباستاشيره فى الحاجات النفسية بتاعة الزباين اللى بيجولى وفاهمين ان عليهم عفاريت .. عازمنى بكره ع الغدا .. ايه رأيك تيجى معايا تغير جو بدل قعدتك لوحدك فى الشقة ؟

فجأة حدق عماد فى وجه الشيخ أحمد بغضب عارم واحتقن وجهه وصاح

- يوووووه .. برضه مافيش فايدة ؟

قالها وهو يخبط المنضدة بقبضة يده .. وبطبيعته المرحة ابتسم الشيخ أحمد وقال

- أد إيه إنت لطيف يا إكسلانس ؟

هم عماد بالنهوض للمغادرة إلا أن الشيخ أحمد أمسك بزراعه قائلا

- طب اقعد بس وإهدا .. إيه اللى مضايقك دلوقتى ؟
- أنا مش مجنون عشان تاخدنى لدكتور

قالها بعلو صوته مما لفت انظار الموجودين بالمطعم إليه ، وتابع عماد منفعلا يحاول خفض نبرة صوته

- إن ما كنتش جيت معايا وخليتك تشوفها بنفسك ؟

سحب الشيخ أحمد نفسا عميقا ، وأزاح طاقيته وهرش رأسه ثم عدل وضع الطاقية على رأسه وشرب كوبا من الماء وقال بهدوء

- احنا ما نعرفش بعض من فترة طويلة.. بس اتقابلنا كتير وبنتصل ببعض باستمرار ، ودا خلانى أعرفك كويس .. ساعة ما نزلت من شقتك أنا اتصلت بالدكتور أيمن وأكد إن ده وسواس قهرى ويورجانة دى هلاوس انت بتشوفها وتسمعها

قاطعه عماد محتدا يعترض

- ما أنت شوفتها بعينك معايا

حرك الشيخ أحمد رأسه يمينا ويسارا وقال

- ما هو ده اللى أكد ليا اللى بأقولهولك .. الجهاز اللى انت جايبه ده جهاز صور ثلاثية الابعاد بتشوفها وخيالك بيرسم الباقى

زفر عماد بضيق وقال

- بس هى قالت لى على حاجات انت كنت بتفكر فيها

ضحك الشيخ أحمد وأجاب

- قالتلك ان أنا خايف .. أنا ما كنتش خايف أنا كنت مستغرب وباحاول افهم إيه اللى بيحصل .. وقالتلك ان أنا نفسى فيها .. دا مش مظبوط .. وموضوع الظرف اللى فيه الخمسميت جنيه .. أنا حكتلك يومها اول ما اتقابلنا عن الظابط اللى أهله فاكرينه مربوط واللى مراته جتلك يومها بنزيف وقلت لك انى اخدت ٥٠٠ جنيه .. وأكيد ان شوفت الظرف فى جيبى ساعة ما كنت بأدفع الحساب فى المطعم هنا وعقلك ربط ده من غير وعى منك .. لإنك عايز تثبت لنفسك وجود يورجانة رغم ان انت نفسك مش واثق فى وجودها

صمت الشيخ أحمد يسحب شهيقا عميقا وهو يرقب عيني عماد التى تشع من خلف نظارته بوميض غريب وتابع

- انت دكتور وعارف أن أول خطوات العلاج
انك تكون مقتنع انك محتاج لعلاج .. بكره
أنا هاخدك معايا نروح لدكتور أيمن

فجأة فزع الشيخ أحمد على إندفاع عماد الذى بدا فى هذه اللحظة وكأنه يدافع عن حياته فى معركة ، حين قلب المنضدة وركل كل ما صادفته قدماه قبل أن يهرع مغادرا .

* * * *

أول ما فعله عماد بمجرد عودته الى شقته أنه قام بتشغيل جهاز اليوفى ، وأنتظر دون أن يتلو القسم السليمانى ممعنا فى الضوء البنفسجى .. رأى أشكالا شبحية تتحرك فى الضوء .. صور لنساء ترتسم وتتبدل .. أضاء النور وفتح الجهاز ليرى شرائح سوداء كأنها فيلم تحت التحميض .. بدأت ترتسم أمام عينيه خيالات يرى فيها نفسه وهو يشترى هذا الجهاز ويشترى معه صور لممثلات عربيات وأجنبيات .. بدأ يدرك بعضا

من الوعى .. انه مجرد جهاز يعرض صور ثلاثية الابعاد ترتسم فى الفراغ .. أين يورجانة .. لا توجد يورجانة ولا توجد قيمة لحياته ولن يخلد اسمه فى صدارة تاريخ الكرة الأرضية .. أمسك رأسه بيديه يترنح وسط الغرفة .. لن يتواصل الجن مع الإنس وضاعت حياته هباءا منثورا .. بكى بحرقة وإزداد بكائه وهو يرى نفسه حين كان شاب فى مقتبل العمر يسير فى مظاهرة الحزب الإشتراكى يهتف بسقوط الرأسمالية فى بداية الثمانينات .. ظل يبكى وهو يهتف فى الغرفة

- تسقط الرأسمالية .. تسقط الراسمالية

كان يشعر وكأنه فى مظاهرة حقيقية وأراد أن يفجر جام غضبه ، فهوى على كل شئ حوله يحطمه .. هشم جهاز اليوفى وظل يدوس عليه بقدمه بمنتهى القوة والعنف .. كسر زجاج المنضدة التى تتوسط أرضية الغرفة وجرحت يداه ونزفت منهما الدماء .. صار كل ما فى الغرفة هشيما محتضر .. أمسك رأسه ليمنع الصداع الذى يجتاحها وتلوث وجهه بالدماء النازفة من يديه .. وقف يرنو الى قطع الزجاج

المتناثر ، ثم مال يلتقط قطعة .. ابتسم ساخرا وهوى بقطعة الزجاج يقطع شرايين رسغ يده ، وسقط أرضا وسال دمه .

****

لم ينم خالد فى هذه الليلة وباتت كلمات فاطمة له وكأنها جيوش من التتار تهاجمه بضراوة .. يتقلب على فراشه ذات اليمين وذات اليسار وهو تحت وطأة الهجوم (انت هوائى وما عندكش شخصية .. انا لو اديتك كتاب عن الشيوعية تقراه .. بعد اسبوع ها تعتنق الشيوعية) .. سمع آذان الفجر .. توضأ وخرج من الفيلا ليستقل سيارته الى مسجد الفتح ، وصلى ثم جلس يتمتم بأذكار الصباح ويقرأ القرآن حتى أشرقت الشمس ثم صلى ركعتى الضحى واتجه الى الجراندمول وفتح المحل مبكرا قبل حضور البائعة التى تعمل صباحا .. كان يشعر بأنه مهان منتقص بعد كلمات فاطمة التى لا تفتأ تتردد على مسامعه .. هل هو ضعيف الشخصية لأنه التزم دينيا ؟ .. هل هو هوائى لأنه ترك حياته الخاوية

وصار له هدف على الصراط المستقيم يسير .. ما بالها تعبث به هكذا فهى التى أرسلت له لكى يذهب لمسجد الريان ثم هاهى تصفه بأنه (هوائى) لا يملك شخصية ووجد كلمات وليد له تؤكد كلماتها (هو أنا دماغى خفيفة زيك أى حد يلعب فيها) .. قضى خالد ساعات يقرأ على الإنترنت عن مقومات الشخصية القوية المستقلة .. وقام بتحميل فيديو لمحاضرات الدكتور إبراهيم الفقى ، وأصغى خالد لمحاضرة بعنوان تنمية قوى الذات حيث وقف الدكتور إبراهيم ببدلته الأنيقة وجسده القصير النحيف وشعره الناعم المفروق من المنتصف بخصلاته البيضاء على جانبي رأسه يجز على أسنانه ولا يتوقف عن تحريك يديه ويتحدث بسرعة وكأنه يخشى نفاذ الكلمات

- لا توجد حقيقة فى الحياة إجتمع عليها البشر غير الموت .. دا بس الحقيقة الوحيدة فى الحياة اللى اتفق البشر كلهم على وجودها .. أى حاجة تانية بما فيها وجود الإله الخالق ذاته فهى محل جدل وخلاف .. فى مؤمنين

وفى ملحدين وعبدة بقر وعبدة شيطان ..
عشان كده هنا بيجى دور الشخصية .. لازم
تكون عارف أنه لا توجد حقيقة مسلم بيها ..
هناك الرأى والرأى الآخر .. يعنى لما تقرا
كتاب مثلا أو تشوف حاجة لازم يكون لك
رأى فيها .. والرأى ده نابع من فكرك
وثقافتك وتعليمك اللى هما بيكونوا شخصيتك
.. ما ينفعش تكون تابع لحد من غير ما
يكون لك رأى محدد انت مقتنع بيه

ظل خالد يصغى باهتمام وشغف واستفاد خالد
كثيرا من تلك المحاضرة بالإضافة لما قرأة
وأراد تجربة ذلك عمليا حين سمع أحد الزبائن
بعدما اشترى مجموعة شرائط للشيخ محمد
حسان يقول
- أنا ما باسمعش غير الشيخ محمد حسان .. ده
الوحيد اللى عنده علم صح
نهض خالد بجلبابه الأبيض وطاقيته ولحيته
واتجه الى الزبون باسما وقال
- بص حضرتك مافيش حقيقة فى الحياة الناس
اجتمعت عليها غير الموت .. كلنا هنموت ..

الشيخ محمد حسان واحد من العلماء الكبار
بس دايما فى الرأى والرأى الآخر .. هتلاقى مشايخ أفاضل وعلماء لهم أراء تانية
وحضرتك بتكون رأيك بعد ما تسمعهم كلهم
ابتسم الزبون مكابدا رغبة الضحك وقال
- جزاك الله كل خير
قالها الزبون وانصرف فى حين عاد خالد الى مكتبه شاعرا بأنه صاحب شخصية مستقلة يمكنه تقدير الأمور من حوله .. تصفح رسائله فوجد رسالة من فاطمة تقول (أنا آسفة .. لم أقصد إهانتك .. سامحنى) .. قرأ خالد الستة كلمات عدة مرات وأضاق عينيه وعلا حاجبه الأيسر ، ليفهم الرسالة بشخصيته المستقلة ويكون له رأى خاص به .. ظل يفكر ويتدبر وردد بينه وبين نفسه : كيف يصبح له رأى فى شئ لم يراه ، فهو لم يرى حتى شكل وجهها ولم يتحدث معها .. سمع منها بضعة كلمات أغضبته ، وما معنى اعتذارها .. هل وافقت على قبوله وتدعوه بهذه الرسالة الى معاودة الزيارة .. شعر بالحنق تجاهها ماذا تريد منه بالضبط بالأمس تهينه وترفضه واليوم تعتذر وتطلب السماح .. غادر

المحل مع قدوم الاستاذ بكر بعدما مارس خالد بعضا مما تعلمه اليوم عن مقومات الشخصية ، حيث راجع مع الأستاذ بكر بعض الفواتير والحسابات وابدى أرائه فى تنمية بضاعة المحل وزيادة نشاطة .. وشعر خالد بالزهو من نظرات الأستاذ بكر المندهشة من كلمات خالد ، ولم يكن سبب الدهشة سوى عدم اعتياد بكر على إهتمام خالد بشؤون المحل وليس كما ظن خالد بأن شخصيته المستقلة هى السبب .

عاد خالد الى الفيلا ونام على الفور فهو لم ينم من الأمس .. واستيقظ فى الصباح ليجد نفسه يقف أمام مرآة الحمام ينظر الى لحيته الطويلة ، ويفكر بشخصيته المستقلة فى حقيقة اللحية ليصبح له رأى خاص فيها .. سرعان ما كون رأيه الخاص المستقل .. العبرة ليست بالمظهر وإنما بالجوهر ، فمثلا لو كان رجلا يعفى لحيته ولا يصلى .. هكذا قرر خالد حف لحيته بالماكينة الكهربائية وقام بتحديدها من على خدوده ، لتبدو أنيقة مهندمة بشكل جميل .. أخرج من الدولاب

قميصا وبنطلونا .. نفض القميص ثلاثة مرات وهو يقول

- بسم الله .. بسم الله .. بسم الله .. الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة

كرر ذلك مع البنطلون وتأنق وصفف شعره جيدا وأثناء خروجه الى المحل رأى والدته تغادر الى عملها والتى أخفت ابتسامتها العريضة بعدما رأته على هذا الشكل .. اقترب منها وقال

- ازيك يا ماما ؟

تمكنت أمه من أن تكسو وجهها بملامح لا مبالية والتفتت له وقالت

- عملت ايه صحيح أول إمبارح ؟
- فى إيه ؟
- مش كنت رايح تتقدم لعروسة

تنهد خالد بعمق وقال وهو ينظر الى الفراغ

- ما أقدرتش أكون رأى خاص بيا ناحيتها .. أصلها ما تكلمتش معايا غير كام كلمة وشخصيتى ما قدرتش تحكم عليها

قالها ثم نظر فى وجه والدته يتابع

- أنا رايح الشغل .. عايزة حاجة ؟

- بدرى كده ؟
- فى ترتيبات عايز أعملها

ما إن غادر خالد حتى وجدت سناء نفسها تضحك ، فهى تعلم ما حدث يوم أن ذهب الى فاطمة بالإتصال بها وقالت لفاطمة

- أنا كان غرضى من مقابلتى ليكى فى الكلية مش إنك ترفضى خالد .. أنا كنت خايفة إن الخطوة دى تكون ناتجة من خالد بدون تفكير وإقتناع .

هكذا كذبت مدام سناء التى كانت تعتقد أن زواج خالد من منقبة والدها شيخ ، ما هو الى إمتداد للتحول الذى طرأ عليه بسبب خوائه الفكرى وإنعدام طموحه .. لكنها حين قابلت فاطمة وتحدثت إليها ، أدركت شيئا آخر حيث وجدتها شخصية مثقفة تحظى بمكانة إجتماعية بحكم كونها معيدة جامعية .. وأختلف الأمر لديها وأصبحت تفكر فى شئ آخر .

أما فاطمة فبعد كلمات والدة خالد الرقيقة وما التمسته فيها من ود .. إزداد لديها إحساس الندم على ما فعلته بخالد بكلماتها القاسية ، فأرسلت بالإعتذار إليه .

* * *

كل من يعرف خالد فى الجراند مول من أصحاب المحلات المجاورة والعاملين بها ، كانوا ينظرون اليه مبتسمين .. بعدما عاد مجددا الى القميص والبنطلون بدلا من الجلباب .. وجلس خالد يستمع كعادته الى الدروس الدينية للمشايخ واضعا نصب عينيه (لا توجد حقيقة ثابتة فى الحياة .. هناك الرأى والرأى الآخر) .. ووجد نفسه يفكر فى كل ما يسمعه ويمرره على عقله ، ووجد معانى الآيات والاحاديث تختلف رغم أنه سمعها من قبل مئات المرات .. وكتب رسالة تقول (إعتذارك مقبول .. سامحتك) وأرسلها الى فاطمة .

وفى المساء كانت مدام سناء بصحبة زوجها مجدى عند الطبيب الذى قال بعدما سمع الجديد

- أنا شايف إن كلام فاطمة لخالد ليها دور كبير .. وخطوة الجواز فى حد ذاتها هاتفرق مع شخصية خالد كتير جدا .. وزى ما حضرتك قولتى إنها انسانة مثقفة يبقى قرار إرتباطه بيها ده يرجع لكم على حسب إختلاف الفكر الأسرى هنا وهناك .. إنما اللى محتاجينه لخالد دلوقتى ، إننا نستغل المرحلة اللى دخل فيها دى ولازم يعرف إن التدين مالوش علاقة بالإرتباط بفكر جماعة من الجماعات .. فى أركان ثابتة للدين وعشان كده هو لازم يعرف إن فكر التبليغ والدعوة مش هو الفكر الأمثل ، والدليل إن فى أفكار معارضة .. ممكن تيجيبوا كتب أو شرايط لأراء سلفية بتختلف مع التبليغ .. ده هيعمل عنده نوع من الإرتباك الشديد بس هيطلع منه فى النهاية بالفكر الدينى اللى عقله هايعيد صياغته

بالفعل كما أشار الطبيب جلس مجدى وسناء فى بهو الفيلا ، ولما دخل خالد عائدا من العمل استقبله مجدى قائلا

- تعالى عاوزك شوية يا خالد

- خير يا بابا

قالها خالد وهو يجلس أمام والديه وقال الأب

- أديك شوفت إحنا تقبلنا رأيك الشخصى ومعتقداتك .. بس أنا كنت بأتكلم النهاردة مع صديق ملتزم دينيا وسألت عن جماعة التبليغ والدعوة من باب المعرفة ، فلقيته بيقول إنه كان خارج قبل كده فى سبيل الله وبعدين لقى أراء فقهية بتقول إن الخروج ده بدعة وما وردتش فى القرآن ولا فى السنة .. وإدانى الحاجات دى

قالها وهو يناول خالد كتيبات تنتقد جماعة التبليغ والدعوة بالآيات والأحاديث ومعها شرائط وسى ديهات .. تناولها خالد وسمع والده يقول

- أنا عاوزك تقراها عشان تقدر تكون رأى صحيح عن الدين

إنهمك خالد على مدار الأيام التالية يقرأ بدعة الخروج فى سبيل الله وقصر العلم الدينى على الصفات الستة وتفسير آيات الجهاد والدعوة بشكل مخالف لحقيقة معناها .. وتبحر خلال عالم الإنترنت ليقرأ عن أفكار ومناهج الجماعات الإسلامية.. ليجد نفسه فأرا فى متاهة لا يعرف أى طريق يسلك ، لدرجة أنه بكى خاشعا متضرعا يصلى فى جوف الليل متشبها بسيدنا إبراهيم يطلب الهداية من الله مرددا لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين .. وكان يفكر فى حديث النبى (ص) : (تتفرق أمتى من بعدى الى بضع وسبعين فرقة .. كلهم فى النار إلا واحدة .. ما كنت عليه أنا ومن اتبعنى) .. هكذا كان خالد يبحث عن هذه الفرقة الناجية .. هل هى السلف أم التبليغ والدعوة أم الإخوان .. وحتى الشيعة والخوارج والمعتزلة والصوفية .. أين الحقيقة ؟ .. خلص خالد فى النهاية بعد كل ما قرأه ورآه وسمعه الى ما أراح عقله وأطمأنت له فطرته ألا وهو إعمال العقل والفكر .. عليه أن يحافظ على عبادته من قواعد الدين وأركان الإسلام الخمس .. وكلما سمع آية أو حديث أو

رأيا فقهيا يمرره على عقله أولا ويفكر ليفهم المغزى ويعلم المضمون .. أدرك خالد أن الدين أعمق من نصوص الآيات والأحاديث وأكبر من تفسيرات العلماء التابعين .. وإلا فما بال الكافر الذى دخل الجنة لأنه سقى كلبا عطشانا .. والمرأة التى دخلت النار لأنها حبست هرة ، لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .. هذا جاء بنص الأحاديث .. وما بال العاصين فى النار اللذين يتوسلون الى الله ليعيدهم الى الدنيا ساعة واحدة يعملون فيها صالحا ، ولكن الله يقسم أنهم لو عادوا الى الدنيا لعادوا الى معاصيهم من جديد .. كيف لإنسان عاصى رأى النار والجنة والثواب والعقاب ورأى الغيب رأى العين ، وإذا عاد للدنيا يعود الى المعصية ؟ !! .. هكذا أدرك خالد أن الأمر أكبر من حقيقة إدراكنا ، وأدرك أن عليه أن يعمل عقله وفكره ليصبح مسلما وليس مستسلما .

*　　　　　*　　　　　*

اتخذت حياة خالد منحى آخر جديد وبدا ذلك على مظهره الذى رآه عليه الشيخ إسماعيل حسين الذى جاء لزيارته فى المحل ، ورأى خالد حليق اللحية يرتدى قميصا وبنطلونا .. لم يندهش الشيخ إسماعيل كثيرا لأنه شاهد كثيرين يمرون بما مر به خالد ، وتحدث معه بطريقة ودودة وختم كلامه قائلا

- بعد بكرة الجمعة إن شاء الله خارجين ثلاثة أيام فى حلوان .. مستعد تكون معانا ؟

ابتسم خالد وقال بأدب جم

- إعفينى يا شيخ إسماعيل .. أنا قريت كتير فى مسألة الخروج دى و

قاطعه الشيخ إسماعيل بضحكة مرحة وقال

- يفعل الله لك ما فيه الخير يا خالد .. ألحق أنا صلاة المغرب فى دار السلام .. وزى ما باجى أزورك هانتظرك تزورنى .. أديك عرفت المسجد بتاعنا

وقبل أن يغادر الشيخ إسماعيل قال خالد مسرعا

- أنا ما عرفتش الرد من ساعة زيارتى ليك

قالها خالد لأنه يريد أن يعرف هل مسألة الخروج ستنهى أية محاولات للوصول لفاطمة أم لا ، ورأى الشيخ اسماعيل يضحك عاليا ويقول

- هى قالت يومها إنها ما لقيتش القبول ناحيتك

قالها وصمت ينظر باسما فى وجه خالد الذى زاغت عيناه واتسعت ابتسامة الشيخ إسماعيل وتابع

- بس سألتنى عليك مرتين بعدها

هنا أسرع خالد يقول

- يعنى أقدر أجيب والدى ووالدتى ونيجى نزوركم

- بعد ما أرجع من حلوان إن شاء الله

إنصرف الشيخ إسماعيل وجلس خالد يفكر هل سيوافق والديه على ابنة الشيخ اسماعيل أم لا ؟ .. وسرعان ما تذكر أنها هى التى رفضته سابقا وتذكر ما قالته له ، فابتسم لأنه علم الآن أنها كانت محقة .. فتح الإيميل وكتب رسالة نصها كلمة واحدة (تتجوزينى ؟) وأرسلها الى فاطمة .. ساعة واحدة كانت هى الفاصل الزمنى بين سؤال خالد وإجابة فاطمة التى جائت أيضا من كلمة واحدة (موافقة) ، ولكن جاء مع الكلمة

مجموعة أرقام .. أمعن خالد النظر ليدرك أنها رقم هاتفها .. أمسك موبايله واتصل بها على الفور .

ولم تكن موافقة فاطمة إلا نتاج لإتصالات مدام سناء والدة خالد بها .

****

بداخل الحمام ووسط الإضائة الخافتة يظهر ظهر إمرأة عارى لكنه مغطى برغاوى الصابون .. يتسع الكادر فنرى فتاة ممسكة بليفة ناعمة تدلك بها ظهر المرأة .. نسمع تأوهات خافتة وتقترب الكاميرا من وجه المرأة الذى بدت عليه الإثارة .. تستند المرأة بيديها على الحائط وتقول

- انزلى لتحت شوية يا نورا .. ايوه دلكى الحتة دى
- حاضر يا ستى

لقطة سريعة تظهر لنا فيها المرأة وكأنها تفعل بيدها شيئا بين فخذيها وسط ضوء خافت للغاية ، ولقطة أخرى سريعة لوجه نورا المربد بالإثارة .

- ستوب .. كت .. برافو يا شهد .. اللى بعده

هكذا انتهت شهد من تصوير أحد أهم مشاهد فيلم (جعلونى عاهرة) .. وصفق المنتج شريف عبد القادر يقول

- هايل يا فنانة

بعد إنتهاء التصوير لهذا اليوم .. غادرت شهد الإستوديو بصحبة شريف وذهبا الى شقته التى أصبحت شهد تقيم فيها بصفة شبه دائمة .. وقال شريف

- أنا متوقع الفيلم ده هايعمل ضجة ، وهانخش فى مشاكل مع الرقابة .. رغم إن تيمة القصة مكررة ، البنت اللى الظروف بتحولها الى عاهرة .. بس أسلوب التناول جديد وفى جرأة كبيرة

- فعلا يا شيرى .. أنا حاطة كل إمكانياتى الفنية فى الدور ده .. تعرف إن مع إنه تمثيل بس باحس وكأنى عايشة الدور بجد
- ده لإنك فنانة حقيقي موهوبة
- مشاهد النهاردة خليتنى مش قادرة اتلايم على نفسى

ضحك شريف عاليا وقال
- أمال أنا جنبك باعمل إيه ؟
قالها وهو يحتضن شهد ويقبلها .. اتجها الى غرفة النوم وكانت شهد تشعر بالرغبة والشهوة ، لذا لم تعبأ بلعاب شريف المنسال على فمها وهو يقبلها وملمس جسده اللزج وهو قابع فوقها ، أغمضت عينيها لتتخيل وليد يعتليها فى هذه اللحظة .. لكنها فتحت عينيها فلم تعد قادرة على استبدال شريف بوليد فى خيالها .. وأدى ذلك الى بتر متعتها وبدأت تحرك جزعها وكأنها تلفظ قضيب شريف من مهبلها .. أرادت أن تنهى الأمر .. مدت كفيها تعتصر إليتي شريف وداعبت بأصبعها شرجه ، فقذف منتهيا .. نهض عنها واغتسلا سويا ثم غادر الى بيته وتركها .

بعدما غادر شريف بقليل .. دق جرس الباب واتجهت شهد لتفتح مرتدية الروب الحريرى الأسود على جسدها وشهقت ذعرا حين رأت وليد وقد بدت علامات مفزعة مخيفة تكسو وجهه ، مما دفعها لمحاولة غلق الباب إلا أنه تمكن من حشر جسده ودفعها بقوة للدخول ، وصاح

- هو ده اللى انتى سيبتينى عشانه ؟ .. خلاص أنا ما بقتش قد طموحك يا نجمة ؟

قالها وهو فريسة للغضب وأخرج مسدسه الميرى الذى ما إن رأته شهد حتى حدقت مذعورة ، وقالت

- إنت فاهم غلط .. دا المنتج بتاع الفيلم

يقترب وليد من شهد التى تتراجع حتى سقطت جالسة على الأريكة ، ومد وليد يده مسرعا وجذبها من شعرها يقول بنبرة خفيضة وعينيه تلمع

- ما أنا عارف إن ده المنتج .. وتحريات المخبرين اللى مشيتهم وراكى عرفت منها إنك كنتى بتخونينى معاه من قبل ما تسيبينى

قالها وهوى على خد شهد بصفعة عنيفة يصيح بعلو صوته

- ولا إيه يا خاينة ؟ .. أنا هاقتلك

قالها وليد وهو يصوب مسدسه تجاه رأس شهد ، واحتقن وجهه كجمرة كبيرة من النار ، وفجأة ارتخت يده الممسكة بالمسدس ليقول بنبرة عتاب

- ليه يا شهد ؟ .. ليه ؟ .. إنتى عارفة إنى ما أقدرش أعيش من غيرك

استغلت شهد الفرصة ونهضت تمسك برأسه تقول وسط لهاثها من فرط الفزع

- أنا عملت كده عشانك

ألقى وليد بجسده على الأريكة وسمع شهد تواصل كلماتها

- أنا حبيت أسيبك لمراتك

كان وليد قد دخل فى مرحلة بينية بين الوعى واللاوعى ، لا يدرى ماذا حدث له منذ فراق شهد .. وشرد ذهنه متمنيا عودة المياة الى مجاريها مع شهد .. إلا أنه أفاق على صوت الباب يفتح وشهد تتسلل خارجة تعدو حافية بروبها الأسود .. جرى وليد محاولا اللحاق بها

إلا أن صرخات إستغاثتها جعلت الجيران يهرعون ، وبالكاد تمكن وليد من تخليص نفسه من براثنهم بعدما أشهر لهم ما يثبت أنه ضابط شرطة .

*   *   *

حررت شهد بلاغا ضد الملازم أول وليد نور الدين ، بصحبة المنتج السينمائى شريف عبد القادر وتم إستدعاء وليد للتحقيق الذى انتهى بمساعى والده اللواء نور الدين الذى استعان بكبار قيادات الداخلية لمنع محاولات تصعيد المنتج شريف للبلاغ ، ووافقت شهد على انهاء الموضوع وديا حتى لا تطالها الألسنة عن علاقتها بضابط الشرطة والمنتج .. وخرج وليد مع أبيه الذى نهره قائلا

- إنت عارف إن اللى عملته ده قضية شروع فى قتل .. وأنا عملت المستحيل عشان ألمها .. شايف إستهتارك وصل لإيه ؟ .. أنا دلوقتى عرفت إنى غلطت يوم ما سيبتك لأمك تدلعك .. من النهاردة حسابك هايكون عسير .. أنا مضطر أنقلك من القاهرة كلها

وبتوصية من اللواء نور الدين قام رئيس مباحث دار السلام بإعطاء وليد أجازة تمهيدا لنقله لمحافظة أخرى .. ولم تكن هذه الاجازة سوى بداية إنهيار وليد .

تجنبت ميار الاحتكاك بوليد الذى أصبح فى حالة لا تسمح بالإقتراب منه .. لا يكف عن تدخين الحشيش .. شحب وجهه وأحاطت الهالات السوداء عينيه ، وشعر ذقنه نابت مهمل .. يجلس غالب الوقت فى الشقة لا يتحدث إليها .. شارد الذهن على الدوام .. ولم تكن ميار تعلم ما حدث لكنها ترى وليد فى حالة لا تجد لها تفسيرا .. حاولت أن تفهم السبب من اتصالها بوالدته وأخته لكنها لم تجد لديهم شيئا .. واليوم جد فى حياة ميار الجديد وأرادت أن تخبر وليد وقالت

- وليد
- عاوزه إيه

هكذا أجابها وليد بحنق وهو يشعل سيجارة ، فتنهدت وقالت

- أنا حامل

لم يبدو على وليد ما يبدو على أية شاب يعرف أنه سيصبح أب ، وخيل لميار أنه لم يسمعها أساسا ورأته ينهض ويتجه الى البلكونة .. لم يكن وليد يتخيل أنه يمكن أن يصل الى هذه المرحلة من إنعدام الوزن بسبب إمرأة .. عرف الكثيرات ونشأت وانتهت علاقات ، لكن ما الذى حدث مع شهد تحديدا .. ذلك هو السؤال الذى يحتاج الى إجابة .. إذا ألقينا نظرة جديدة على حياة وليد مع العاهرات التى تقوم على الجنس فحسب ثم إنهائه لكافة العلاقات من أجل واحدة ، ألا وهى شهد .. أدى به ذلك الى شعور دفين تأصل بداخله وهو أن شهد ملكا له تماما كسيارة أو شقة أو حتى قطعة ملابس .. وقتما يريد المتعة يجدها تلبى طائعة وتذيقه فنون اللذة والمتعة .. حتى زواجه خطط له كمجرد خطوة إجتماعية لابد منها ، أما شهد فهى حياة أخرى لا يستطيع أن يتنازل عنها .. ومثلما كانت شهد ترى أن زواجها عرفيا من وليد ما هو إلا مجرد اتفاق على أن تكون عشيقة حصرية له ، كذلك وليد لم يكن يدرى كينونة لعلاقته بشهد .. فقط هو يدرك أنها ملكه يستمتع بها وقتما يشاء وكيفما يريد ..

وبالتالى أصبحت رغبة وليد فى استعادة شهد ما هى إلا حب تملك .. لو عُرض عليه الآن من النساء الكاسيات والعاريات لما قبل بواحدة غير شهد .. وإلا لنسى أو تناسى شهد وبحث عن أخرى كما طلبت منه شهد فالطريق بالنسبة له سهل وميسور .. لكنه لا يريد سوى شهد ، وحتى إذا عادت إلى حظيرته طوع أمره ربما يزهد هو فيها ويلقى بها بعيدا عن حياته على أن يكون ذلك برغبته ومزاجه ، أما أن تتركه هى بهذه الطريقة وتطيح به من طريق طموحاتها ، فهذا ما أجج وليد ووصل به إلى ذلك الحال المضطرم برغبة عارمة فى نهش شهد .. هو المدلل الثرى الذى عاش حياته عابثا لاهيا لا يرغب فى شئ إلا وصار بين يديه ، ويصل به الحال الى أن يكون مطاردا لعاهرة التقطها من ملهى ليلى لتمتع رغباته الجنسية .. شعر أن كرامته أهدرت وكبريائه تحطم على يديها ويبحث عن تعويض بل إنتقام حيث يتخيل كثيرا أنه يخنقها أو يفرغ رصاصات مسدسه فى جسدها أو حتى يدوس بقدمه عليها ويمزقها إربا .. هل سينتهى الأمر عند هذا الحد إذا أصر والده

على نقله لأحد المحافظات ، لا مهما حدث لن ينتهى الأمر .. أمسك الموبايل وكتب رسالة (لو مرجعتيش ليا هاقتلك يا شهد) ، وقبل أن يضغط إرسال شعر أنه فقد عقله .. سيدفعها تهديده لها حتما فى تصعيد بلاغ آخر ضده ولن يفلت من أبيه إذا أفلت من البلاغ .. حذف الرسالة واتصل بها ووجد الرقم غير موجود بالخدمة .. طبعا غيرت الرقم وبالطبع لن تعود لشقة المنتج .. تنهد بحرقة حين جال بخاطره ذلك المنتج .. هو السبب .. هو من سرق شهد منه ولكن أين ستذهب منه .. اتصل بعلى أمين المباحث المساعد له فى سيارة الدورية وطلب منه

- عايزك تخلى مراقبة المخبرين عليها .. أكيد هاتظهر فى تصوير الفيلم .. عايز أعرف مكانها فين بالظبط .

****

خرج هشام من المدرج بعد انتهاء المحاضرة ، ومعه فايز عودة ذلك الشاب الفلسطينى الذى يدرس فى كلية الطب مع هشام .. كان هشام قد اشتبك مع فايز ذات مرة من قبل بجدال محموم حول تصريح شيخ الأزهر بأن العمليات الإستشهادية الفلسطينية ليست جهادا فى سبيل الله ، فالجهاد يحتاج الى العدة والعتاد للوصول الى أهداف ونتائج محددة .. أما العملية الاستشهادية فنتيجتها قتل مدنيين إسرائيليين ، وترد إسرائيل بقتل أضعاف ذلك من المدنيين الفلسطينيين .. هذا رأى شيخ الأزهر الذى يعتقده فايز هو الآخر والذى أذعن مصغيا الى هشام بعدما أحس أنه لا سبيل له بمجادلة هشام الذى قال

- أنا مش أقادر أفهم إنت إزاى إتولدت وعشت فى فلسطين وشوفت إخوانك بيموتوا قدام عنيك بآيادى اليهود الكفرة .. ويكون ده تفكيرك .. ما تزعلش منى انت جبان زى الخوالف اللى تخلفوا عن رسول الله وقالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا

كان ذلك هو ما جعل فايز عودة ألا يجاهر أمام أمثال هشام من المنتمين الى التيار الإسلامى والإخوان المسلمين بأرائه .. وتجمعه علاقات زمالة وصداقة بأغلب الطلبة ويتحدث باللهجة المصرية بطلاقة ولكن مع الإسترسال فى الحديث يمكنك أن تلحظ لكنته الفلسطينية .. يسير هشام الى جوار فايز يتحدثان فى أحوال الدراسة وقرب إمتحانات السنة الأخيرة .. كان فايز مبتسما من حالة التغير التى طرأت على هشام ووجده لا يحادثه عن فلسطين ولا اليهود .. سمعا صوتا من خلفهما يقول وسط الضحكات

- هاى

كانت يارا نور الدين تحاول كبت ضحكاتها من مرآها لهشام وفايز مع بعضهما ، فكيف يجتمع الشرق والغرب وتابعت وهما ينظران إليها

- سورى يا جماعة .. أصل أنا مستغربة انكم مع بعض

رد فايز وقال

- هشام صديقى

- بس هو له فكر وانت ليك فكر مضاد

ضحك فايز وقال

- مش بتقولوا إختلاف الرأى لا يفسد للود قضية

- ده مش رأى .. دى عقيدة

قالتها يارا وهى تتحول بنظرها الى هشام وتقول

- إزيك يا هشام

- الحمد لله

قالها مقتضبا فى الوقت الذى كانت فتاة جميلة تقترب بشعرها الكستنائى ووجهها الأبيض المحمر من فرط بياضها وعينيها الخضروان وجسدها المتناسق ترتدى بنطلون جينز أسود أبرز مؤخرتها الكبيرة واستدارة فخذيها الملفوفة وتى شيرت قطنى رمادى أظهر صدرها العامر يتقافزان مع مشيتها ، ووصلت حيث يقفون وحيتهم بود وقالت موجهه كلامها لفايز

- خلصت محاضراتك ؟

قالتها بلكنة أكدت ملامحها التى تبدو أنها ليست عربية ، وقالت يارا لفايز

- هى دى يا فايز ؟

- آه .. نتاليا زوجتى

قالها ثم أشار تجاه يارا وهشام معرفا إياهم لنتاليا وغادر معها مستأذنا .. بينما ضحكت يارا وقالت لهشام

- بجد برافو عليه
- مش فاهم

قالها هشام بعدم فهم وتابعت يارا تقول

- الإنسان اللى يتحدى عادات وتقاليد واعتقادات شعبه عشان حاجة مؤمن بيها ده يبقى إنسان متحضر حقيقى

تنهد هشام وقال وهو يحاول ألا يبدو ليارا أنه ينظر مباشرة إليها حيث كان يسترق النظر ثم يبعد عينيه عنها

- كون انه رافض لكفاح شعبه لتحرير أرضه ده يبقى تحضر

ردت يارا مسرعة

- أنا باتكلم عن فكرة التمسك بالمبدأ .. كون إن هو يتقبل الآخر وما يحجرش على رأيه هو ده التحضر .. كون إنه يصر على الجواز من الإنسانة اللى حبها حتى لو كانت إسرائيلية يهودية ويكافح عشان يعيش حياته

زى ما هو عاوز بأفكاره ومعتقداته ده يبقى جدير بالإحترام
كست علامات الدهشة عيني هشام وهو يتابع فايز ونتاليا يبتعدان وقال
- مين دى اليهودية ؟
ضحكت يارا وقالت
- هو انت ما تعرفش .. دى الكلية كلها عارفة .. فايز الفلسطينى اللى متجوز اليهودية الإسرائيلية
هز هشام رأسه وقال بنبرة ساخرة
- فعلا معاه حق كل الفلسطينيات المسلمات خلصوا .. ليه ما يتجوزش يهوديه ؟!
- دى قصة حب ومسألة مبدأ
قالتها يارا بنبرة جادة جعلت هشام يضرب كفا بكف دون أن يعقب بشئ .. نظرت يارا فى ساعاتها وقالت
- تحب أوصلك ؟
- جزاكى الله خيرا
- آه نسيت .. هيبقى فى بينا خلوة
صمتت ثم تداركت

- صحيح أنا قريت الكتيب اللى انت اديتهونى وماعجبنيش

- سلام عليكم

قالها هشام وهو يمضى مغادرا كأنه لم يسمع جملتها الأخيرة بينما اتجهت هى حيث سيارتها مغتاظة من تجاهله لجملتها .. شاهدته أمام باب الكلية وهى خارجة فتوقفت بالسيارة واستعملت آلة تنبيه السيارة ليلتفت إليها ويسمعها

- إركب

ركب هشام الى جوار يارا التى إنطلقت بالسيارة .

****

قبل ستة سنوات

الوقت منتصف الليل والقمر يتبوأ أريكة السماء وقد كسى السكون المكان وكأنه خلا من الحياة ، حيث يتسلل فايز عودة مرتديا زيا عسكريا للجنود الإسرائيليين .. بداخل مستوطنة (أريئيل) اليهودية الإسرائيلية الواقعة فى قلب الضفة الغربية وتمكن من بلوغ أحد المبانى ودخل

مسرعا ليجد باب الشقة الكائنة فى الدور الأرضى مواربا .. دلف وأغلق الباب ورائه بحذر .. كانت نتاليا حاييم بإنتظاره ترتدى قميص نوم أسود من الدانتيل الشفاف ويظهر جسدها العارى من خلفه .. تلقفته نتاليا تحتضنه وتقبله ، فها هو يثبت لها كالعادة أنه جدير بحبها له .. لا يهمه المخاطرة بحياته من أجل الوصول إليها بينما هو الذى لم يقدم على المخاطرة بحياته بالخروج مع إقرانه فى الإنتفاضة أو حتى الإمساك بحجر وقذف جنديا اسرائيليا به .. يخاطر الآن بحياته من أجل نتاليا .. هو يرى أنها تستحق وماذا تساوى حياته مقابل رشفة من خمر شفتيها تسكره ، أو نظرة حانية محبة من عينيها تسحره .. ألا يكفى ذلك الدفء الذى يغزو جسده وهو بين زراعيها ، وملمس شعرها الكستنائى الناعم وهو يمرر أصابعه بين خصلاته .. بدأت نتاليا فى خلع ملابسه وهى ترنو لوجهه بنظرة تقدير على حبه لها وخلع هو عنها قميصها .. والتحم الجسدان عاريان على الفراش يهربان بإحساسهما الذى لا يجدان له توصيفا فى هذه اللحظة من قدرهما .. غريب

أمر هذا القدر ساقهما الى بعضهما برابط الحب ولم يكن بينهما رابط غيره ، فهو فلسطينى مسلم وهى إسرائيلية يهودية .. جائت مهاجرة الى اسرائيل من روسيا تبحث عن الأرض الموعودة .. مجرد راقصة باليه شابه فى ريعان العمر .. فشلت بعدما استقلت بحياتها عن أمها التى تزوجت بعد وفاة أبيها فى أن تصبح راقصة بالية مشهورة ، وغمرها اليأس تماما كما يغمر الثلج روسيا فى الشتاء .. هاجرت الى اسرائيل علها تجد حياة جديدة وآفاق بعيدة ووجدت وهما وسرابا ونفس الحكاية الأزلية للبشرية حيث القوى يظل قويا والضعيف يظل ضعيفا .. يا ليت ذلك فحسب وإنما ينهش القوى الضعيف .. وهى ضعيفة لأنها لم تأتى ومعها المال الذى يعينها على أن تبدأ حياة جديدة مثلهم .. فكان مصيرها مجرد عاملة بائسة فى مصنع يملكه أحد المستوطنين الإسرائيليين بالضفة الغربية .. أصبحت لقمة سائغة لأى جائع يريد أن يمضغها ويبتلعها .. أعطتهم ما يريدون إيثارا للسلامة أولا ومن أجل بعض المال ثانيا .. لا تنسى يوم كان شيمون عاموئيل صاحب المصنع الذى

سمعت أنه يحتاج الى عمال على الدوام وأى طالب عمل لديه يقبله .. وقفت أمامه وهو يتفحص جسدها ويرنو لوجهها بنظرات متفحصة ويسأل

- أنت من روسيا ؟
- نعم
- يبدو على ملامحك وماذا كنت تعملين فى روسيا
- راقصة باليه

قهقه شيمون عامونيل عاليا ، فشعرت نتاليا برجفة من ضحكته وسمعته يواصل كلماته

- حسنا .. عليك أن تؤدى رقصات الباليه للترفيه عن العمال فى المصنع هنا .. ما رأيك فى هذا العمل ؟

قالها وهو يعاود الضحكات التى بترها فجأة وسأل مجددا

- ولماذا جئت الى اسرائيل ؟

قبل أن تفتح نتاليا فمها لترد ، أشار هو بكفه إليها وأطرق رأسها وقال

- أعلم .. أعلم .. خدعوكى بالحياة الجديدة هنا فى دولة اليهود

صمت ينظر اليها متنهدا وقال

- ما اسمك ؟
- نتاليا حاييم
- اسمعى يا نتاليا .. عليكى أن تعلمى أن هذه الدولة لا علاقة لها باليهودية .. هى مجموعة من اليهود يبحثون عن الحياة كباقى البشر .. عليكى أن تصارعي من أجل أن تطعمى نفسك .. تعالى

اقتربت نتاليا منه ورأته يرنو الى صدرها ويتفحص جسدها ثم قال

- ستكونى هنا مصدر للمشاكل بجسدك وجمالك هذا .. هل انتى مستعدة ؟

كانت حالة البؤس التى تبدو على نتاليا تغنى عن الإجابة وأومأت برأسها إيجابا ، فضحك شيمون وقال

- عظيم .. إذن هيا نبدأ .. إخلعى ملابسك

كانت نتاليا مستعدة لأن تفعل أى شئ فى سبيل الحصول على عمل بعدما نفد ما لديها من مال ولم تعد تملك شيكل واحد .. خلعت ملابسها وصارت عارية .. إحساس المهانة فى هذه اللحظة لا يوازى شيئا أمام الجوع والتشرد

والضياع التى تعيشه نتاليا بلا عمل .. استسلمت لشيمون وهو ينهض ويفتح سوستة البنطلون ويخرج قضيبه ويدلكه بيده لينتصب سريعا .. جعلها تميل الى الأمام وهى واقفة ودفع بقضيبه فى مهبلها من خلفها .. أغمضت نتاليا عينيها تتخيل أنها لا تزال طفلة صغيرة تلهو وسط أبويها .. لماذا كبرت وألقت بها الحياة الى هنا ؟ .. كانت تتمنى لو لم تغادر روسيا ثم انتابها إنقباض فى صدرها وهى تتسائل وماذا كانت تفعل فى روسيا .. صحيح أنها أفضل من حياتها فى إسرائيل ، لكنها فى كل الأحوال بائسة ضائعة.. كان شيمون عاموئيل بكامل ملابسه وهو يوجهها لتجلس على المكتب ويمسك رجليها ويباعدها رافعا بيديه ويواصل طعناته فيما بين فخذيها حتى انتهى ، وعاد بهدوء يجلس على كرسى مكتبه وأشار لها بالإنصراف قائلا

- إذهبى الى إيهود بالخارج لتستلمى العمل

ارتدت نتاليا ملابسها وقبلما تخرج سمعت شيمون يقول

- انتظرى

التفتت لتجده يمد يده اليها ويقول

- خذى هذه

تناولت نتاليا العشرة شيكل ووضعتها فى جيب بنطلونها وخرجت تستلم العمل .. كانت نتاليا تتقاضى راتبا ضئيلا بالكاد يكفى وجبتين وإيجار الشقة الصغيرة فى مستوطنة أريئيل ، وأسلمت جسدها لمن يريد مقابل القليل من المال .. كانت كلما اختلت بنفسها وجدت نفسها تبكى وحيدة فى شقتها الرثة وتتسائل ماذا فعلت فى حياتها ؟ لتلقى ذلك الحال وهى فى مقتبل العمر .. وماذا بعد هل ستمضى حياتها هكذا أم هناك الجديد .. عانت من حالة إكتئاب حادة أودت بها الى محاولة الإنتحار حيث صعدت أعلى البناية ووقفت على الحافة تتأهب لإلقاء نفسها ، فعلام تبقى فى هذه الحياة ، لكن غريزة البقاء وحب الحياة استيقظ فى اللحظة الأخيرة وهبطت من سطح المبنى واكتفت بالبكاء .. إننى جبانة .. نعم إذا لم أكن جبانة لما تركت الحياة تعبث بى هكذا .. وذات يوم جائها الجديد الذى أعطى لحياتها قيمة ومعنى ، يوم قابلت فايز عودة ذلك الشاب الذى حصل على الثانوية العامة بمجموع متفوق ولكن فقر أسرته دفعه الى عدم استكمال دراسته

والبحث عن عمل .. مثل كثير من الشباب الفلسطينى تحت وطأة الفقر والقهر يضطر الى العمل لدى اليهود اللذين يبحثون عن أمثال فايز كعمالة بديله لعدم توافر العمالة الإسرائيلية بالوفرة المطلوبة .. والتحق فايز بالعمل فى المصنع الذى يملكه شيمون عاموئيل بالضفة الغربية مقابل ١٠٠ شيكل فى اليوم ، ويعتبر ذلك مبلغا كبيرا يستحق العناء الذى لاقاه فايز بعيدا عن الأهل حيث يعمل فى المصنع طوال النهار وينام فى المبنى الملحق بالمصنع والذى خصصه شيمون للعماله الفلسطينية .. حين رأى فايز نتاليا لأول مرة وسمع من أقرانه أن الإسرائليين يضاجعوها وتأبى إقتراب الفلسطينيين منها ، شعر فايز بشئ غامض يشده إليها .. كانت هى تلحظ نظراته إليها ولا ترى كونها تعدو نظرات عربى يريد جسدها .. حتى جاء اليوم الذى التقطت أذنا فايز أصوات شجار بالعبرية التى يتحدثها بدرجة متوسطة تمكنه من التواصل مع الإسرائليين .. إستطاع تمييز صوت إيهود المشرف على المصنع وصوت آخر أنثوى .. إقترب من مكتب إيهود ونظر من

الشرفة المواربة قليلا ليرى نتاليا عارية تصيح في وجه إيهود .. حاول فايز أن يفهم ما يدور وأستطاع إدراك الموقف مما أمكنه فهمه من الجمل العبرية .. فهم أنهما يتشاحنان على مال تريده نتاليا ولم يعطيها إيهود إياه .. تتطور الموقف ورأى فايز إيهود يهوى على وجه نتاليا بصفعة قوية وأشتبكت معه .. لا يدرى فايز لماذا إندفع داخلا يحول بينهما ، فما كان جزائه سوى التوبيخ والسباب من إيهود وهو يدفعه بعيدا ، في الوقت الذى كانت نتاليا ترتدى ملابسها لتغطى جسدها العارى وتهرع خارجة .. في اليوم التالى إقتربت نتاليا من فايز تحادثه ، فقد كانت تشعر ببعض الإمتنان فلولا دخوله فى تلك اللحظة لربما فتك بها إيهود .. لم تجده نتاليا مهتما بجسدها فلم يكن فايز يرنو الى صدرها أو يتفحص بعينيه جسدها بتلك النظرات التى تعودت عليها من كل من حولها من الفلسطينيين والإسرائليين .. أحست بشئ غامض نحوه ومرت الأيام التالية يجمع بينهما أحاديث قصيرة عابرة .. ثم تطور الأمر وشعرت نتاليا برغبة فى أن تحكى لفايز الذى يحاول التواصل معها

بعبريته المتوسطة وعرف منها ظروفها وأحوالها وكذلك حكى لها ظروفه وأحواله .. ومن هنا شب بينهما شيئا مشتركا اسمه القدر .. وسرعان ما ساقهما ذلك القدر الى مشاعر وإحاسيس جمعت بينهما وبددت إحساس الوحدة والشعور بالإحباط من قلبيهما .. صارا معا غالب الوقت ويقضيان يوم السبت معا يتنزهان طوال الوقت .. وبدأت المشاكل والتحرشات بهما من الإسرائيليين .. ليس فقط لعدم تقبلهم لعلاقة فايز ونتاليا ولكن أيضا لأن نتاليا لم تعد تعطى جسدها لأحد وكأنها وجدت فيما شعرت به تجاه فايز دافعا ليجعلها تبحث عن كرامتها المهدرة وألا تلقى بجسدها لقمة للجائعيين .. لماذا لا يتركونهما لشأنهما وماذا يعنى كونها يهودية اسرائيلية وكونه مسلم فلسطينى .. أليست هى إنسانة وهو إنسان .. إنها لا تنظر لأى شئ سوى أنها تأنس بجواره وتنسى همومها حين تتحدث إليه وتشرق شمس حياتها حين تضع رأسها على صدره .. وكذلك كان فايز يرى فى نتاليا ما بدد وحدته وبؤس وشقاء حياته لماذا إذن يبتعد عنها .. هل لأنها على غير دينه وهل لأنها من سلالة

أعدائه .. هو لا يرى فيها عدوا بل رأى فيها حميما أضاء حياته .. لا يمثل دينها وجنسيتها أية فرق لديه .. وجاء الخلاص من معانتهما حين تركت نتاليا العمل بالمصنع بعدما تمكنت من الحصول على عمل آخر كنادلة فى مطعم بالقدس الغربية .. تحملت مشقة المسافة بين العمل وبين مسكنها فى مستوطنة أريئيل ، واستمر فايز بالعمل ولم يعد يلقى المضايقات بعد تركها العمل .. ولم يمنع ذلك من إستمرار علاقتهما .. كان يغامر من أجلها بحياته .. لا بل من أجل نفسه .. تماما مثل هذه الليلة الليلاء التى تسلل فيها بزى الجنود الإسرائليين الى داخل مستوطنة أريئيل لينعم بالسعادة فى أحضان نتاليا وينسى همومه وأتراحه على صدرها ، ولا يشعر بالوحدة وهو يتحدث إليها .

على الفراش كانا متعانقين عاريين هاربين من الزمان والمكان ، بل يريدان أن يهربا من القدر نفسه .. الأنف فى الأنف يتبادلان الشهيق والزفير ، والصمت أبلغ من أية كلمات .. أحس فايز ببلل على وجهه وأدرك أن نتاليا تبكى ..

مسح دموعها بإبهاميه وسألها عن سبب بكائها فأجابته أنها تخشى أن تذهب هذه السعادة كلما شعرت بها تغمرها وهى فى أحضانه .. ابتسم فايز مشفقا عليها وهو يسمعها تحكى كيف أرادت التخلص من حياتها قبلما تقابله ، وكيف تتشبث الآن بالحياة من أجله .. لم يجد بدا سوى أن يبكى هو الآخر وغمر الشجن الأثير بينهما .. أراد فايز أن يذهب الشجن بالبهجة فوضع شفاهه على شفتيها المضمومة يلثمها بلسانه .. تنهدت نتاليا واندفعت تقبله ، وكأنه يخشى أن تتلاشى أحاطها فايز بساقه يضمها لتلتحف به .. تحركت الغريزة وملأت الإثارة جسديهما .. كانا يأكلان شفاههما من فرط نشوتهما .. تحولت نتاليا على ظهرها وجذبت فايز تحيطه بزراعيها وأرجلها تحيط بخصره .. لم تعرف نتاليا فى حياتها معنى الجنس إلا مع فايز حيث تنسى الحياة بأكملها فى تلك الحظة التى يعبر فيها قضيبه بداية مهبلها ، فتسرى فى جسدها قشعريرة لذيذة ممتعة تصعد بها الى السماء وسط هالة من النور تنسيها كل حياتها وتشعر بالسعادة تلفها كرداء حريرى ناعم أملس .. ويرتعش جسدها وتنتشى ثم تهبط من

هذا العالم النورانى الى أرض الواقع من جديد .. تهرب من مخاوفها بعناق فايز وربما تستحثه مجددا للصعود بها الى هذه العالم الجميل بنوبة حب ثانية .. تماما مثل الآن وهى تعبث فيما بين فخذيه ليبدأ معها نوبة ثانية ، وفجأة صوت طرقات عنيفة مرعبة على الباب جعلت قلبيهما يتواثبا خلف ضلوعهما .. هذا ما أحست به نتاليا وبكت من خشيته .. أصوات فرقعة والباب ينفتح عنوة ووصل الجنود الإسرائيليون مدججون بالأسلحة الى الفراش حيث كانا متعانقين ملتحمين وكأنهما قررا المضى هكذا الى أية مصير .

*   *   *

قالت الشرطة الإسرائيلية أنها ألقت القبض على شاب فلسطينى عمره ٢٤ عاما من مستوطنة أريئيل بتهمة البقاء في أراضي إسرائيلية دون تصريح ..

وبحسب صحيفة "يديعوت أحرونوت" فإن الشاب الفلسطيني تعرف على فتاة قادمة جديدة من روسيا حينما عملا معا في احد المصانع حيث توطدت العلاقات بينهما.. الفلسطيني الشاب كان كلما شده الشوق لرؤية حبيبته ارتدى زيا عسكريا للجنود الاسرائيليين نجح في الحصول والتنكر بها لدخول المستوطنة والخروج لزيارة عشيقته التي تسكن احدى الشقق هناك .. العلاقة الغرامية استمرت عدة شهور إلى أن قام احد الجيران بتقديم شكوى لشرطة المستوطنة مفادها أن شاب فلسطيني شوهد في المستوطنة .. ونجحت الشرطة وبناء على معلومات إستخباراتية في إلقاء القبض على الشاب منتصف ليلة الأمس وعثرت في حقيبته على الزي العسكري الإسرائيلي.

وأعترف الشاب في التحقيق معه بعلاقته الغرامية مع اليهودية الروسية التي أدت خدمتها العسكرية في قسم الإستخبارات.. وقال أن الزي العسكري ساعده على الدخول والخروج دون أي سؤال .. ولم تجد الشرطة خلال عملية تفتيش شقة العشيقة مخدرات فيما لم تعثر على أسلحة.

وقال المتحدث باسم شرطة المستوطنة حاييم فاضلون :" لم نكتف بقصة الحب الغرامي بينهما، قمنا بفحص جوانب أخرى ولم نجد شيئا". وأضاف :" هذه العلاقة الغرامية بينهما وخاصة أن الفتاة أدت خدمتها العسكرية في قسم الاستخبارات جعلتنا نفحص إن كان الفلسطيني يخطط للقيام بأعمال معادية ضد إسرائيل" .. وأبان فاضلون أن التحقيقات لم تسفر عن أي شيء يمكن أن يضر أمن إسرائيل .. وأوضح أن الشرطة ستقدم تهمة البقاء في إسرائيل دون تصريح وانتحال شخصية للفلسطيني .

كان ما سبق هو نص الخبر الذى تناقلته وسائل الإعلام الإسرائلية والفلسطينية بعد القبض على فايز ونتاليا .. وانتشرت قصة الحب الغريبة والعجيبة تلك وأدى إشتهار تلك القصة الى تدخل منظمات المجتمع المدنى وجمعيات حقوق الإنسان مما منع الشرطة الإسرائيلية من إيذاء فايز والإكتفاء ببعض الضرب ومع نتيجة التحقيقات التى أكدت أنها مجرد قصة حب ولا يوجد من ورائها خطورة على أمن إسرائيل .. تزوج فايز من نتاليا مستغلين مراقبة الناشطين فى لجان حقوق الإنسان الأوروبية الموجودة فى القدس لسير التحقيقات ونالا شهرة واسعة فى الأوساط الفلسطينية والإسرائيلية ، وأضطرت الشرطة الإسرائيلية لإرضاء المراقبين بالإفراج عن الزوجين ..

وتواصلت الأنباء عن تلك القصة حيث تمنع إسرائيل منح تصاريح الإقامة فعليا لجميع الرجال الفلسطينيين الذين تقل أعمارهم عن ٣٥ عاما بمقتضى قانون أقر أثناء الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت عام ٢٠٠٠ بهدف تشديد إجراءات الأمن لمنع العمليات الاستشهادية ..

والزواج بين اليهود والعرب نادر سواء في إسرائيل أو الأراضي المحتلة والقلة الذين يفعلون ذلك يلتزمون الهدوء تجاه علاقة ينظر إليها العديد من الإسرائيليين والفلسطينيين باستياء .. وظن فايز ونتاليا بأن بإمكانهما إستغلال البؤرة الإعلامية التى تم تسليطها عليهما للحصول على حق العيش معا فى سلام ، وإمتثلا لنصيحة أحد المحامين ولجأ الزوجان إلى المحكمة العليا الإسرائيلية لإجبار الحكومة على السماح لهما بالعيش معا إلى اجل غير مسمى سواء في إسرائيل أو في الأراضي الفلسطينية .. لكن المحكمة العليا الإسرائيلية أيدت قانونا يمنع الفلسطينيين المتزوجين من إسرائيليين من الحصول على حق الإقامة ، وقالت سابين حداد المتحدثة باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية إن فايز عودة غير مؤهل حسب القانون الإسرائيلي لطلب إقامة في إسرائيل .. لأن ذلك قد يساعد المهاجمين الانتحاريين على دخول إسرائيل.

وأخيرا أفاق الحبيبان من الأحلام الوردية وسقطا من عل ليصطدما بالواقع بعدما انفض المولد

الإعلامى بعدما لم يجد جديد فى القصة .. وباتت نتيجة كل ذلك جلية واضحة .. لا يمكنهما العيش فى فلسطين .. ليس فقط من أجل عدم وجود تصريح دائم بإقامة نتاليا ، ولكن أيضا لإتهام أهل فايز له بخيانة وطنه وشعبة بالزواج من إسرائيلية يهودية وتحرش الجيران والمعارف به .. وكذلك لا يمكنهما العيش فى إسرائيل ليس فقط لعدم وجود تصريح دائم لإقامة فايز ولكن أيضا لتحرشات الإسرائيليين الرافضين لزواج اسرائيلية من عربى فلسطينى مسلم .. هكذا كان عليهما أن يعيشا فى الظلام والخفاء .. كل فى وطنه يختلسان حياتهما مع بعضهما حين تذهب نتاليا متسللة عبر نقاط التفتيش بتصريح مؤقت ليلا لتحظى ببضعة أيام مع فايز ثم تعود .. إلى أن قررا الهرب الى أى مكان على وجه الأرض يمكن أن يجمعهما تحت سقف واحد دون النظر الى جنسية أو عرق أو دين .. وتمكنا من السفر عبر الحدود الى مصر بعدما عرفا أن الداخلية المصرية قامت بتغيير قانون منح الإقامة للفلسطينيين ، وبات بمقدورهما الحصول على إقامة فى مصر وتمكنا من ذلك .

الجمال الذى تتمتع به نتاليا وجنسيتها الروسية ساعدتها فى الإلتحاق بفرقة روسية فى مصر تؤدى فقرات راقصة فى الملاهى الليلية وأفراح علية القوم .. أما فايز فقد تمكن من عمل معادلة مستغلا مجموعه الفائق فى الثانوية العامة الفلسطينية ووافق وزير التعليم العالى بعد نجاحه فى المعادلة بقبول إلتماسه وإلحاقه بكلية الطب .. أقام فايز ونتاليا معا فى شقة قريبة من الجامعة وشعرا أخيرا بأنهما باتا زوجين حبيبين .. يعتمد دخلهما على ما تكسبه نتاليا الى جانب عمل فايز الغير منتظم بسبب دراسته ، مع إقتراب السنة الأخيرة من نهايتها و يعقبها سنة الإمتياز ، كان لا بد من السؤال : وماذا بعد ؟

****

الحياة قصيرة مهما طالت وعلينا ألا نجعلها تخلو من البهجة التى تمر أوقاتها بسرعة وكأنها ثوان معدودة .. والآن يجلس صلاح الميكانيكى بعدما نفذ تعليمان الشيخ أحمد عبد القادر ومر أسبوعان وهى يتعاطى المنشطات والفيتامينات والحقن ، واليوم الخميس عليه أن يرى النتيجة

بعدما طالته غمزات ولمزات زوجته وتحولت من التلميح الى التصريح .. جلس صلاح فى طليعة الحشد بداخل مقهى حسونة بشارع الفيوم بدار السلام .. وقد تم غلق باب المقهى حتى نصفه .. الأبصار شاخصة والعيون محدقة والوجوه محمرة وأصوات الغنج والتمحن الخافتة تعلو بداخل المقهى منبعثة من سماعات التليفزيون ذى الثلاثين بوصة حيث يتكرم حسونة صاحب المقهى منتصف ليلة كل خميس بتشغيل قناة هستلر الإباحية لزبائن المقهى ، وبالطبع سيسأل سائل هل يمكن أن يحدث ذلك فى عصر السموات المفتوحة ، والفضائيات والإنترنت والهواتف المحمولة الحديثة .. أجيب أنك إذا أمعنت النظر فى الجالسين الآن بداخل المقهى ستجد أن أصغرهم تجاوز الخامسة والأربعين ، والشيب يغطى الرؤوس ، فهذا الجيل لم يرى الإنترنت ولا الفضائيات وكانت غاية المنى هى مشاهدة فيلم ثقافى فى شقة أحدهم .. ومع تطور العصر أصبح بإمكانه أن يحظى بعدد من القنوات الإباحية بسهولة ويسر ولن يكلفه ذلك الكثير .. طبق ١٢٠ سم وثلاثة

رؤوس وسلك وريسيفر بسوفت وير تى بى إس .. ولكن كيف يفعل أحدهم ذلك ويأتى بالخلاعة والمجون إلى أبنائه (وكمان دى حاجة بتجيب الفقر) .. وإذا فكر أن يجعل ذلك فى غرفة النوم كيف سيرد على زوجته إذا داهمته وهو منسجم مع حسناء يدكها رجل قوى على كافة الأوضاع ويسمع زوجته تقول

- إيه اللى بتتفرج عليه ده يا راجل يا عايب .. دا أنت شعرك شاب وولادك بقوا طولك .. إيه النجاسة اللى انت جبتها البيت دى

ومن أجل ذلك كانت ساعتى البهجة والفانتازيا فى مقهى حسونة منتصف ليلة كل خميس تحظى بجمهور وفير من الجيل الذى شارف على مغادرة الحياة .. يتلفت كل منهم خشية أن يراه أحد من جيرانه ومعارفه ، فمعظمهم لا يقطنون بالقرب من مقهى حسونة .. ترى من يرتدى جلبابا يحاول أن يخفى إنتصابه بيديه ، ومن يضع ساقا على الأخرى فلا تظهر حالة ما بين فخذيه .. شعر صلاح بأنه هذه الليلة مختلف .. هناك شيئا يتحرك .. يتمتم بينه وبين نفسه وهو

يرى الجميلة الممتلئة ترضع قضيبا بينما آخر يخترق مهبلها بقوة (باين كده مش هتخيب الليلادى) .. نهض بعدما ازدرد قرص الإريك خلسة بكوب ماء .. وحث خطاه وهو على أهبة الإستعداد ليكون هذا الخميس كما الأيام الخوالى .. دخل شقته مسرعا ليجد زوجته كعادتها ليلة كل خميس تنتظره بوجه متورد بعدما زججت حاجبيها واستحمت وتعطرت وأزالت ما علق بجسدها وعانتها من شعر .. لم يبالى صلاح بتلك النظرة المتحدية التى صوبتها إلى عينيه وكأنها تقول (أما نشوف الليلادى) .. تناول عشائه واغتسل وحانت اللحظة التى يكرم فيها صلاح أو يُهان حين خرج من الحمام عاريا ودخل غرفته بسرعه يغلق الباب قبلما يخرج أحد أبنائه من الغرفه ويراه هكذا .. وجد زوجته على السرير بقميص نومها ممدده تتكأ بزراعها اليمنى واضعه رأسها على كفها .. تمدد الى جوارها وقال

- عاوزك تدلعينى شوية كده يا وليه

ضحكت زوجته بميوعه وقالت بنبرة مثيرة

- طيب .. أما أشوف آخرتها

قالتها وهى تقبله وتداعب حلمتيه بإبهاميها وهبطت تتهادى تعبث فيما بين فخذيه ، ولدهشتها فقد إنتصب قضيبه ورأت وجهه مشرقا سعيدا .. أسرعت بالجلوس عليه تدفعه بداخلها خشية أن يخونها ويرتخى هاربا .. ولما وجدته على إنتصابه قالت

- وده من إيه ؟ .. إيه اللى نفع معاك ؟

قالتها بنبرة تمحن ماجنة جعلت صلاح يضحك ويقول

- لأ أنا الفترة اللى فاتت كان شغل الورشة كتير هادد حيلى

قالها بزهو وهو يشعر بعضلات مهبلها تعتصر قضيبه ، ورأى إمتعاضة من شفتيها تنم عن أنها غير مصدقة لما قاله ، فسألها

- إيه مش عاجبك كده ؟

ابتسمت وقالت بدلال

- لأ عاجبنى

شعر من كلماتها بفخر وإعتداد وقال

- طب تعالى

قالها وهو يرقدها على ظهرها ويعتليها .. كانت تلك الممارسة من أفضل ما أشبع به صلاح شبق

زوجته وبعدما إنتهيا من نهل المتعة وانتشيا ، تمتم صلاح سعيدا

- ربنا يباركلك يا شيخ أحمد
- بتقول حاجة ؟

هكذا سألت زوجته بصوت مفعم بإسترخاء ما بعد النشوة ، ورد صلاح

- عايزك تصبيلى كوباية لبن وتحليها بمعلقة عسل من اللى أنا جايبه فى التلاجة
- حاضر

رأى صلاح زوجته تنهض بلا تململ ولا ضجر على غير عادتها فى الآونة الأخيرة ثم تعود بكوب اللبن وتقدمه له كمكافئة .

التزم صلاح بروشتة الشيخ أحمد وأستعد لشحن البطارية واتجه ليلة الخميس المقبل الى مقهى حسونة .. تظهر صورة المرأة العارية والرجل يدكها بقوة فى مخيلة صلاح ، كلما اقترب من المقهى تتضح الصورة فى مخيلته ، حتى وصل الى عتبة المقهى وتملكته الدهشة حيث لم يجد حفلة البهجة ووجد محلها قناة الجزيرة الإخبارية وحلقة نقاش حول شائعة مرض الرئيس .. وهل

هى مجرد شائعة أم حقيقة ؟ ، وأين الرئيس ؟ ..
صاح صلاح محتدا
- إيه يا عم حسونة اللى إنت جايبه ده ؟
- بيقولوا حسنى عيان وفى كلام إنه مات
هكذا أجاب حسونة وإندفع صلاح يصيح
- يا عم يعيش ولا يموت .. خلينا إحنا فى مصالحنا
قالها وهو ينظر الى الجالسين عسى أن يهب أحد لمناصرته لإنقاذ حفلة البهجة ولكن لم يعقب أحد .. متصنعون الإصغاء ومتابعة قناة الجزيرة .. يتمنون أن يفلح صلاح فى إنقاذ الحفلة ، وضحك صلاح وقال
- النهاردة الخميس مش وقت سياسة ورئيس وبتاع .. ربنا يطول فى عمره لحد بكره .. وبكره مافيش حفلة نبقى ندور عليه بقى راح فين
قالها صلاح وهو يجلس معتقدا أن جملته الأخيرة ستنقذ الحفلة لكنه سمع حسونة يقول
- أصل هما ذاعوا النهاردة لقطات للرئيس وهو فى القرية الذكية عشان يقولوا إنه

كويس .. بس الجزيرة دلوقتى طلعت
اللقطات دى قديمة
قالها حسونة بنبرة الواثق العالم ببواطن الأمور ، مما جعل صلاح يدرك أنه لن يحظى الليلة بحفلة البهجة ونظر الى الشاشة ليرى لقطات للرئيس .. حدق صلاح فيه بضجر وحنق وغيظ ، فهو سبب فساد حفلة البهجة واستبدالها بحفلة حسنى ، وشتان الفارق بين الحفلتين من حيث القوة والتأثير عند صلاح الذى ابتلع قرص الإريك ونهض يقول

- طيب .. استودعكم الله .. يمكن ربنا يشفيه ع الخميس الجاى

قالها وهو يبتعد مفكرا هل ستنجح الليلة بدون شحن ويلعن سلسفيل اللى كان السبب .

****

كان الدكتور عماد مراد جالسا على السرير بداخل المستشفى يطالع جريدة البديل ذات التوجه اليسارى الإشتراكى .. ويقرأ عماد

التقرير الكبير الذى يحاول الإجابة على السؤال : أين الرئيس مبارك ؟
ومن تحت السؤال : شائعات مرض الرئيس تطورت الى مرحلة الغياب ، واحتمالات بوصول صحة الرئيس الى حالة حرجة .. أفاق عماد من تركيزه فى القراءة على دخول الشيخ أحمد عبد القادر يقول

- شكلك النهاردة أحسن بكتير

قالها وهو يسحب كرسيا ويجلس الى جوار سرير عماد الذى قال

- الحمد لله

قالها عماد وصمت وشرد بعينيه ليسأله الشيخ أحمد

- سهمت فى إيه ؟

لم يرد عماد واكتفى بنظرة ممتنة للشيخ أحمد الذى واصل كلماته مبتسما

- عارف إنك بقيت قدرى فى الدنيا دى ؟ .. فكرت إنى أروح بعد ما قلبت الترابيزة عليا وجريت .. بس لقيت نفسى مش قادر أسيبك لوحدك فى الحالة دى ، وكويس إنك ما قفلتش

الباب بالمفتاح وإلا كنت غلبت أنا والبواب واحنا بنكسر الكالون وما كنتش لحقتك

تنهد عما بأسى وقال

- وهو يعنى بعد ما لحقتنى .. إيه اللى جد ؟
- سيبك بقى من الكلام ده .. أنا هاشوفلك عروسة بدل وحدتك .. أسيبك دلوقتى عشان جيت من الشغل عليك على طول ، وهاعدى عليك بكرة

هكذا أنقذ الشيخ أحمد حياة عماد الذى بدأ على مدار الأيام التالية فى المستشفى فى تلقى العلاج وبدأت حالته تتحسن ، فلم تعد تسيطر على عقله الهلاوس والإعتقادات الوهمية .. بدأ فى نسيان يورجانة والتواصل مع الجن .. لكنه لم ينسى معنى حياته التى مضى منها قرابة الثلاثة والأربعين عاما بلا قيمة .. الشئ الوحيد الذى كان يعطى لحياته قيمة هو توجهه السياسى فى فترة شبابه والتى يحاول عقله أن يستعين بها لإضفاء هدف على حياته .. والتى كان متشبثا بها خلال متابعاته لقناة الجزيرة والقنوات الإخبارية ومع الأخبار المتواترة عن مرض

الرئيس .. نشط وسواس عماد من جديد إلا أنه تمكن من أن يبدو طبيعيا تماما داخل المستشفى .. وساعده على ذلك أن ذلك الوسواس لم يكن مصحوبا بهلاوس وخيالات وإنما كان أمرا واقعيا تماما .. هدف عماد من أبحاثه الوهمية عن تواصل الجن والإنس لم يكن سوى محاولة للهروب من واقع حياته التى لا يرى لها قيمة ، فهو محروم بأمر إلهى من الإنجاب وبالتالى فشل فى تكوين أسرة وانعكس ذلك على إتزانه النفسى .. لا يزال يبحث عن قيمة لحياته ووجدها أخيرا .. قذف بها وسواسه الى عقله ..

لماذا لا يرسل الى رئيس الجمهورية خطابا يطالبه بالتنحى عن الحكم ؟

****

يتصف الوسواس القهري بتكرار فكرة أوشعور أو تصورتخيلي أو سلوك مزعج بشكل لاإرادى ومحاولة مقاومة ذلك إلا أنه يبقى الهاجس الذي يطارده ليلا ونهارا (الصراع مع الذات) أشد أنواع القلق النفسي ، وله أنواع وأطياف متعددة الا إن أسوأها ذلك الوسواس القهري المتعلق بالأفكار الفلسفية المشعبة التي لا تنتهي بالجواب .. تماما مثل الدكتور عماد مراد الذى يبحث عن إجابة لتساؤلاته : لماذا هو موجود ؟ ، وهل هو يعيش الواقع أم أنه في الخيال ؟ ، وما قيمة حياته ؟ .. ولماذا لايكون مثل من خلدهم التاريخ ؟ .. بل لماذا لا يتمكن من إيجاد قناة الاتصال بين الجن والإنس لإعمار الأرض و يعتلى صدارة التاريخ ؟ .. كذلك الشعور المتكرر اللاإرادي لإيذاء الاخرين حيث لم يكن عماد يدرى لماذا تعمد ترقيع سماح بخيوط (البروبولين زيرو) وعدم إحكام ربطها لتسقط من مهبلها بعد ساعات ويفشل ترقيع سماح .. وأيضا الوسواس المتعلق بالأمور الجنسية وممارسات عماد الشبحية مع يورجانة فى خياله لدرجة تجعله يمر بأطوار العملية الجنسية كاملة

مستمدا ذلك مما ينسجه خياله من مشاهد تجمعه بيورجانة .

لقد تأصل لدى عماد بعد فشل زواجه بسبب عدم قدرته على الإنجاب إحساس دفين عميق بعدم وجود فائدة لحياته وعلى الرغم من عمله فى عيادته المكتظة بالزبائن إلا أن الوحدة التى يعيشها أدت الى تغذية ذلك الشعور ، ومن هنا جائت علاقته بالشيخ أحمد لتفتح له أفق عالم الجان الذى استبد بعقله ليشعر بأن حياته صارت لها قيمة .. وكان من الطبيعى أن يسعى للتخلص من حياته فى حالة من اللاوعى بعدما تأكد له عدم وجود ما كان يحاول أن يصدق وجوده .. وبالطبع تحسنت حالة عماد على الأدوية خلال الفترة التى قضاها بالمستشفى ، إلا أن البؤرة المضيئة الوحيدة التى يراها عماد فى حياته ، ألا وهى تلك الحقبة من شبابه حين كان مفعما بالأفكار السياسية الثورية الإشتراكية ونشط وسواسه يستحثه مجددا على البحث عن إيجاد قيمة لحياته .. جائت شائعات مرض الرئيس وإهتمام عماد بمتابعتها أثناء تواجده بالمستشفى

لتزج به الى الفكرة التى سيطرت على رأسه : لماذا لا يكون مواطنا إيجابيا ويرفض الإذعان والخنوع ويرسل الى رئيس الجمهورية رسالة يطالبه فيها بالتنحى عن الحكم ؟ .. مجرد تفكير عماد فى تلك الفكرة كان يشعره بالزهو ، لذا خاض جدالا ضاريا مع زملائه الأطباء ومعهم الشيخ أحمد عبد القادر ليتمكن من مغادرة المستشفى على الرغم من رفض الطبيب المعالج ذلك .. وتمكن أخيرا من العودة الى شقته بعدما يأس الجميع من إقناعه بالبقاء فى المستشفى .. وحرص الشيخ أحمد على الإتصال به كثيرا طوال النهار وكذلك زيارته أثناء الليل .. لم يعاود عماد مزاولة عمله وعكف فى الأيام التى تلت خروجه من المستشفى على متابعة الأحداث السياسية فى مصر وعلى رأسها الجدل القائم بشأن شائعات مرض الرئيس .. استهواه الأمر وبدأ يكتب تصوراته الإصلاحية لإنقاذ البلد من وضعها المتدهور فيما كان أشبه ببرنامج إنتخابى ، ومرت أيامه منكفئا على ذلك حتى جاءت ظهيرة يوم وأمسك بالقلم وبدأ يكتب خطابه لرئيس الجمهورية يطالبه بالتنحى ،

وكتب " أيها الرئيس ..أنا الدكتور عماد مراد أطالبك بالتنحى عن الحكم بعدما أغرقت مصر خلال حكمك المديد لربع قرن من الزمان .. كل ما فعلته أنك قمت ببيع مصر تحت ما أسميته أنت وحكومتك بالإستثمار .. لم يعد هناك شيئا ذا قيمة يملكه المصريون ، وما هو كائن ومملوك للمصرين إنما مؤسسات من الفساد والظلم .. الفقر ينتشر ويزداد ، والثروة فى أيدى القلة من الفاسدين والمنتفعين من السير ورائك .. كفى وكفاية .. إرحل بعيدا ، عسى أن يمنح الله مصر من ينقذ سفينتها من الغرق الذى أوديت بها إليه .. لا يهمنى من يأتى بعدك ولكن يهمنى أن ترحل أنت .... "

كانت هذه هى مقدمة الرسالة الطويلة التى خطها الدكتور عماد مراد ثم طبقها بعناية بالغة ووضعها بداخل مظروف ووكتب عليه العنوان وهو يشعر بسعادة غامرة ، ورن جرس هاتفه .. فتح الخط دون أن ينظر من المتصل حيث لا يوجد غيره وبادر عماد قائلا

- أيوه يا شيخ أحمد

- شيخ أحمد مين ؟ .. أنا شريفة

هكذا جائه الصوت الأنثوى الناعم عبر الهاتف .. ولم تمضى ساعتان حتى كانت شريفة على باب شقة عماد الذى استقبلها مرحبا .. دخلت شريفة تمشى متئدة وتتماوج مؤخرتها خلف التايير الشفاف وقالت

- إيه يا دوك باتصل بيك الأيام اللى فاتت تليفونك مقفول علطول
- كنت مسافر فى مؤتمر

ساعدت شريفة عماد فى إعداد الغداء ثم جلسا متلاصقان يتجاذبان أطراف الحديث وفجأة إحتضنها عماد بقوة وبدأ بتقبيل شفتيها لتقول شريفة

- لأ مش كده

قالتها وهى تنهض مبتعدة تتمشى فى أرجاء الغرفة وسألها عماد

- أمال إزاى

قالها بنبرة لاهثة بالإثارة التى دبت فى جسده ، وأجابت شريفة

- إجرى ورايا وامسكنى الأول

ضحك عماد من اللكنة الطفولية التى نطقت بها جملتها الأخيرة ، وأحس بأنه يريد أن يتصابى مثلها فنهض يجرى ورائها وهى تتملص منه كلما أمسك بها حتى رأته يلهث بشدة ولا يتوقف عن الضحكات فقالت

- إيه تعبت خلاص ؟

قالتها وهى تلقى بنفسها على السرير ليسرع عماد ويقفز فوقها .. وسمع شريفة تقول

- إستنى طيب

قالتها بنبرة دلال وتمحن ثم شرعت تخلع ملابسها على مهل وهى ترنو لوجه عماد المربد بالإثارة وهى يتابعها ، ثم نزع ملابسه هو الآخر .. رقدت شريفة على ظهرها عارية وقالت بصوت شبق خافت أخفى النبرة الآمرة

- بوسنى هنا

قالتها وهى تشير لموضع إلتحام رقبتها بكتفها وامتثل عماد يقبل ويقضم ما أشارت إليه وسمعها تقول

- وهنا

قالتها وهى تشير الى حلمتها اليسرى فاندفع عماد يمتصهما ويرضعها .. ظل عماد يفعل ما

توجهه شريفة إليه من مناطقها الحميمة حتى باطن فخذيها نال هو الآخر نصيبه من مداعبات فم عماد .. كان للأدوية النفسية التى يتناولها عماد أثرا كبيرا فى إطالة مدة الممارسة التى جائت قوية وانتشت فيها شريفة مرتين بينما عماد لايزال متوهجا ، فمدت شريفة زراعيها من خلفه تداعب خصيتيه لحثه على قضاء وطره .. وانتهى عماد لينقشع ضباب الشهوة وتهدأ الأنفاس اللاهثة ويرتخى الجسدان .. عندها أحس عماد بتساؤلات عديدة تغزو عقله عن شريفة ووجد نفسه وهو يشعل لها سيجارة وينفث دخان سيجارته قائلا

- إنتى ليه كده ؟
- أنا أتأخرت

قالتها شريفة وهى تنهض لترتدى ملابسها ، ولم تكن شريفة قد تأخرت عند عماد .. هى فقط أدركت من سؤاله ونظرات عينيه وملامح وجهه ما يقصده ، فآثرت الهروب .. لكن هيهات فأية فكرة أو سؤال يسوقه وسواس عماد ، يظل يتقافز فى ذهنه باحثا عن إجابة ، لذا تابع عماد كلماته

- إيه هدفك من علاقتنا ؟
- بنقضى وقت ممتع ولذيذ مع بعض

هكذا قالت شريفة وهى تحكم غلق أزرار التايير وقبل أن تغادر سمعت عماد يسألها
- متعودة على كده من زمان ؟
إمتعض وجهها الأبيض وحدقت بعينيها الخضراوين فى وجه عماد وقالت بصوت هامس
- أنا مش مومس
قالتها وغادرت .. كادت شريفة أن تصطدم بسيارة أخرى حين لم تلحظ الإشارة الحمراء بسبب شرودها لتجيب على سؤال يلح عليها وكأنه سوط يجلدها بعنف .. هل هى مومس ؟ .. بالقطع لا ، فهى لا تبيع جسدها وكذلك لا يستبد بها الشبق الجنسى لتفعل ما تفعل ، وكل ما تريده هو أن تشعر بأنها أنثى مرغوبة يشتهيها ذكر ولا تبحث عن الجنس لذاته .. لكن عقلها لا يريد أن يقتنع بذلك ، لا سنها ولا كونها زوجة وأم فى وضع إجتماعى فاضل يأذن لها بأن تفعل ذلك .. وحين وصلت الى الفيلا أسرعت تغتسل وهى

تمعن فى تنظيف جسدها وكأنها تشعر أنه مدنس ويحتاج الى التطهر .. رقدت شريفة على فراشها تختلق المبررات .. أليست أنثى فى حاجة لإرضاء أنوثتها .. هل هى تفعل ذلك طمعا فى المتعة وإستزادة من اللذة .. لا تجد ما تحتاجه من زوجها .. ابتسمت بشحوب وهى ترى صورة زوجها اللواء نور الدين ترتسم بمخيلتها ، واكتسى وجهها بعلامات السخرية ، لكنها لا تدرى هل لو كان نور الدين قد أشعرها بأنوثتها واشبع رغباتها لما كانت كذلك أم أن طبيعتها التى شبت عليها من حب التدلل هو ما جعلها كذلك.. لماذا تتذكر الآن حين قررت وهى ترى وليد ويارا يكبران أمام عينيها أن تتوقف عن مغامراتها ونجحت فى ذلك إلى أن جائت حفلة ترقية زوجها الى رتبة عقيد وقابلت العميد حسام الذى يترأس زوجها .. كم صارعت وقتها رغباتها وكادت تنهى الأمر قبل أن يتمادى ، لكنها شعرت بشئ غريب فى نظرات زوجها فى الحفلة وهى تقف مع حسام .. كانت ترى وجهه سعيدا وهو يسألها

- كان بيقولك إيه سيادة العميد ؟

أشاحت بوجهها لتهرب من ذلك الإحساس القمئ والذى لم يكن إحساس زوجة خائنة ، وإنما إحساس زوجة خائنة يحس بها زوجها .. الم يترقى زوجها سريعا بسبب علاقتها بالعميد حسام ؟ .. الم يحضر لها زوجها هدية قائلا

- دى هدية من حسام بك

واعتبرتها وقتها تحديا من حسام ليقضى على إحساسها بتأنيب الضمير وينالها فى الفراش .. لكن ما يجعلنا نتعجب هو لماذا تراجع حياتها الآن ؟! .. ألهذا الحد آلمتها كلمات عماد .. كثيرا ما كانت شريفة تعانى من ذلك ولكن هذه المرة كانت وطأة معانتها كبيرة بسبب ما قاله لها عماد

.. أفاقت من شرودها على صوت زوجها اللواء نور الدين يدخل غرفة النوم .. نهضت شريفة تجلس على طرف السرير وقالت

- لسه مصر على إنك تنقل وليد من القاهرة ؟

لم يرد نور الدين وهو يخلع ملابسه ويرتدى البيجامة الحريرية ومن فوقها الروب الأزرق ، فتابعت شريفة وقد علا صوتها بحدة

- أنا كنت فاكرة إن قسوتك انتهت من زمان ؟

قاطعها نور الدين محتدا

- مش كفاية تربيتك وتدليعك ليه هو اللى خلاه مستهتر .. كمان مش عاجبك إنى هاربيه من جديد .. دا شروع فى قتل يا هانم وأنا عملت المستحيل عشان أنقذ مستقبله

صمت نور الدين يسحب نفسا عميقا وقال

- للأسف ورث منك شخصيتك

- ومالها شخصيتى ؟

قالتها شريفة وهى تتجه لتشعل سيجارة وتقف وجها لوجه أمام زوجها الذى أجاب

- ولا حاجة .. كل ما هنالك إنك عايشة لنفسك .. تقدرى تقوليلى بتقعدى فى البيت كام ساعة

ابتسمت شريفة وقالت بنبرة هادئة

- تقدر تقولى أنا بالنسبالك إيه ؟ (قالتها وضحكت ساخرة لتتابع) .. ولا حاجة

صمتت برهة لتتدارك

- لأ آسفة .. أنا مش ولا حاجة عندك .. أنا وسيلة وصلت بيها للمنصب اللى إنت فيه ، ولا فاكرنى مش عارفة إنك وصلت للى إنت فيه بسببى

كان لإختلاج صدر شريفة بعد عودتها من عند عماد إلى جانب ماقاله لها زوجها أبلغ الأثر لتتفوه بما لم تتفوه به منذ عشرين عاما .. ولأن نور الدين يعلم ذلك ويدرك أن صرامته وقسوته قلت كلما ترقى فى عمله ليس لأن عمله صار إداريا بعيدا عن التحقيقات وإنما لأنه يشعر بداخله بخجل من الطريقة التى وصل بها الى منصبه بمساعدة زوجته ، والتى تتعارض مع قسوته وصرامته ، وحانت اللحظة التى عليه ألا يتوارى فيها خلف أية أقنعة .. لذا هوى على وجه شريفة بالصفعات تباعا وهو يصيح

- إخرسى يا سافلة

وقفت شريفة تستقبل صفعات نور الدين التى كانت أول صفعات تتلقاها فى حياتها ، وبعدما إنتهى نور الدين وجدها ترنو اليه بنظرات ساخرة وخط رفيع من الدم ينسال من طرف شفتها السفلى وتقول بهدوء

- أنا مش سافلة .. عارف ليه ؟ .. عشان أنا عايشة على طبيعتى .. بامثلش زيك

حدق نور الدين فى وجهها وغادر الى غرفة أخرى فى الفيلا .

****

حظى عماد بعدما غادرت شريفة بحمام دافئ جعله يخلد الى النوم واضعا الخطاب الى جواره ، ورأى فيما يرى النائم أن الرئيس تأثر كثيرا بخطابه وقرر التنحى عن الحكم وبدأت الإعدادات لإنتخابات ديموقراطية نزيهة لتأتى برئيس منتخب بعيدا عن الحكم العسكرى لأول مرة فى تاريخ مصر .. ورأى عماد نفسه فى قمة الغبطة والسرور وجحافل الشعب تهتف باسمه وبشجاعته فى التصدى للظلم والفساد ، بل رأى نفسه محمولا على الأعناق وتتعالى الهتافات تطالبه بترشيح نفسه للرئاسة .. لم يكن عماد قادرا على تمالك نفسه وشعر بأنه نسر يحلق بجناحيه المفرودين فى السماء .. لكنه فجأة بدأ ينتبه لهتافات أخرى تعلو وتقترب .. أرهص السمع فبدأت الهتافات تتضح وهى تقترب أكثر

- أحا أحا لا تتنحى .. أحا أحا لا تتنحى

كانت هذه هى هتافات الحشود والجحافل التى نجح الحزب الوطنى والمنتفعون فى جمعها بالمال .. ورأى عماد هذه الألوف المؤلفة تصرخ مطالبة الرئيس ألا يتنحى عن الحكم وهى تتجه لقصر الرئاسة وفى طليعتهم ممتاز القط رئيس تحرير جريدة الأخبار (صاحب مقال طشة الملوخية الشهير) ، ممسكا بيديه بحلة ملوخية كبيرة ليهادى بها الرئيس المحروم من طشة الملوخية بأوامر الأطباء .. وبالطبع يظهر الرئيس يلوح بكفه من شرفة القصر الجمهورى للجحافل المتوافدة ويتم إذاعة البيان

- نزولا على رغبة الجماهير .. وإمتثالا لنداء الشعب المخلص الوفى .. قرر الرئيس عدم التنحى عن الحكم

وتنطلق الهتافات

- أحا أحا لا تتنحى

استيقظ عماد من نومه مذعورا إثر هذا الكابوس الذى رآه .. وأمسك بيده الخطاب ليتأكد أنه كان يحلم .. فتح التليفزيون يشاهد قناة الجزيرة وسرعان ما تجمد مكانه حين قرأ فى شريط الأخبار المتحرك أسفل الشاشة (أنباء متواترة على مواقع الإنترنت عن وفاة الرئيس مبارك إكلينيكيا والداخلية تتكتم الخبر) .

لم ينم عماد فى إنتظار تأكيد الخبر ومعرفة الحقيقة .. كان يتسائل لماذا يموت الرئيس قبل أن يرسل له بالخطاب .. ألهذا الحد يعانده القدر ..

مرت الأيام وشاهد عماد الرئيس على الهواء مباشرة يفتتح استاد برج العرب لتنتهى بذلك شائعات مرضه ووفاته .. عليه أن يرسل الخطاب الآن ، لكنه تذكر الحلم الذى رآه ووجد نفسه يردد أنه ليس حلم بل حقيقة .. إذن فما فائدة خطابه .. غمره اليأس والإحباط وتملك صداع رهيب من رأسه جعله يمسك بها وكأنه يخشى سقوطها من فوق جسده ولم يهدأ الصداع إلا بعدما حقن عماد نفسه بأمبولة ترامادول فى

الوريد ، ووجد بعدها عقله يتوهج وتسلل إليه الوسواس يسأله

- لماذا لا يغتال الرئيس ؟!

ياااااااه .. هذا ما كان يحتاجه عماد .. سيدخل التاريخ .. هذا هو الهدف الأسمى الذى سيعطى قيمة لحياته .. ألم يخلد التاريخ قاتلى الرؤساء .. من ذا الذى لا يعرف سليمان الحلبى الذى قتل كليبر .. كذلك سيكون عماد مراد قاتل مبارك .. صحيح أن سليمان الحلبى تم إعدامه على الخازوق ، ولكن لايهم عماد سوى أن يدخل التاريخ .. لن يفعلها ويهرب بل سيفعلها ويترك نفسه للمصير المحتوم .. هكذا قرر عماد إغتيال الرئيس ليمنح حياته قيمة .. وعكف خلال الأيام التالية ليخطط للأمر ، واتخذ قراره .. سيفعلها أثناء إفتتاح الرئيس لمحور المريوطية ، ولكن كيف ؟ .. هذا ما يعكف عليه عماد الآن .

****

بداخل الفيلا كان خالد يجلس وقلبه يتقافز فرحا إلى جوار عروسه فاطمة التى ترتدى عباءة بيضاء فضفاضة مطرزة بالترتر بينما النقاب الابيض أخفى وجهها ، والجوانتى الأبيض أخفى يديها .. الشئ الوحيد الظاهر من فاطمة هو عينيها ولكنها كانت ظاهرة من خلف قطعة قماشية شفافة ، أصر والدها الشيخ إسماعيل حسين على أن ترتديها فاطمة بسبب ما زين عينيها من ماكياج .. اقتصر الحفل الصغير على الأقارب من العائلتين .. يمكنك أن تلحظ أن الحاضرين انقسموا الى شطرين : الأول الوجوه المنعمة التى يبدو عليها آثار النعيم بملابسها الأنيقة الزاهية الفاخرة .. والثانى الوجوه الكالحة التى يبدو عليها آثار الشقاء بملابسها الجديدة الرخيصة التى اشتروها خصيصا ليظهروا أمام عائلة صهرهم بمظهر لائق .. بالقطع كان زواج خالد وفاطمة منطقيا وفقا لما حدث بينهما من قبل .. لكن بقى أن نعلم أن مدام سناء والدة خالد كانت هى العامل الأكبر الذى جعل الأمور تسرى فى أعنتها .. أكنت الإحترام والتقدير للشيخ إسماعيل حسين من خلال زيارتها لطلب

فاطمة ، وأدركت أنه رجل محنك وليس مجرد شيخ ينتهج منهجا دينيا ، ولم يكن الأمر يحتاج للكثير من الإعداد للزواج ، وظهرت حنكة الشيخ إسماعيل فى إنتقاء المدعويين من طرفه ، وظهرت حنكة مدام سناء بحكم شخصيتها من جهة وكذلك عملها كمديرة علاقات عامة فى الخروج بحفل الزواج بالصورة اللائقة التى أرضت الجميع .. فلم يكن هناك موسيقى صاخبة .. فقط بضعة أغانى رومانسية هادئة ، وأيضا حرصت مدام سناء على عدم تقديم الخمور للمدعويين ، فجاء الحفل أشبه بإجتماع ودى هادئ .. بالطبع كان وليد بصحبة زوجته ميار يجلسان فى أحد الأركان وبدا على وجه وليد أنه أفضل حالا من الأيام السابقة بعدما تلقى إتصالا من رئيس المباحث يخبره أنه يمكنه قطع اجازته فى أى وقت والعودة للعمل حيث لن يتم نقله خارج القاهرة ، ولا يعلم وليد ما السبب الذى دفع أباه للتراجع عن السعى لنقله ..

انصرف الجميع وحانت اللحظة التى ننتظرها جميعا .. حين يختلى خالد بفاطمة فى ليلة زفافهما ، لكن دعونا نتريث قليلا .. قطعا لا

نحتاج للتعمق داخل شخصية خالد وشخصية فاطمة ، فنحن نعرفهما جيدا ، ونعرف ماذا يمثل الجنس عند كليهما .. لكن بقى أمرا يجب توضيحه ، وهو أن مشاعر حب فاطمة نحو خالد وقبولها للزواج به كانت مبنية على شعور بالنجاة فكل تصوراتها لمستقبلها هو أنها ستعيد سيرة والدتها .. ستتزوج من أحد أقران أبيها من جماعة التبليغ والدعوة وطبعا ستترك عملها كمعيدة جامعية وتتحول الى ربة منزل لخدمة زوجها وتربية أبنائه لكى تدخل الجنة .. كم كانت سعادتها كبيرة وهى ترى أبيها يوافق على خالد رغم عدم انتمائه لمنهج جماعة التبليغ والدعوى مكتفيا بأنه شابا ملتزما يحافظ على عباداته .. وكم كانت فرحتها طاغية حين علمت أنها لن تترك العمل بعد زواجها وتجد مدام سناء تحثها على البدء بعد الزواج فى التحضير للدكتوراه .. وكم كانت غبطتها عظيمة وهى ترى الحلم يتحول الى حقيقة ، ستنتقل الى عالم غير عالمها .. عالم طالما تمنت أن تحياه .. ستمتلك أمر حياتها ولن تكون مسيرة بالقدر المحتوم ، وإنما ستكون مخيرة يمكنها أن تفعل ما تريد ، أو

بمعنى أدق ستفعل ما تدرك بعقلها أنه الصواب من وجهة نظرها .. لذا كان زواجها من خالد هو طوق النجاة الذى تشبثت به لتبدأ حياة جديدة .. كان لابد من توضيح ذلك حتى لا نتعجب وتعترينا الدهشة ونحن نرى فاطمة بمجرد أن دخلت غرفة النوم فى الطابق المخصص لها هى وخالد فى الفيلا ، وصلت مع خالد ركعتين .. لتخلع ملابسها وتلقى بنقابها وتقف عارية تماما وسط الحجرة تمد زراعيها وكأنها تريد أن تطير فى منظر دفع خالد الى الضحك .. الآن أستطيع أن أصف لكم فاطمة : شعر طويل ناعم حريرى منسدل حتى منتصف ظهرها .. ووجه ملائكى أبيض بتقاطيع منمنمة مسمسمة بعيون عسلية جميلة أكسبتها الرموش الهدباء منظرا فاتنا ونغازتين جميلتين حول فمها حين تبتسم .. الصدر صغير وكذلك الأرداف والمؤخرة ، لكنها متناسقة مع بعضها فى جسد مثير بحق .. تماما مثل عصفور حبيس القفص وإنفتح له الباب ألقت فاطمة بنفسها عارية على السرير تسحب شهيقا عميقا وتضحك قائلة

- عمرى ما تخيلت إنى حلمى هايتحقق

- للدرجة دى بتحبينى ؟
هكذا رد خالد باسما وأجابت فاطمة ضاحكة
- أنا بحبك بس باحب إنى هاكون معاك حرة
بترت جملتها وهى تحدق فى بدلة خالد السوداء الأنيقة وقالت مسرعة
- إنتى لسه ما قلعتش ؟
قالتها وهى تبدأ فى فك أزرار بدلة خالد .. ولم يكن ذلك قلة حياء من فاطمة لا سمح الله فى ليلة زفافها أو لأنها جريئة ولها خبرات سابقة ، فنحن نعلم عن فاطمة كل شئ ولكن مبعث ذلك هو إحساس الحرية والإنطلاق الذى تملكها بعدما غادرت منزل الشيخ إسماعيل حسين والدها وانتقلت الى الفيلا التى ستعيش فيها حياتها الجديدة والتى تبدأ الآن بعدما جذبت خالد عاريا ليذوب الجسدان العاريان فى الدفء الممتع اللذيذ .. أطلقت فاطمة العنان لغريزتها الأنثوية وفطرتها .. تشعر بلذة بكر من لحم ودم تجعل جسدها يقشعر وهى تحس بقبلات وقضمات خالد الذى أمعن فى إعدادها للحظة الإيلاج التى وصلا إليها وهما فى قمة الإثارة لذا لم تشعر فاطمة سوى أنها فى عالم ممتع للغاية جعلها لا

تدرى بنفسها وهى تتأوه من فرط اللذة بشكل جعل خالد لا يتمكن من كبت جماح ضحكاته لتفيق فاطمة من خدرها اللذيذ على صوت الضحكات .. فى هذه اللحظة فقط شعرت بقضيب زوجها ينعم بدفء عشها .. ضحكت هى الأخرى وأسلمت نفسها لأورجازم عميق قوى عنيف زلزل جسدها وشعرت بنطفة خالد تنقر جدران مهبلها .. رأت وهى تمسح مابين فخذيها سائلا أبيض لزج مائلا للحمرة ، فقد امتزجت فيه قطرات دم بكارتها .

*   *   *

كان مجدى متجها الى غرفته بعد انصراف جميع المدعويين وإذا به يسمع صوت زوجته سناء من خلفه يقول

- إيه رايح فين ؟
- رايح أوضتى

هكذا أجاب مجدى الذى اعتاد على النوم فى غرفة منفصلة بعد عودته للفيلا بعدما حدث بينه

وبين سناء فى آخر مرة جمعتهما غرفة واحدة .. رأى سناء تبتسم وهى تقول

- لسه مخاصمنى ؟

قالتها بنبرة دلال مثيرة جعلت مجدى يبتسم ويتذكر ما كان بينه وبين سناء على مدار سنوات زواجهما .

وبداخل الغرفة كان الشعور المتبادل بين مجدى وسناء تماما كما لو كانا عادا بالزمن للخلف خمسة عشر عاما .. ولكن هذه المرة بلا أقنعة زائفة .. رأى مجدى الجالس على طرف السرير سناء تخلع ثوبها وتصير عارية ، ووجهها فاتن بالمكياج الجميل الذى أعدته من أجل حفل زفاف ابنها .. وتصفيفة شعرها جعلته يتذكر يوم زفافهما .. وحين وضعت العطر حول رقبتها وأخترق أريجه أنف مجدى لم يحتمل شلال الذكريات الجميلة ووجد نفسه يسألها

- لسه برضه شايفة إنى مش أبو خالد

لم ترد سناء واقتربت بخطوات وئيدة متبخترة وجسدها بدا كالوردة التى تحتفظ برائحتها بعد

ذبولها ، وأحتضنت رأس مجدى على بطنها وقالت

- خالد ابننا يا مجدى

قالتها وهى تركع على ركبتيها وتبدأ فى نزع ملابس مجدى الذى تثبتت عيناه على ثديي سناء العامرة ثم باعد نظره عنها شاردا هل تطلب سناء الآن الجنس من طرف واحد ؟ .. هل تريده أن يعبث لها فى جسدها كعادة ممارساتهما فى السنتين الأخيرتين ؟ .. هى أخبرته أنها لم تعد تكتفى بذلك .. اتسعت ابتسامة سناء التى قرأت ما يجول بخاطر مجدى فى تلك اللحظة ونظرت لوجهه بحنان وهى تمسح على شعره ، فعشرة سبعة وعشرون عاما ليس بالأمر الهين مهما كان ما بينهما .. أرقدته على السرير وتفننت سناء فى تلك الليلة وكأنها محترفة لتنجح أخيرا فى جعل مجدى يتوهج .. لم يتوقع مجدى النتيجة ولكنه الآن أدرك أن سبب عجزه كان نفسيا .. شعر بالإمتنان تجاه زوجته ، فسقاها من شهد اللذة والمتعة كؤوسا حتى ارتوت .

****

كانت ميار تجلس صامتة شاردة فى السيارة الى جوار وليد عائدان من حفلة زفاف خالد وفاطمة الى شقتهما .. كانت ميار غارقة حتى الثمالة فى التفكير فى حياتها مع وليد ولا تدرى هل ستظل هكذا .. حياة زوجية خرساء وعمياء .. لو عاشت عمرها بلا زواج لكان أفضل لها من حياتها الآن .. تجد نفسها حين يتملكها اليأس والاحباط تمد يديها وتتحسس بطنها وتسبح فى بحر الأمومة التى بدأت الشعور بأمواجه فى اللحظة التى علمت فيها بأنها حامل وتتخيل طفلها بين زراعيها تهدهده إلا أنها تعود وتتجهم متنهدة بأسى وهى تتذكر زوجها ووالد جنينها الذى لم يعد يراها موجودة فى حياته .. تسترجع تفاصيل ما بينهما لترى هل هى مقصرة تجاهه وهل فشلت فى استقطاب حبه لها .. أحيانا تشعر بأنه بلا قلب ، إذن كيف يحب ؟ .. أفاقت من شرودها على صوت وليد حين وقفت السيارة أمام العمارة وسمعته يقول

- اسبقينى انتى على فوق .. وأنا هاعمل تليفون وأحصلك

المشاهد المتكررة تمر على عقل وليد وكأنها فيلم سينمائى ما يلبث أن ينتهى حتى يعاود البدء من جديد ولا يوجد أبطال لهذا الفيلم سوى هو وشهد .. أوقات المتعة واللذة حاضرة فى كافة المشاهد ، وصورة وجهها الفاتن وجسدها العارى المتناسق المثير جليا واضحا فى عقله وكأنه مرسوم على مرايا لامعة مضيئة براقة ، وحتى شعرها المصبوغ المنسدل يدغدغ جلده كلما رآها فى ذلك المشهد وهى خارجة من الحمام تمشط شعرها بالمشط الخشبى وتتناثر قطرات البلل فيحس بها على وجهه .. حاول نسيان شهد وإمتثل لطلبها له وذهب الى الملهى الليلى يبحث عن غيرها وانتقى واحدة واتجه بها الى الفندق .. كان يرى فى وجهها صورة مشوشة لشهد ، عندما أصبحا عرايا وتعانقا على الفراش وجد نفسه لا يشعر بشئ من المتعة وإنما يشعر بحملا ثقيلا قابعا على صدره يكاد يزهق روحه ..

نهض عنها وارتدى ملابسه وألقى لها ببعض المال وانصرف ، لم يغمض له جفن يفكر .. لم

يكن يتخيل أن فراق شهد سيفعل به ذلك هل هو يحبها أم لا يعرف الحب كما قالت له .. إذن ما دهاه .. هل هو حب تملك أم حب حقيقى .. تمنى لو حادثها ولو هاتفيا ليقول لها

- أنا بحبك يا شهد

لا يدرى أين هى ؟ .. لكن عليها أن تعود ؟ .. سيفعل لها ما تريد ، لكن تعود الى أحضانه ، ويراها واقعا وليس فيلما سينيمائيا معروض فى خياله .. اتصل برقمها الذى لا يعرف غيره وكالعادة الرقم غير موجود .. كرر المحاولة متشبثا بأمل متهالك كجلباب قديم بالى وسمع الجرس .. تقافز قلبه ولهثت أنفاسه على الفور وهو يسمع الصوت يأتيه عبر الأثير .. لكنه افاق كمن سكبوا على وجهه ماءا باردا كالصقيع ليدرك أنه اتصل خطئا بعلى أمين المباحث ومساعدة على سيارة الدورية وسمعه يقول

- أيوه يا وليد بك .. هى خلصت التصوير وراكبة العربية مع المنتج شريف وأنا وراهم عشان أعرف مكانها فين

تنهد وليد بمنتهى الأسى وقال

- أول ما تعرف مكانها تكلمنى على طول

لايدرى وليد الشارد فى شهد كيف وصل الى غرفة نومه يستبدل ملابسه ويرتدى البيجامة وكالعادة جلس فى البلكونة يدخن الحشيش .. باتت تلك الجلسة بالنسبة لوليد وكأنها طقسا من طقوس أسطورية قديمة .. وحيدا فى البلكونة بصحبة الحشيش يعبث بعقله وهو يرى نفسه يصارع شهد .. تارة يحتضنها ويقبلها بحنان وتارة يمزقها إربا وينهشها .. أحس بيد على كتفه واستدار ليرى ميار واقفة تنظر اليه بوجه جامد وكأنه مر عليه دهر كامل وسمعها تقول وهى تجلس الى جواره

- مالك يا وليد .. اتكلم معايا واحكيلى .. أنا مراتك

لم يرد وليد وشرد ذهنه فى كلمة (مراتك) .. ماذا تعنى هذه الكلمة ؟ .. وواصلت ميار كلماتها

- ايه اللى مضايقك كده طول الوقت

نبرة صوتها الحانية كأم جعلته يتنهد ويقول

- مافيش .. يومين وانزل الشغل

أدركت ميار أنها لن تحظى منه بأكثر من ذلك ، وإذا ألحت فى سؤال جديد ربما يدفعه ذلك الى

الغضب ونهرها كما حدث من قبل .. التزمت الصمت الحزين لكنها لم تحتملة سوى دقائق .. نهضت تمسك بيد وليد وتقول

- طب تعالى عاوزاك

لم يكن ذلك من ميار الا محاولات استجداء لبصيص من الأمل عله ينير ظلمة حياتها الكئيبة المظلمة .. بينما وليد لم يكن يرغب شيئا لا من زوجته ميار ولا من أية أحد لكنه تبعها ، ربما هو الآخر ضاق بما آلت اليه حياته .. خلعت ميار عنه ملابسه وأرقدته تدلك له جسده بنعومة ورفق ، ولم يكن وليد يجامع ميار إلا بتخيله لشهد هى التى تحته .. أما الآن كيف سيتخيل شهد ليحث إثارته تجاه ميار وتأكد له ذلك حين وجدها تديره على ظهره وتعبث بقضيبه الذى كان أشبه بشعلة خابية جف زيتها ولن تتوهج .. أصبح وليد أمام أحد أمرين إما الفشل وإما شهد ، وطبعا اختار شهد .. أغمض عينيه يتخيلها تعبث بجسده .. إلا أنه شعر بأن الخيال قد صار حقيقة وهو يشعر بفم دافئ رطب يمتص قضيبه حين غالبت ميار إشمئزازها وغثيانها وأغمضت عينيها لتفعل ما فسد فى المرة السابقة .. قادتها

غريزتها ورغبتها فى إرضاء زوجها لأن تجتهد فى إمتاعه بقدر إستطاعتها والتى تحولت خلال دقائق الى متعة حقيقية أحسها وليد ورأى بعينه شهد تمتص قضيبه وأعماه ذلك أن يدرك أنها زوجته ميار .. دخل فى نوبة من نوباته مع شهد وهو يلتهم جسد ميار بفمه ويعتصر أثدائها .. سعدت ميار بتجاوب وليد وأسلمت نفسها لغريزتها الجائعة وارتج جسدها ووليد يخترق مهبلها راقدا فوقها بين فخذيها .. كان وليد يشعر أنه يلج شهد فأخيرا استعادها ، لذا كان قويا عنيفا واحتملت ميار ألم جذب شعرها بيد وليد بعدما تغير الوضع وباتت على أربع ووليد يضع رأس قضيبه على دبرها من خلفها .. لم تحتمل ميار من فرط الألم وابتعدت .. هنا بدأ وليد يفيق ويدرك أنها ليست شهد وغمره الحزن العارم الذى دفعه وكأنه يريد الإنتقام ، وكان ساديا مع ميار وهو يطعنها فى مهبلها بعنف وقوة بينما شعرها مشدودا بين يديه .. لتشعر ميار بألم أسفل بطنها وخشيت على حملها فصرخت تصيح متأوهة

- بالراحة يا وليد أنا حامل

وكأنه تذكر أنه سيصبح أب .. جائت جملتها لتعبث بعقله وخبت شعلة جسده وارتخى .. ابتعد عنها وهو يرتمى على السرير ممددا عاريا يلهث .. بينما ميار تكاد تبكى ليس بسبب الألم الذى داهمها فحسب ولكن لفشل ما كانت تصبو اليه أيضا ، وحاولت التشبث بأمل النجاح فقالت بصوت متحشرج

- تعالى نكمل بس بالراحة شو...

قاطعها وليد صارخا

- اسكتى .. اسكتى

أجهشت ميار فى بكاء حاد ، فى حين كان وليد يشعر تماما وكأنه يوم زفافه على ميار .. نفس احساس الفشل ، ويحتاج لأن يذهب الى شهد ليغرق معها فى بحر اللذة .. رن جرس هاتفه ونهض متجها الى الصالة عاريا بعدما رأى على يتصل

- ايوه يا على
- عرفت مكانها .. فى شقة فى مصر الجديدة وهى دلوقتى مع المنتج فيها

ارتدى وليد ملابسه ونزل مسرعا يجأر صبوا الى شهد .

****

لا يدرى هشام حسن ما ألم به منذ ذلك اليوم الذى ركب فيه سيارة يارا وأنفاسه تستحث النهل من عطرها المثير الفواح .. لماذا اتصلت به كثيرا تحادثه فى أية مواضيع ولماذا حكت له كل شئ عن نفسها .. كان يشعر بإحساس جميل يحلق به بعيدا بعدما اتصلت به ذات مرة وطلبت لقائه .. وقف أمام المرآة بعدما ارتدى أفضل ما لديه : قميص أبيض وبنطلون أسود وحذاءا لامعا ، لكنه شعر أنها رخيصة .. ظل يعدل من وضع القميص داخل البنطلون مرات ومرات ويتأكد أنه مكوى بعناية .. ركب الميكروباص من دار السلام الى الكورنيش ، ومن ثم ميكروباصا آخر لينزل بعد دقائق أمام مرسى النهر الخالد الكائن على النيل بالقرب من مواجهة مستشفى المعادى العسكرى .. رأى سيارة يارا فعلم أنها وصلت

قبله .. نزل السلم المؤدى الى أرضية فسيحة نظيفة للغاية ومساحات خضراء بديعة تزين المكان .. كان يفكر هل سيمتلك يوما ما سيارة أم سيظل رهين المواصلات المتكدسة .. رآى يارا تشير إليه حيث تجلس أمام منضدة خشبية دائرية وأمامها كوبا من عصير أصفر .. شعر بنسمة هواء باردة رطبة لفحت وجهه وهو يقترب منها وتجلى له منظر النيل الجارى .. جلس أمامها لتبادره قائلة

- اتأخرت ليه ؟

نظر هشام فى ساعته وشعر بخجل يمنعه أن يخبرها بأن الكوبرى الذى يعبر من فوق خط المترو من شارع الفيوم بدار السلام الى الجهة المقابلة كان مزدحما .. وقال

- إيه خير ؟
- على إيه ؟ .. هو عشان طلبت مقابلتك يبقى عاوزاك فى حاجة .. لقيت نفسى زهقانة حبيت أقعد معاك

قالتها يارا وضحكت وهى ترنو لوجه هشام المندهش وقالت

- مش احنا اصحاب ؟

لم يجد هشام إجابة على سؤالها ، ولكنه يتأرجح بين احساس السعادة من جهة واحساس غامض لا يدرى كنهه من جهة أخرى .. هل يقول لها أنه سعيد لأنه يجلس معها أم يسألها عن توصيف لإتصالتها به وطلبها لمقابلته واستكان هشام لما تريده يارا التى ابتسمت وهى ترى هشام يرنوا الى وجهها الجميل وتتهادى عيناه على عينيها الجريئة ليهرب منها مختلسا نظرة الى شفتيها المكتنزة المثيرة .. ضحكت يارا وقالت بجرأة أخجلت هشام

- طب وشعرى .. ما بصيتش عليه ليه ؟ .. مش عاجبك

قالتها وأصابعها تتخلل خصلات شعرها الغجرى المتناثر بشكل وحشى .. أشاح هشام ببصره عنها وأحمر وجهه خجلا وتذكر أن النظرة سهم من سهام ابليس .. وكأن يارا تقرأ سريرته قالت

- بتغض بصرك عشان ما تاخدش سيئات

بدأ الغضب يظهر على وجه هشام الذى شعر أنه دمية تلهو بها يارا وقال محتدا

- انتى عايزة تسلى وقتك بعد الإمتحانات ما خلصت

- صحيح مش أنا امتيازى جه معاك فى نفس المستشفى
هكذا قادت يارا الحديث الى مسلك آخر .. وتابعت
- مش ملاحظ حاجة فينا
هز هشام رأسه منتظرا أن يسمع منها
- مجموعنا وتقديرنا زى بعض وحتى اسمائنا ورا بعض فى الترتيب الأبجدى
تسائل هشام بينه وبين نفسه : ماذا تريد منه يارا ؟ .. ولماذا كل هذه التلميحات .. لماذا لا تقول له مباشرة بحبك .. ليحكى لها عن ظروفه وأحواله ويخبرها أنه الحب المستحيل .. حب بلا مستقبل .. هكذا شرد ذهنه وأفاق على سؤالها
- هتروح تستلم امتيازك فى المستشفى امتى ؟
- هابدأ بكره فى الورق
- يبقى نروح مع بعض

ظلا يتجاذبا أشداق الحديث وعاد هشام الى بيته ووجد نفسه ينظر الى محتوياته بنظرة مختلفة وكأنه يراه لأول مرة ، فلاحظ اشياءا لم يلحظها من قبل .. ما بال طلاء جدران الشقة كالحا وهذه

الحصيرة التى تغطى البلاط وقد أنهكتها التمزقات ، وضلفة الدولاب المهشمة قابعة بأحد الأركان حتى المرايا مكسورة عند طرفها .. ووجد خياله يرسم صورة اسطورية للفيلا التى تعيش فيها يارا .. ألقى بنفسه على السرير يحاول أن يفهم لماذا أحبته يارا وتعلقت به ؟

ولكن حقيقة الأمر أن يارا لم تكن تحبه ، هى كانت ترى فيه شيئا مختلفا أرادت أن تستكشفه .. هكذا كانت هى الأخرى ممددة على سريرها تفكر فى هشام وتقارن بين منظره وهو يغض بصره عنها فى أول لقاء بينهما يوم قذفته بالكتيب وكذلك منظره فى المظاهرة متحمسا يهتف بعلو صوته ، وبين منظره اليوم وهو يرنو الى وجهها ويتفحص جسدها .. اعترتها رغبة فى الضحك وأرادت أن تنعم بشئ جديد قبلما تنام حيث مدت يدها بين فخذيها تداعب نفسها ولم يكن فى ذلك جديد ، وإنما كان تخيلها لهشام يعتليها ، كان هو الجديد ، وانتشت بلذة كبيرة هذه المرة وراحت فى نومها العميق .

لم يجد هشام بدا سوى أن يترك نفسه ليارا ومضت أيامهما فى المستشفى تصطحبه يارا فى أغلب الأوقات ذهابا وإيابا بسيارتها .. وكانا حديث الزملاء من حيث التناقض بينهما وكيف اجتمعا .. وفجأة بلا مقدمات وجدها هشام لا تتصل به ولا تصطحبه معها وتجئ كلماتها معه حيادية تماما .. مجرد تحيات وحديث عابر عن العمل .. وبسبب ذلك اضطربت حياة هشام

وذات ليلة تملكه الأرق وكاد يتصل بها فجرا ليسألها هل أحزنها فى شئ بدر منه ؟ .. لكنه فى الصباح أدرك السبب حين كان واقفا بصحبة كريم جاره وصديق الطفوله وزميل دربه ومعهما فايز الفلسطينى يتحدثون عن العمل .. التفتوا على صوت يارا الى جوارهم تقول

- هاى

صافحتهم ثم قالت لفايز

- ايه اخبار اللاف ستورى بتاعتك انت ونتاليا

ضحك فايز وقال

- تمام ومسافر مع زوجتى الأسبوع الجاى اجازة صغيرة لفلسطين

- أنا خطوبتى الأسبوع الجاى وانتو معزومين
كلكم

قالتها وهى توزع الدعوات ذات الألوان الزاهية على ثلاثتهم وبادر كريم وفايز بالتهنئة مبتسمين بود .. بينما هشام لا نحتاج لوصف حالته واحتقان وجهه دون أن ينطق بشئ .. تركتهم يارا وبالطبع كان فايز وكريم يفهمان ما يعترى هشام .. استأذن فايز لينفرد كريم بهشام ويقول له

- بص يا هشام أنا ما كنتش عاوز أكلمك لما كنت بأشوفك على طول مع يارا فى الرايحة والجاية .. بس هى من عالم وانت من عالم تانى .. أنا ما أعرفش تفاصيل اللى كان بينكم .. بس مهما كان انت مش زيها

سار هشام مبتعدا بخطوات بطيئة وكأنه لم يسمع كريم .. فى حين كانت جملة كريم الأخيرة تدوى كطنين النحل فى أذنيه (انت مش زيها) ..

بكى هشام فى هذه الليلة بحرقة ولم يكن دافع البكاء هو ابتعاد يارا عنه وانما كان مبعثه أنه مش زيها .

أما يارا فقد انتهى فضولها تجاه هشام حين تقدم لخطبتها ابن عمها عمرو ذلك الشاب الذى يدير شركة والده التجارية وهو يحظى بسمعة كبيرة فى أوساط العائلة بقدرته على ترويض الجميلات .. نجح عمرو فى جذب يارا اليه بقوة شخصيته التى نازعت طبيعة يارا الغجرية وشدتها اليه .

لا نتعجب حين نرى هشام جالسا مع المهندس وائل أبو سمرة وأتباعه من المنتمين للتيار الإسلامى بمنطقة دار السلام فى أحد إجتماعاتهم وكان محور الحديث هو فتوى د. يوسف القرضاوى بتجريم الجدار العازل الذى تبنيه مصر بعمق ٣٠ متر مع الحدود مع غزة .. ومبررات ذلك هى غلق الأنفاق التى يتم تهريب البضائع من خلالها بما فى ذلك تهريب المخدرات .. لكن الإخوان يتضامنون مع حركة المقاومة الإسلامية حماس ضد بناء الجدار ، لأنه يزيد الحصار على أهل غزة ويمنع عنهم الدواء والغذاء أهم مقومات الحياة .. وقال وائل أبو سمرة

- البضائع من احتياجات الشعب الفلسطينى المحاصر فى غزة مش هاتوصل لهم بسبب الجدار .. مش كده وبس دا فى خبير مياة فلسطينى قال إن المياه الجوفية مش هتوصل لهم .. يعنى كارثة انسانية بكل المقاييس

كان هشام يصغى متحمسا وسمع المهندس وائل يقول

- عندنا اجتماع فى وسط البلد

صمت ينظر الى هشام وسأله

- هاتيجى معانا يا هشام ؟

****

-١٨-

مرت الأيام سعيدة بين فاطمة وخالد .. وبدأت فاطمة الإعداد للدكتوراه وخالد منهمك فى عمله بالمحل الذى ازداد نشاطه ولم يعد قاصرا على السلع الدينية فقط .. ليس غريبا أن ترى فاطمة ترتدى عبائات زاهية الألوان مطرزة أنيقة وكذلك نقابها أخذ شكلا مختلفا تفننت فاطمة فى

تصميمه ليخرج بشكل أنيق للغاية ، فهو مجرد حجاب جاء على شكل طاقية كبيرة مستديرة تغطى الرأس وينسدل منها طرحة حريرية حتى الأكتاف دون أن ينسدل الى الصدر ، وقطعة قماشية تغطى الوجه أشبه بلثام ، حيث يمكنك أن ترى عينيها وحواجبها والنصف الأعلى من أنفها .. ورغم أن فاطمة لا تزال بالطبع معيدة منتقبة إلا أن الوان عباءاتها وتصميم نقابها الأنيق جعلها تبدو ملفتة للنظر وباتت حديث الكلية بهذا التغير الذى طرأ عليها .

ومع إقتراب إمتحانات آخر العام جاء قرار وزير التعليم العالى بحظر النقاب للطالبات أثناء الإمتحانات والذى تلا قرارا سابقا بحظر النقاب داخل المدينة الجامعية للطالبات .. وكانت المبررات هى ثبوت استخدام بعض الطالبات المنقبات للهواتف المحمولة فى الغش أثناء الإمتحان من تحت ملابسهن .. كذلك تخفى بعض الشباب خلف ملابس المنقبات والدخول الى المدينة الجامعية ومقابلة الفتيات .. وانطلقت الوقفات الإحتجاجية ضد القرار وتم تحريك الدعاوى القضائية التى تباينت الأحكام فيها ،

فتجد محكمة تحكم بإلغاء قرار الوزير بينما محكمة أخرى لدائرة مختلفة تؤيد القرار .

بالطبع نتسائل الآن .. أين فاطمة ؟ .. هل وقفت فى طليعة المسيرات الإحتجاجية ؟ .. هل تضامنت مع زميلاتها المنقبات من الكليات الأخرى والطالبات المنقبات ولو حتى من خلال الجروب الذى أسسنه على الفيس بوك للدفاع عن النقاب .. أدرك الجميع أن فاطمة لم تعد فاطمة منذ تغير شكل ملابسها ونقابها .. ولم يقتصر الأمر على عدم تضامن فاطمة مع المنقبات بل بلغ الأمر بها لأن تحيا ثلاثة أيام هى الأكثر اضطرابا فى حياتها .. شحب وجهها من كثرة التفكير .. تفكر وتعمل عقلها وتتسائل : إذا كان النقاب غرضه هو حماية المرأة حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض .. هل تحقق ذلك الغرض ؟ وما علاقة وجهها وإخفائه بذلك ، فالذى فى قلبه مرض إنما مرضه هو الخيال الذى لن يمنعه النقاب من الإفتتان بما يريد .. حكت فاطمة لمدام سناء ما يختلج بصدرها فى هذا الشأن ولم تتلقى

منها ما يشفى اضطراب سريرتها حيث قالت سناء لها

- دى حريتك الشخصية وموروثك ومعتقداتك اللى إنت مرتاحة له إعمليه ..

كان أكثر ما يؤرق فاطمة وهى على أعتاب إتخاذ قرارها هو أبوها الشيخ اسماعيل حسين أمير جماعة التبليغ والدعوة بمنطقة دار السلام .. لكن فاطمة أذعنت الى أنها الآن زوجة وزوجها فقط من يكون له السلطة عليها وليس أبأها .

*　　　　*

*

كان يوما مهيبا بحق ذلك اليوم الذى وقفت فيه فاطمة أمام المرآة صباحا ترتدى ملابسها استعدادا للذهاب الى الكلية .. كل شئ كما المعتاد .. العباءة المحتشمة والحجاب الأبيض الأنيق .. لكن شئ واحد كان جديدا وهو أنها لم تغطى وجهها بتلك القطعة من القماش .. وقفت تتأمل

وجهها فى المرآة وتتسائل : هل سيكون ذلك مصدر فتنة ؟ .

تثبتت العيون التى وقعت على فاطمة من الزملاء المعيدين والأساتذة والطلبة .. تعرفوا عليها من شكل جسدها وملابسها .. الجميع كان يرنوا الى وجهها الملائكى مندهشين .. ولم تعبأ فاطمة بالهمهمات التى تصل الى أذنيها لمجرد أن وجهها لم يعد مختفيا وراء قطعة من القماش وكانت فاطمة فى أفضل محاضراتها على الاطلاق وهى تسمع صوتها طليق السراح ونسمات الهواء تداعب بشرة وجهها وهى تشرح للطلبة فى الفصل .. ابتعد عنها المنقبات واتهموها بتزعزع إيمانها بعد الزواج ، وفى أحد الأيام جاء خالد لإصطحابها من الكلية لتناول الغداء فى أحد المطاعم وقابلا عند باب الجامعة أثناء خروجهما فتاة شابة والى جوارها رجل يحمل كاميرا وقالت

- احنا برنامج الحقيقة وعايزين ناخد رأيكم فى قرار حظر النقاب

بمجرد أن علمت الفتاة بأن فاطمة كانت منقبة ولم تعد منقبة وزوجها كان منتميا الى أحد المناهج الدينية حتى سارعت بإجراء إتصالاتها بمعد البرنامج ليتم دعوة فاطمة وخالد لحضور حلقة تناقش قضية حظر النقاب فى الجامعات .

****

كانت شهد سعيدة بإقتراب انتهاء تصوير الفيلم وكذلك الهالة الإعلامية المتزايدة عليها ، لذا غمرها إحساس الفرح لتنعم بالمتعة واللذة مع شريف ، تدفع له ثمن دفعه لها لصعود سلم الشهرة والنجومية .. كانا فى هذه اللحظة ملتحمين عرايا على الفراش الوثير ، وشهد فى نوبة شبقة متأججة كأنثى تملك من الفتنة والدلال ما يفتك بأعتى الرجال .. لم يحتمل شريف صعودها وهبوطها عليه وإعتصار مهبلها لقضيبه حيث تقلص جسده وانتفض وقذف ، لتصيح فيه شهد بعصبية

- لسه أنا ما خلصتش

قالتها وتصنعت متدللة البكاء وسمعت شريف يقول

- ولا يهمك يا روحى لسه الليل وآخره

نهضت عنه شهد وهى تشعر بالحنق على إثر بتر متعتها وقام شريف وتناول قرص فياجرا ومضت ساعة وهما ممددان عاريان على السرير يتحدثان عن الفيلم وأفضل موعد لبدء عرضه فى دور العرض وكيف تمكن شريف من الإتفاق مع الرقابة ليتمكن بعد إنتهاء تصوير الفيلم من تمريره من الرقابة .. كانت شهد تسبح فى عالم من الخيال وتتخيل نفسها بطلة كل الأفلام ونجمة الجماهير ومعبودة العشاق .. شعرت بيد شريف تجذب رأسها لتصير فوقه ، فامتثلت تداعب وتقبل أجزاء صدره وترضع حلمتيه تتهادى بلسانها حول سرته والتقمت قضيبه تمتصه وتدلكه .. اعتلاها شريف بين فخذيها ورجليها مرفوعة على كتفيه وظل يطعن مهبلها بقوة .. أسلمت شهد نفسها لرياح اللذة تحملها كبساط الريح وأثناء بدء ارتعاشة نشوتها

، فزعت على صوت جرس الباب وطرقات متتالية .. زمجر شريف وقال

- ده وقت حد يجى فيه

قالها وهو عازم على تجاهل الطارق ومعاودة دفعاته لولا أن الطرقات تسارعت ورنات الجرس يعلو أزيزها ليسكن على إثرها الأثير المشحون بالمتعة ويحل محله الحنق والغضب .. نهض شريف يلعن الطارق المزعج وارتدى الروب على جسده مباشرة وخرج من الغرفة وهو يربط الحزام وما أن فتح الباب حتى إندفع وليد داخلا يصيح

- شهد .. شهد

قالها وهو يبحث فى أرجاء الشقة كالمجنون ، فى حين جرى شريف بجسده القصير السمين خلفه يمسك بكتفه صائحا ولا تزال أنفاسه لاهثه

- إنت رايح فين يا أخينا انت .. انت لسه ما حرمتش من المرة اللى فاتت ؟

كان رد وليد الذى أملاه عليه عقله المخدر من فرط تدخينه للحشيش ، هو أن أخرج مسدسه فى وجه شريف وسمع صوتا قادما من إحدى الغرف .. أسرع تجاهها ورأى شهد عارية

تحاول إرتداء شئ يستر جسدها .. كان لمرأى وليد لجسد شهد العارى وهى تتعثر فى ارتداء الروب ، الخاتمة التى أودت بعقله الى الظلمات وغياهب التوهان وقال ووجهه محتقن بحمرة الدم

- فاكرة إن أنا هاسيبك يا

بتر كلماته إثر إندفاع شريف يهوى عليه من خلفه ، فاستدار وليد بحركة غريزية وضغط الزناد دون وعى ، واخترقت الرصاصة صدر شريف الذى سقط جاحظ العينين يستحث الشهيق متشبثا بالحياة ، وسط صرخات شهد التى غطت وجهها بكفيها وبدا جسدها عاريا من الأمام من خلف الروب المفتوح .. اتجه وليد تجاهها وجذبها من شعرها .. كان يشعر لحظتها أنه استعادها ويجذبها الآن لتغادر معه ، لكنه رأى الجيران يندفعون إثر صرخاتها التى تشق الأجواء ، فصاح فيهم وليد شاهرا مسدسه تجاههم

- كل واحد يبعد من هنا واللى مش هايبعد هاقتله

على الفور إختفى الجميع مذعورين من أمامه .. واستغلت شهد تلك اللحظة وبطاقة الحياة أمسكت بيها طرفى الروب تدارى جسدها وجذبت شعرها من يد وليد وانطلقت تعدو هاربة وعبرت باب الشقة تنزل السلم متقافزة ، فما كان من وليد سوى العدو ورائها هابطا السلم ولما إقتربت من تجاوز ما تبقى من درجات لتصبح فى بهو العمارة .. أطلق وليد رصاصاته تباعا لتستقر فى جسدها وتهوى شهد متدحرجة على درجات السلم حتى استقر جسدها مضرجا فى دمائه عند نهاية السلم بمدخل العمارة .. ألقى وليد بالمسدس وأسرع يتفحص شهد التى فارقت الحياة وكأنه أطلق عليها حجارة وليس رصاصا.. ابتسم وجلس على درجة السلم ملاصق لها وأخرج سيجارة حشيش وأشعلها بهدوء .. ونفث دخانه وهو يرنو الى وجهها ويداعب بأصابعه خصلات شعرها .

****

بعناء شديد تمكن عماد من الحصول على مسدس من طراز قديم من أحد محلات الذخيرة والسلاح الكائن فى ميدان الجيزة وعانى كثيرا ودفع الكثير من المال ليتغاضى البائع عن إجراءات ترخيص السلاح والتى ستحتاج للكثير من الوقت والإجراءات .. حسب الخطة التى رسمها عماد خرج بسيارته قبل يومين من إفتتاح الرئيس لمحور المريوطية .. وبات فى فندق هناك ثم خرج ليلة الإفتتاح واتجه الى جراج الفندق حيث سيارته ، وأستقلها منتصف الليل أسفل المحور واختفى بها وسط الظلام .. إرتدى (العفريتة الزرقاء) ووضع الكارنيه الذى أعده فى مكتب كمبيوتر ومكتوب عليه م/ عماد أحمد مراد مهندس إنشائى بشركة المقاولات المصرية لتنفيذ المشروعات ، وقد ألصق صورته عليه .. إختار عماد أن يكون مهندسا بدلا من عامل بناء حتى لا يتشدد مع الأمن ويعتمد على وجوده فى المكان قبل عمليات التأمين .. لم ينم عماد بداخل السيارة لا يكف عن تدخين السيجارة تلو الأخرى ولم يشعر بالوقت

يمر وهو يرى المانشتات والعنواين والبرامج لا حديث لها سوى عن عماد مراد الذى إغتال الرئيس .. ورأى السؤال فى إمتحان التاريخ للصف الثالث الثانوى : أكمل الجمل الناقصة مكان النقط (.............. هو الذى إغتال الرئيس مبارك) ويكتب الطالب على الفور مكان النقط اسم عماد مراد .. اتسعت ابتسامة عماد وهو يحرك رأسه يمينا ويسارا فى زهو وسعادة .. هكذا سيدخل التاريخ وستصبح لحياته قيمة ، وأية قيمة .. هو الذى خلص شعبا بأكمله من الظلم والفساد والقهر والطغيان .. غالب عماد رغبة النوم يتثائب فلم يكن قد ذاق طعم النوم منذ يومين .. النهار بدأ يلوح بضيائه فى الأفق ويفرد عبائته المضيئة على وجه البسيطة .. ارتدى عماد الخوزة الصفراء ودس المسدس الصغير فى الجورب .. تأكد من استعداد المسدس لإطلاق النار بمجرد ضغط الزناد ، وخرج من السيارة مترجلا لأعلى المحور .. اقترب عماد من المخيم الكبير المترامى الأطراف والذى بدأ نصبه منذ ثلاثة أيام لإستقبال الرئيس ولفيف الوزراء .. كان عماد

تحت حالة من الإدراك المشوش بدأ يفيق منها على التفكير فى كيفية دخول المخيم ، و شعر بالقلق والخوف وهو يرى رجال الأمن يتفحصون المخيم شبرا شبرا بأجهزة صغيرة حساسة للبحث عن أية أجسام غريبة وكذلك الكلاب البوليسية المدربة تتشمم الرمال .. لحظتها أدرك عماد أنه فى مهمة مستحيلة .. تمكن عماد من أن يخفى إضطرابه حين إقترب منه مهندسا وقال وهو يرنو الى الكارنيه المختلف عن الإستانبة الخاصة بالشركة

- حضرتك معانا هنا
- لأ .. أنا جاى أحضر افتتاح الرئيس

خفق قلب عماد وهو يجد الشاب ينظر له بريبة ثم قال

- شكلك مش غريب عليا

صمت لحظات ثم قال مسرعا

- افتكرت .. إنت المشرف على محور الجامعة – صفط اللبن .. صح ؟
- صح

هكذا رد عماد متصنعا ابتسامة ودودة وسمع المهندس الشاب يتابع

- بقالكم كتير شغالين فيه .. هاتخلصوا إمتى ؟
التقط عماد الخيط وبدأ حديثه مع المهندس الشاب عن أحوال الشركة والمرتبات التى لابد أن تزيد .. فجأة حدق الرجل فى وجه عماد وقطب حاجبيه وقال

- بس هاتحضر الإفتتاح إزاى .. دول ما رضيوش يدوا تصاريح غير للمهندسين العاملين فى المشروع بس

شعر عماد بإحباط عارم ينهى على آماله ولكنه سمع المهندس يقول

- بأقولك إيه .. أنا مخنوق من الشغلانة دى وما صدقت إن المشروع خلص .. خد التصريح بتاعى وأنا هازوغ .. ما حدش هياخد باله من الصورة عشان قديمة .. بس إبقى اقلع النضارة

لأول مرة يحس عماد أن القدر يسانده فى شئ فى حياته فعلى ما يبدو أن القدر يريد إنجاح المهمة .. هكذا لم يصدق عماد نفسه وهو يجلس بداخل المخيم فى منتصف الصفوف .

* * *

تقترب السيارة المرسيدس السوداء المصفحة ضد الرصاص ويحرسها من أمامها ومن خلفها سيارتان مصفحتان وفى مقدمة ومؤخرة الموكب أربعة موتسيكلات عليها أفراد من الحرس وتأز صافراتها إعلانا عن الموكب المهيب .. وما أن اقترب الموكب من المخيم حتى شد ضباط الحرس الجمهورى قاماتهم الفارعة الممشوقة واتخذوا مواقعهم فى دائرة كبيرة شاهرين أسلحتهم للأمام .. توقف الموكب وهرع رئيس التشريفات ينحنى بشدة ويفتح باب السيارة ليظهر سيادة الرئيس .. وقفز الحرس الشخصى من الرجال ضخام الأجسام وشكلوا حول السيارة دائرة .. نزل الرئيس ببطء وشموخ مرتديا بدلة سوداء غاية فى الأناقة ويظهر القميص الأبيض ومن فوقه كرافتة مخططة وحذاء أسود لامع .. وبدا على وجهه الشيخوخة الثمانينية رغم عمليات الشد التى أنهكت بشرته وكذلك شعره المصبوغ لم يخفى كبر سنه .. لكن ما يلفت انتباهك هو مشيته التى بدت مجهدة تحمل عبق عمره المديد ونظراته الزائغة التى تشى بأنه لا

يدرك ما حوله جيدا .. حيا الرئيس مدراء وكبار مهندسى الشركة التى أنشأت المشروع وقد اصطفوا فى طابور لتحية الرئيس ومصافحته واستقبلته الصيحات وعلا التصفيق يرج المكان من الحاضرين يقودهم شباب الحزب الوطنى ، وبالطبع رفع الرئيس يديه الكريمتين يلوح لهم بمعنى (كفى) .. جلس وبدا للجميع أنه حاضر غائب .. الوزراء وعلى رأسهم رئيس الوزراء فى الصف الأمامى .. الوزراء المعنيون بالإنشائات : وزير النقل ووزير الإسكان والباقى يجلس وعلى الوجوه ابتسامات مرسومة مصطنعة ساذجة .. نهض وزير النقل وظل يشرح ويتسفيض مستعينا بصور (البروجيكتور) موجها كلامه لسيادة الرئيس فى حين لم يكن أحد من الحاضرين ينظر الى وزير النقل وهو يتحدث ، فقد كانت العيون جميعها شاخصة على سيادة الرئيس الذى بدا بعينيه نصف المغمضة كأنه لا يسمع ما يقال ..

*　　　　　　*

غائب عماد عن الدنيا يتحين الفرصة ، هو لا يهمه حياته بالقطع لكن ما يهمه هو ألا تضيع هباء .. يمعن الآن فى الإختيار بين ما يطرحه عليه عقله : هل يقوم مرة واحدة ويطلق الرصاص على الرئيس ؟ .. لا .. المسافة ليست قريبة قد تطيش الرصاصة الأولى ولن يتمكن من إطلاق الثانية فسيكون لحظتها جثة على أيدى الحرس .. هل يتقدم بضع خطوات ليتضح مجال الرؤية ويصوب سريعا .. لا ربما امسكوا به بمجرد محاولة اقترابه من الصفوف الأمامية .. لا يدرى ماذا يفعل وسمع الصيحات تدوى والهتافات بحياة الرئيس تشق الهواء ، فانتبه ليرى الرئيس يتجه ليلقى كلمته .. يا الله .. الآن مجال الرؤية واضح وزاوية التصويب جيدة .. أراد أن يستوثق من الأمر بعدما يجلس من وقفوا من الهتيفة .. وبالفعل صار كل شئ على ما يرام .. القدر الآن يسانده لأول مرة فى حياته .. حانت لحظة دخول التاريخ .. الدماء تغلى فى عروقه وتفور يشعر من فرط فورانها أنها ستندفع منفجرة من أوردته وشرايينه .. ابتسم واتسعت

عيناه ثابته لا تتحرك .. امسك المسدس ووقف مرة واحدة وفى أقل من ثانية كانت يده ممدودة بالمسدس تجاه الرئيس وهوت سبابته تضغط الزناد بضغطات متتالية محمومة .. وأغمض عينيه مستسلما للمصير المحتوم يلهث .

****

بماذا تشير على سماح أن تفعل فى موقف كهذا ؟ .. بعدما وجدت نفسها حامل فى أكثر من شهرين بعد مضى اسبوع على زواجها من إبراهيم .. داهمتها حالة من الفوبيا مجددا وحاولت قدر إستطاعتها أن تخفى إضطرابها على من حولها .. تبادر الى ذهنها اسم الشيخ أحمد عبد القادر فهو من ساعدها من قبل ، ولكن مساعدته لها فى عملية الترقيع بائت بالفشل لكنها لا تجد أمامها غيره فذهبت إليه .. استقبلها الشيخ أحمد وقد أدرك من علامات وجهها أنها فى أمر جلل وعلم منها بحملها فقال

- طب وانا إيه علاقتى بالموضوع ده ؟!

جاء الرد من سماح بالبكاء المصحوب بإرتجاف جسدها وقالت متلعثمة

- مش عارفة أعمل إيه ؟
- أنا مافيش فى إيدى حاجة أعملهالك .. شوفى دكتور وروحى له

قالها الشيخ أحمد وهو عازم على إنهاء المقابلة ولكنه سمعها تقول

- العملية اللى عملهالى الدكتور اللى وديتنى ليه ما نفعتش

حدق الشيخ أحمد فى وجهها وقال

- طب وإبراهيم عمل معاكى إيه ؟

هزت سماح رأسها يمينا ويسارا ، وفهم الشيخ أحمد أن إبراهيم تستر عليها وأدرك أنه تورط مع سماح تلك الفتاة الغير متزنة ومن الممكن إذا افتضح أمر حملها أن تخبر إبراهيم أو أحد من أهلها بأن الشيخ أحمد اصطحبها الى دكتور عماد لترقيعها ، ولن يسلم وقتها من المشاكل إذا انتشر الخبر فى منطقة دار السلام .. ووجد أن عليه أن يساعدها من أجل حماية نفسه .. قام الشيخ أحمد بإصطحاب سماح إلى أم زوقرد أشهر داية فى منطقة البساتين المجاورة لدار

السلام .. الرائحة العطنة تفوح من دارها القذر وهما يدخلان الى الصالة واستقبلتهما أم زوقرد العجوز بوجهها الدميم النحيف وشعرها الأبيض الاشعث المنكوش وترتدى جلباب أسود كالح لا يخلو من الثقوب وقالت بنبرة جادة

- خير يا شيخ أحمد .. عندك حد بيولد ؟
- لأ .. الأخت حامل وعايزين نسقطها

كان بمقدور الشيخ أحمد اللجوء الى دكتور عماد أو أى أحد من معارفه لعمل إجهاض لسماح ، إلا أنه توفيرا للنفقات حيث لا يعلم إن كان سيتمكن من إستعادة ما سيدفعه أم لا ؟ من جهة .. وكذلك إنهاء الأمر بسرعة بدلا من عملية إجهاض تحتاج الى تخدير من جهة أخرى ، فآثر التوجه بسماح الى أم زوقرد الداية والتى تحترف (تسقيط) الحوامل ولها شهرة واسعة فى منطقة البساتين .. لم تهتم أم زوقرد بالسؤال عن أية تفاصيل .. فقط تفحصت سماح بنظرات متفحصة ثم نهضت الى مطبخ الشقة العطنة الرثة متسخة الجدران وتحت الضوء الكئيب الباهت قامت بتقطيع بعض أعواد الملوخية

الخضراء وأضافت عليها كمية من الحلبة المغات وقامت بهرس الخليط بيدها حتى صار عجينة لزجة .. نادت على سماح وساقتها لإحدى الغرف وجعلتها تعرى نصفها الأسفل وترقد على ظهرها مباعدة بين فخذيها .. وبما أن أم زوقرد متمرسة فى هذا الأمر ، لذا لا نتعجب ونحن نراها تستخدم قمعا من القماش فى نهاية طرفه المدبب حلقة معدنية دائرية صغيرة (القمع الذى يستخدم فى وضع الكريمة على التورتة) .. وعبأت القمع بالخليط اللزج فى حين استسلمت سماح التى لا تفهم معنى ذلك وتأوهت متألمة حين أحست بحلقة القمع المعدنية تعبر مهبلها .. وسمعت أم زوقرد تقول

- استحملى يا اختى

ظلت أم زوقرد تدفع بالمزيج اللزج بداخل مهبل ورحم سماح ، ولما رأت الخليط يعود بعضه خارجا ، صاحت فى سماح

- ما تحزقى لجوة يا اختى شوية

نفذت سماح المطلوب وتم حشو مهبلها بخليط سيقان الملوخية المهروسة بالحلبة المغات ، وبعدما انتهت أم زوقرد قالت لها

- تفضلى ماسكة نفسك على كده وبالليل أول ما تحسى بتقل جواكى وزى حاجة هتوقع منك .. تطلعى العجينة اللى جواكى وتجيبى إيد مقشة وتقعدى تدخلى فيها على قد ما تقدرى .. هتلاقى الدم نزل وهاتسقطى

قام الشيخ أحمد بإخراج ثلاثين جنيها ومد يده بهم الى أم زوقرد التى قالت بنبرة آمرة

- خمسين جنية يا شيخ أحمد

تنهد الشيخ أحمد وأعطاها الخمسين جنيها وغادر بصحبة سماح .

تكمن فائدة العجينة التى صنعتها أم زوقرد من أعواد الملوخية والحلبة المغات فى قدرتها الإمتصاصية الكبيرة بسبب (mucillage) الموجود فى سيقان الملوخية والحلبة المغات ، وتلك المادة لها قدرة كبيرة على إمتصاص أضعاف حجمها من الماء ، وإستخدامها فى الإجهاض يعتمد على إمتصاص السوائل الموجودة حول عنق الرحم وإمتزاز الماء من داخل الكيس الأسود المحيط بالجنين ، فيؤدى

ذلك إلى ثقب فى كيس الماء ويحدث الإجهاض .. بالطبع يصلح ذلك خاصة مع حالات الحمل الغير ثابت فى شهوره الأولى .. وعلى ما يبدو أن حمل سماح من النوع الثابت لأنها عانت وهى تفعل ذلك وبالكاد سقطت بضع قطرات من الدم .. إزداد إضطرابها وبدا ذلك للجميع مما جعل أم إبراهيم تعتقد أن الجن قد عاود تلبسها وإتجهت بها للشيخ أحمد عبد القادر الذى إختلى بسماح وعلم أن حملها لم يذهب وأدرك أن سماح قدره وعليه التصرف .. اتصل بالدكتور عماد الذى أشار عليه بعملية إجهاض وعقب الشيخ أحمد

- مافيش حاجة غير العملية عشان ظروفها مش هاتسمح بعملية تحت تخدير
- ممكن تاخد لبوس فاجى بروست واحدة فى المهبل كل يوم بالليل .. وتاخد أقراص ميزوتاك قرصين فى الفم وقرصين فى المهبل الصبح وبالليل لمدة ثلاثة أيام .. بس ممكن يحصل لها نزيف

فكر الشيخ أحمد فى الأمر وقرر أن ينفض يده من الموضوع برمته .. كتب أسماء الأدوية فى ورقة لسماح وقال

- أكتر من كده مش هاقدر أعملك حاجة

غادرت سماح بصحبة أم إبراهيم ومن هنا إتخذ عقلها منحى آخر .. كانت تتمتم بكلمات خافتة وكأنها تحادث نفسها .. وتسللت الى صيدلية الرضا والنور ومدت يدها بالورقة الى الدكتور شريف بسيونى الذى تفحصها بنظرته الثاقبة المستريبة وأعطاها الأدوية وزاد عليها بحقنها بأمبولتين ميثرجين ..

كان من المنطقى بعد يوم أن تسقط سماح فاقدة الوعى والدماء المتكتلة تنسال من بين فخذيها بغزارة .. استنجد إبراهيم بأبيه وحضر الطبيب وبائت المصيبة وتحولت الى فضيحة ،

واستدعى المعلم هريدى والد سماح لأخذها .

*　　　　*

*

بين الصحو والمنام كانت سماح راقدة على السرير تنزف وقد شحب وجهها بصفرة الموت .. وأمها تولول وتصرخ

- يا فضيحتى من الناس .. ياريتك كنتى موتى يوم ما غرستى السكينة فى قلبك

وانهال سعيد والد سماح عليها ضربا بلا رحمة ، يصيح

- مين يا بت اللى عمل فيكى كده ؟

خرجت بضعة كلمات كهذيان من فم سماح فهموا منها أن الشيخ أحمد عبد القادر له علاقة بالموضوع وقبل أن تهذى سماح باسم خالد فقدت الوعى ونقلوها الى المستشفى .. تم إنقاذ حياتها وتنظيف رحمها لكنها بعدما أفاقت تم تحويلها الى مستشفى الأمراض العقلية .

*   *   *

لم يعد الشيخ أحمد عبد القادر قادرا على رفع رأسه بين زوييه ومعارفه بعد فضيحة تورطه مع سماح .. وفى منتصف أحد الليالى كان الشيخ أحمد عبد القادر يركب سيارة نقل محملة بأثاث شقته وينتقل من دار السلام للإقامة فى المعصرة حيث لا يعرفه أحد هناك .

****

يسحقه قطار الذكريات كان فايز عودة يعبر الحدود بداخل السيارة البيجو البيضاء الطويلة الأجرة ، مشبكا يده فى يد نتاليا حاييم ، بعدما قرر زيارة أسرته لبضعة أيام استجابة لندائات أمه التى اشتد بها المرض وباتت على فراش الموت تتمنى رؤية ابنها الغائب قبل أن تترك الدنيا .. يرى فايز نفسه حين كان طفلا يتسلق أشجار الزيتون والكروم ويلهو بالضحكات فى براءة الوجود .. لكن ذلك انتهى سريعا وكأنه لم يبدأ بعد ، وهو يرى نعش أبيه محمولا على الأعناق وهو ابن العاشرة .. كان يبكى منتحبا على فراق الأب الذى أردته رصاصة من

الغاصب المحتل الصهيونى .. وأسرع الأخ
الأكبر يحضر البندقية ذات الأوكرة اللامعة
والتى تسلمها أبوه من مكتب المقاومة الشعبية
ولم يستخدمها قط وأنطلقت الرصاصات فى
سماء الكون الرحيب لتضفى على الجنازة مهابة
لوداع رجل شهيد .. توقف قطار الذكريات مع
توقف فايز بصحبة زوجته نتاليا التى غطت
رأسها بطرحة سوداء عند أول نقاط التفتيش
على الحدود .. وبعدما عبرت السيارة ، عاد
قطار الذكريات يتحرك متجها الى المحطة التالية
حين كان فايز صبيا يعايره أقرانه بالجبن
والخوف لأنه لا يخرج معهم لقذف الجنود
الإسرائيليين بالحجارة .. يتسائل فايز هل هو
جبان ؟ ، ولماذا خلقه الله يحب الحياة ويركن الى
الدعة والسلام .. لماذا خلقه الله هكذا طالما
وضعه فى مكان كان الموت فيه أقرب من الحياة
.. شعر برأس زوجته على كتفه تستنيم .. ابتسم
وربت عليها بحنان وغمره شلال الذكريات مع
نتاليا يوم أرسلها القدر إليه .. هل هو خائن وطنه
وشعبه كما يقولون لأنه أحب وتزوج من نتاليا
التى أنارت ظلمة حياته الحالكة السواد .. ما

الجريرة التى ارتكبتها هى إذا ولدت يهوديه .. أليست انسانة مثله وجدت فيه ما بدد الحزن من حياتها ؟ ..

يخفق قلب فايز مرفرفا كلما اقترب بخطواته من الدار يسبقه الشوق والحنين وانتبه لعواء كلب أسود أمام الدار .. قبض بيده على يد نتاليا يجذبها مسرعا ورأى النساء متشحات بالسواد .. بكاء ونحيب وعويل يملأ الدار .. يا لهذا القدر العابث به .. أيستكثر عليه ساعتين من الزمان ، هى الفاصل الزمنى بين لحظة موت أمه ولحظة وصوله .. بكى بحرقة وهو يرى فى خياله مشهد أمه تجلسه فى حجرها طفلا تهدهده أو تمسك الكوز وتملأه من الفنطاس الذى يتصاعد منه البخار على الوابور وتسكب على جسده العارى تحممه .. وازداد بكاؤه لأنها فارقت الدنيا منذ ساعتين لم يمهلها القدر تلكما الساعتين لتراه ولو لبرهة .. جرى تجاه النعش يريد أن يفتحه ليرى وجهها لحظة .. منعوه ناهرين وسمعهم يصفونه بالخائن الجبان .. آزرته نتاليا التى تجنبها الجميع فهى يهودية نجسة لا يجب الإقتراب منها ،

وئدت بذنب قومها ولم يكن لها هى ذنب .. حاول فايز أن يشارك فى حمل نعش أمه ولو لخطوات ولكنهم منعوه .. حتى على قبرها بعدما ثواها التراب وغطاها الثرى .. لم يدعه أخوته يقف ليتلقى العزاء معهم .. حل الليل وأظلمت الدنيا ووجد نفسه يقف أمام باب الدار الذى أوصد فى وجهه يبكى ونتاليا الى جواره تبكى .. يتلفتان حولهما يبحثان عما يأويهما من البرد .. ترجلا على غير هدى ولم يدريا زمانا ولا مكانا .. كانا يظنان أن ذلك الغياب التام عن المكان والزمان لا يحدث لهما إلا وهما فى نوبة الحب السماوى ، لكنهما أدركا الآن أنه يمكن أن يحدث بدون نوبات حب .. وكأنهما اتفقا بلا كلمات .. توقفا وجلسا على قارعة الطريق متلاصقان .. تشبثت نتاليا بزراعيها تحيط جزع فايز ووضعت رأسها على كتفه بعيدا عن الزمان والمكان .

وفجأة دخلا الى عالم الزمان والمكان حين سمعا

- ها الخاين واليهودية

نظرا أمامهما ليريا رجلا يرتدى فانلة سوداء وبنطلون أسود وقد إختفت رأسه تحت قناع أسود

من القماش .. وحول رأسه شريط أخضر مكتوب عليه (لا إله إلا الله .. محمد رسول الله) .. ومن خلفه كان هناك ثلاثة آخرين على نفس الشكل والحال .. يشهرون رشاشات آليه تجاههما .. لم يكن الأمر يحتاج الى تفسير ، إنهم تابعين لمليشيات حماس .

لم يمضى الكثير من الوقت حتى كان فايز ونتاليا فى غرفة رثة عطنة وآياديهم مكبلة خلف ظهورهم .. وفتح الباب ليدخل ثلاثة مقنعون وينهالون عليهما ركلا .. يسحقون بأحذيتهم الغليظة جسديهما .. ثم دخل ثالث وقام بتثبيت كاميرا يصور فايز ونتاليا يبكيان من فرط الألم ، ثم اصطف الثلاثة مقنعون يرتدون السواد مشبكون آياديهم خلف ظهورهم من وراء فايز ونتاليا .. وتحدث أوسطهم بصوت قوى أجش من خلف القناع يقول

- بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله .. (يا أيها اللذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم) .. هذا الخائن الذى خان دينه ووطنه وشعبه

وألقى بنفسه فى حضن المحتل الغاصب
الكافر وتحدى كفاح وجهاد شعبه وتزوج من
اليهودية الكافرة .. (إنما جزاء اللذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض
فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف) صدق الله العظيم

قالها وأخرج سكينا حادا وأمسك بشعر فايز
يجذب رأسه لأعلى وهوى بالسكين على رقبة
فايز يذبحه وفصل الرأس شاهرا إياها أمام
الكاميرا وصيحات التكبير تتعالى
- الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر
وتمتزج الصيحات بصرخات نتاليا وبكاؤها
الهيستيرى من مرآى ما حدث ، فأمسك الرجل
بشعرها وقال
- أما هذه اليهودية .. فنحن نطلب فديتها
بعشرة من الأسرى المسلمين الفلسطينيين
فى السجون الإسرائيلية

*   *

*

كان مشهدا مؤثرا ذلك الذى حدث لفايز ونتاليا وتم إذاعته عبر القنوات الفضائية المساندة لحركة حماس ، وكذلك ملأ مواقع الإنترنت .. ورغم أن ذلك المشهد لم يكن مختلفا فهو مثل الكثير من مشاهد الذبح وقطع الرؤوس والتى تحمل عنوان (hamas beheading videos) ومنتشرة على مواقع الإنترنت ووسائل الإعلام العالمية ويستخدمونها للإساءة الى الإسلام والمسلمين .. إلا أن تأثير مشهد فايز ونتاليا على مستوى العالم أجمع كان فريدا ومهيبا بحق .. حيث لم يكن ذلك المشهد وحده وإنما كان فيلما سينمائيا واقعيا يبدأ بمشاهد فايز ونتاليا التى ملأت وسائل الإعلام عن الفلسطينى الذى أحب الإسرائيلية وكفاحهما من أجل الحصول على إقامة دائمة فى فلسطين أو إسرائيل وفشلت المساعى ويسافرا الى مصر .. قصة حب رومانسية جميلة غريبة وعجيبة ثم يأتى مشهد النهاية الذى جعل القصة واحدة من القصص التى تستحق أن يخلدها التاريخ .. وبالطبع تمكن الإعلام الصهيونى الأكثر نفيرا من إستغلال ذلك

المشهد لإستدرار عطف العالم أجمع ضد الإسلام والمسلمين وخرجت المسيرات فى شوارع بلدان العالم الأروبية والأمريكية والأسيوية ينددون بما فعلته حماس بفايز ويطالبون بإطلاق سراح نتاليا ، وأدركت حماس أنهم وقعوا تحت حماسهم واندفاعهم دون أن يستشرفوا المستقبل ، وفشلوا فى التفاوض على أسير واحد مقابل نتاليا .. ولم يكن الأمر يحتاج حتى الى إطلاق سراح نتاليا التى فقدت عقلها بعدما حدث وحاولت التخلص من حياتها ، فقد إتخذت الحكومة الإسرائيلية ذلك ذريعة ومدعومة من تعاطف العالم لتنطلق الحرب ضد الإرهاب .. هكذا أسمتها إسرائيل وغطت على مشاهد قتل الأبرياء الفلسطينيين من النساء والأطفال والعجائز تحت قذائف الطائرات بإذاعة فيلم فايز ونتاليا الى جانب مشاهد قطع الرؤوس التى قامت بها حماس .

وانطلقت المظاهرات والمسيرات فى شوارع البلدان العربية والإسلامية وعلى رأسها مصر ..

وكان ذلك أشبه بمن يحادث نفسه لا أحد فى الخارج يسمع أو يرى .

****

لم ينم هشام فى تلك الليلة .. هو فى مرحلة بينية بين الصحو والمنام .. يرى نفسه وسط الأعراف بين الجنة والنار لا هو الى ذاك اليمين ولا هو الى هذا اليسار .. إذا أطرق برأسه يمينا يرى طريقا فى نهايته الجنة لكنه محفوف بالأشواك ، فهذا والده يبكى ومن حوله رجال أمن الدولة وسمع السباب والإهانات وأحس على جسده بالصفعات والركلات .. وإذا أطرق يسارا رأى طريقا محفوفا بالورود والزهور والأشجار لكنه يؤدى فى نهايته الى النار .. ضباب كثيف يحجب الرؤية عن عينيه لكنه سرعان ما انقشع بفعل صورة وجه يارا الفاتن الجميل بعينيها الجريئة المتسلطة ترنو إليه وعلى وجهها ابتسامة ساخرة .. دمعت عيناه وأفاق على صوت آذان الفجر ، فها هو صباح الجمعة

الميمون سيزحف حبوا ليبدأ النهار .. نهض من فراشه وتوضأ وذهب للمسجد يصلى الفجر .. جلس بعدها مع المهندس وائل أبو سمرة وباقى الإخوان يتمتمون بإذكار الصباح .. ثم تحدثوا عما سيفعلون فى مظاهرة اليوم الكبرى للتنديد بالهجوم الإسرائيلى على غزة .. عاد هشام الى بيته وارتدى أفضل ثيابه القميص الأبيض والبنطلون الأسود والحذاء اللامع .. لكنه هذه المرة لم يجعل القميص بداخل البنطلون فقد تركه منسدلا خارجا ..

أمام مسجد النور بالعباسية احتشدت الآلاف وصلوا الجمعة متجمهرون أمام المسجد ومحاصرون بعربات الأمن الزرقاء المصفحة والعساكر بأرديتهم السوداء يمسكون بالعصوات والدروع يتأهبون لتلقى إشارة الهجوم .. ما إن انتهت الصلاة حتى أسرع شباب الإخوان المسلمين يلتفون فى دائرة كبيرة وكذلك ساندهم المتعاطفون والمؤيدون ، وأمسك أحدهم بمايكرفون كبير وبدأ يلهب حماس الجميع ، وارتفعت الآيادى بصور جثث القتلى

الفلسطينيين الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ ، وانطلقت المظاهرة وصدرت الأوامر لعساكر الأمن بالهجوم وبدأت المعمعة .. تناسى هشام وسط ذلك الحشد المهيب الدنيا بأكملها ولم يتوقف عن الصياح والتكبير

- الله أكبر .. الله أكبر

ولم يدرى من فرط حماسه سبب الألم الذى أحس به خلف رأسه والذى كان مصدره ضربة عصا من أحد العساكر ليسقط مغشيا عليه .. داست عليه الأقدام وساعده بعض الإخوة ليفيق وينهض ثم وجد نفسه مدفوعا بقوة الى داخل العربة الزرقاء وقد أظلمت الدنيا وخسفت الشمس بعدما ألبسوه القناع الأسود العطن وقيدوا يديه خلف ظهره .. سحب هشام نفسا عميقا وكأنه ينهل من الرائحة العطنة التى باتت له فى هذه اللحظة مألوفة وكأنها صارت جزءا من حياته .

****

بداخل الحمام وفى البانيو يقف خالد محتضنا فاطمة التى أحاطت جزعه بزراعيها يتراقصان ملتحمان أسفل الماء المنهمر من الدش ..
ضحكت فاطمة بميوعة وهى تشعر بشئ صلب يضغط على عانتها وقالت متدللة
- إحنا مش لسه عاملين ودخلنا نستحما .. أنا مش هاستحما معاك تانى بعد كده
ضحك خالد عاليا ورجع بصدره قليلا للوراء وأمسك بثديي فاطمة براحتيه وضغط على حلمتيها المنتصبة النافرة
- ما انتى كمان أهو .. أمال دول واقفين ليه
علت ضحكات فاطمة وقالت
- ما لكش دعوى بدول
قالتها وهى تمسك بيد زوجها وتضعها بين فخذيها ليستشعر إنتصاب بظرها .. ضغط عليه خالد ودعكه بقوة جعلت جسدها يقشعر وصاحت متمنعة راغبة
- لأ لأ .. مش قادرة

قالتها وهى تمسك قضيب خالد وتعتصره بكفها بقوة آلمته ، فشهق متأوها وأراد الإنتقام ، فاعتصر بكفه ما بين فخذيها بقوة وعنف .. وغرقا فى التأوهات والضحكات .. جلس خالد فى البانيو ومدد رجليه مستندا بظهره على حافة البانيو .. وعليه جلست فارسته ليستقر السهم فى غمده وذابا فى نوبة جنونية يدغدغهما الماء المنهمر على جسديهما .. واتتهما رعشة مجنونة وكأنها الرعد أنهك جسديهما وتملكت منهما النشوة على عرش الحب ليظلا متعانقين على هذا الوضع فى استرخاء لذيذ .. أفاقا منه على صوت طرقات خفيفة على الباب وصوت مدام سناء يقول بنبرة مفعمة بالمرح وكأنها تكابد الضحك

- ياللا البرنامج هايبدأ

*　　　　*　　　　*

جلس خالد وفاطمة متلاصقان على الأريكة ومن أمامهما مجدى وسناء يتابعون حلقة برنامج الحقيقة التى سجلها خالد وفاطمة منذ بضعة أيام

يجلس الصحفى وائل الإبراشى بشعره الناعم الأبيض المصفف للخلف ووجهه النحيف على رأس المنضدة المستديرة وعن يمينه تجلس فاطمة مرتدية عباءة خضراء مطرزة غاية فى الأناقة وحجاب أبيض زاد من جمال وجهها الملائكى الهادئ ، والى جوارها خالد يرتدى قميص سماوى بأكمام طويلة ووجهه حليق لامع وإلى جواره رجلا أربعينيا أبيض حليق الوجه .. وفى الجهة المقابلة من المنضدة المستديرة يجلس رجلا بوجه سمين خمرى ولحية طويلة بيضاء وبدلة سوداء أنيقة ، وإلى جواره منقبتان مختفيتات وراء السواد .. موضوع الحلقة هو الجدل القائم بشأن حظر النقاب فى الجامعات وفى المدن الجامعية للطالبات وبداخل لجان الإمتحانات ، وكذلك مناقشة فرضية النقاب فى الإسلام .. وبدأ الأستاذ وائل الإبراشى فى تقديم الموجودين قائلا

- معانا المعيدة الجامعية بكلية الحاسب الآلى الأستاذة فاطمة اسماعيل حسين وكانت منقبة ولكنها الآن محجبة .. ومعانا زوجها الأستاذ

خالد مجدى وكان له تجربة حيث كان منتميا لأحد مناهج الجامعات الإسلامية وهى جماعة التبليغ والدعوة ، ومعانا الدكتور محمد عبد الهادى استاذ الشريعة الإسلامية وهو من المؤيدين لعدم فرضية النقاب فى الإسلام

صمت الإبراشى يلتقط أنفاسه وبدأ تعريف الجبهة الأخرى المؤيدة للنقاب و بدأ النقاش الذى تحول الى جدال ثم شجار بالكلمات ، وجعل ذلك خالد وفاطمة يتذكران جدالهما حول النقاب فى بداية تعارفهما على الإنترنت .. تسمع آيات وأحاديث يتم تفسيرها للتدليل على فرضية النقاب ثم تسمع من الجهة الأخرى آيات وأحاديث يتم تفسيرها للتدليل على عدم فرضية النقاب .. ويمر الوقت لنجد فى النهاية أنه لاجديد ، فلا انتصرت الفرقة المؤيدة ولا فازت الفرقة المعارضة ..

يشبك الأستاذ وائل يديه أمامه ويقول

- فى نهاية الحلقة هانسمع من كل واحد دقيقة يقول فيها رأيه

وهكذا بدأ كل واحد يوجز ما قاله خلال الحلقة فى هذه الدقيقة ولما جاء الدور على فاطمة قالت

- كل اللى أقدر أقوله إن عقل الإنسان اللى ربنا ميزه بيه عن باقى المخلوقات قادر على إختيار أفكاره ومعتقداته .. أنا اخترت بكامل إرادتى اللى عقلى وافق عليه وفطرتى ارتضته .. وباحترم أى حد يختار حاجة تانية

وتلقف خالد الكلمة متنهدا وقال

- خلاصة تجربتى هى إنى آمنت ان الدين أكبر من أى منهج وأعمق من نصوص الآيات والأحاديث .. عشان كده لازم نفهم مغزى الآيات والأحاديث ومعناها وفقا لمتطلبات عصرنا

قاطعه وائل الإبراشى يقول

- أفهم من كده إنك بتدعو للعلمانية

رد خالد يهز رأسه يمينا ويسارا قائلا

- أنا ماعرفش أى مسميات أو مصطلحات .. بصرف النظر ان كان دا اسمه علمانية ولا

لأ .. دا اللى عقلى ارتاح له .. ودا اللى خلانى احس إنى مسلم ومش مستسلم

انتهى البرنامج وتنهد الشيخ إسماعيل حسين الذى كان يتابع الحوار ، واتصل بابنته فاطمة يطمئن عليها دون أن يتطرق لأى شئ قالته فى البرنامج وكأنه لم يرى وختم المكالمة قائلا

- أنا خارج بكره الأربعين يوم بتوع السنة دى .. عايزة حاجة ؟
- تقبل الله منك وترجع بالسلامة

****

مفزوعا يرتعد لاهثا استيقظ عماد ليجد نفسه بداخل سيارته فى ركن خالى بعيد أسفل المحور .. حدق كالمجنون يبحث عن الرئيس فلم يجد شيئا حوله ونظر فى ساعته ووجدها الثانية عصرا .. تسلطن عليه النوم لأن النوم سلطان وراح فى حلمه عميقا من فرط إجهاده الذهنى ..

انتابته ضحكات هيستيرية بعدما قام بتشغيل الراديو لينبعث الصوت فى السيارة
- قام الرئيس مبارك فى صباح اليوم بإفتتاح محور المريوطية الذى يعد واحدا من مشروعات التنمية الكبرى وقد قال الرئيس فى كلمته اليوم ...

قطع عماد ضحكاته فجأة وبكى شاعرا بأن العالم قد انتهى بينما كان نائما .. وجد نفسه يكف عن البكاء ويستعيد مشهد التصويب وإطلاق النار على الرئيس ، ولم يدرى أن إندماجه فى استعادة اللحظة جعلته يمسك المسدس ويصوب ويضغط الزناد ولكن على رأسه .

مجرد خبر صغير فى صفحات الحوادث بالجرائد : طبيب مختل عقليا يطلق النار على رأسه بداخل سيارته أسفل محور المريوطية .

النهاية

محمود مودى

السما والأرض
محمود مودي
www.hotamr.com